الحرف والصناعات في عهد محمد علي

دكتور

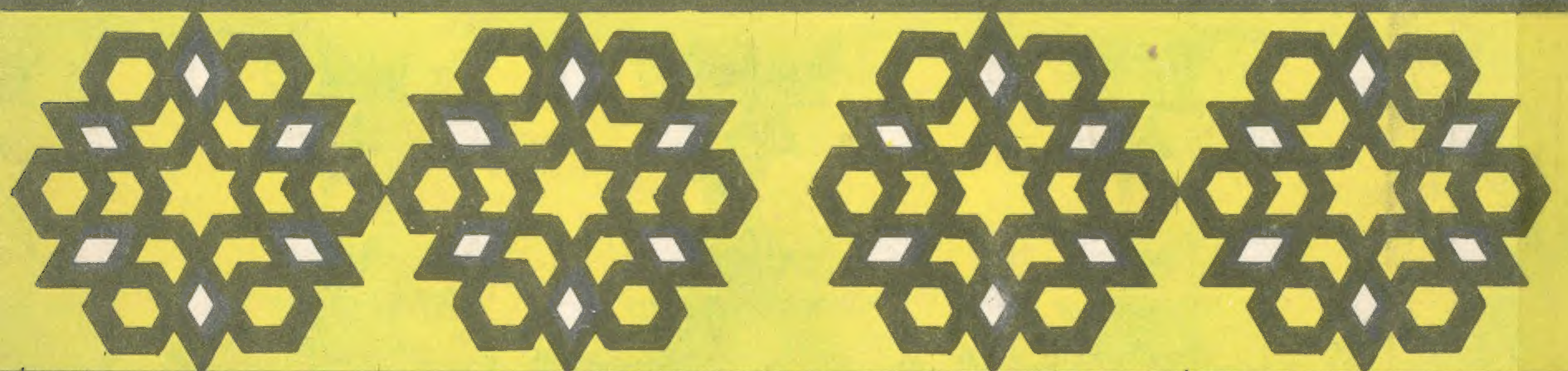
صلاح أحمد هريدي

تقديم

دكتور عمر عبد العزيز عمر

أستاذ التاريخ الحديث - جامعة الاسكندرية

وعميد كلية الآداب - جامعة بيروت





دار المعارف

الحرف والصناعات في عهد محمد علي

الدكتور

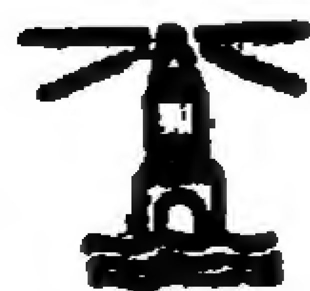
صلاح أحمد هريدي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية ـ جامعة الاسكندرية

تقـديم

دكتور عمـر عبد العزيز عمـر
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الاسكندرية
وعميد كلية الآداب ـ جامعة بيروت العربيـة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى زوجتي

تقديم

يتناول هذا البحث دراسة موضوع « الحرف والصناعات فى عهد محمد على » التى تمثل احدى القوى الهامة المكونة للمجتمع المصرى ، حيث لعبت دورا هاما فى تاريخه ، وكان الدكتور صلاح هريدى قد تقدم بهذا البحث للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الحديث بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٨ تحت اشرافى ، وقد حاول اظهار الصعاب التى واجهت محمد على فى النهوض بالصناعات المختلفة بعد مرحلة التدهور التى تعرضت لها خلال العصر العثمانى (١٥١٧ — ١٧٩٨) . واستعرض الباحث الاساليب المختلفة والوسائل المتعددة فى انشاء المصانع والاستعانة بالأوروبيين ، وتطبيق ما يعرف بـ « التجنيد الصناعى » لإدخال العنصر المصرى فى اطار هذا التطور الجديد الذى شهدته مصر خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر . كما ارسل محمد على البعثات الى اوروبا فى كافة التخصصات لخدمة هذا الهدف ، وأحضر الآلات والمعدات المتطورة للنهوض بالصناعة — غير أن هذه النهضة الجديدة ما لبثت أن تأثرت بالنتائج التى ترتبت على أوضاع مصر السياسية بعد عام ١٨٤٠ .

ولم تقتصر دراسة الحرف المقدمة فى هذا البحث على الجانب الصناعى ، بل تعدت ذلك الى مختلف أنواع الحرف الموجودة فى المجتمع المصرى ، وانضمام بعض الحرفيين الى الطرق الصوفية ، ومساوىء النظام الحرفى

ومزاياه . والدراسة فى مجملها تعالج جانبا هاما وحيويا من جوانب تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى .

ولقد عرض الدكتور صلاح هريدى لموضوعه عرضا علميا متكاملا مستعينا فى ذلك بالمادة العلمية المتاحة . وقد لمست فى الدكتور صلاح هريدى خلال كتابته لموضوعه حماسة للعمل وجدية فى التفكير مما يبشر له بمستقبل مرموق فى حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ مصر العثمانية .

وتعتبر هذه الدراسة اسهاما موضوعيا فى دراسة بعض الجوانب الغامضة فى تاريخ مصر العثمانية ، كما أنها افسحت للباحث المجال للاستعانة بمجموعة كبيرة من وثائق هذا العصر التى ما يزال معظمها غير منشور حتى الآن . ومن المؤكد أن الدكتور صلاح هريدى ابتعد الى حد كبير عن اتباع الاسلوب التقليدى فى عرض أحداث التاريخ ، والتزم بمنهج التحليل والتقويم واستقراء الوثائق واستنتاج الافكار الجديدة منها . وبذلك يضيف الدكتور صلاح هريدى بهذا البحث عملا علميا جادا وجديدا الى مكتبة تاريخ مصر الحديث .

والله الموفق والمستعان ؟

بيروت فى ١٩٨٥/١/٢٠

عمر عبد العزيز عمر

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الاسكندرية

وعميد كلية الآداب بجامعة بيروت العربية

مقـــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين ، وبعد ، ففى تاريخ بلادنا جوانب كثيرة لم يهتم بهـــا الباحثون ، الذين صرفوا اهتمامهم الى الجـــانب السياسى ، أو الجـــانب الاقتصادى ، أو الجانبين معا ، دون التركيز على الجانب الاجتماعى .

ولعل دراسة هذا الجانب من خلال « الحرف والصناعات فى عهـــد محمد علي » أن تعطينا فكرة وافية عن احدى الاساسات التي شكلت عنصرا هاما فى حياة المجتمع المصرى ، فى ذلك الوقت ، بل في عصرنا الحاضر أيضا ، ونقصد بها الطبقة العاملة ، أو مجتمع الحرفيين الذين لعبوا أدوارا هامة عبر تاريخنا الطويل .

فقد كانت لهم أدوارهم وتأثيرهم السياسى والاقتصـــادى فى المجتمـــع المصرى وكانوا المحور الاساسى فى عهـــد محمـــد على ، الذى أقام عليـــه الصناعات المختلفة سواء أكانت مدنية أم حربية .

وعندما أنشأ محمد على هذه الصناعات لم تكن عنده الايدى الفنيـــة المدربة ، نظرا للظروف التى مرت بها مصر قبل عهده بزمن طويل ، والتى كان لها أثر كبير فى توجيـــه ضربة عنيفة الى هذه الطبقة من طبقـــات المجتمـــع المصرى .

ومما تجدر الاشارة اليـــه أن الصناعة المصرية بلغت أوج نشاطها فى العصر المملوكى ، والعصور السابقة عليه ، وعندما فتح العثمانيون مصر أخذ السلطان سليم الاول العديد من أمهر الصناع الى الاستانة ، وقد اثر ذلك فى الحرفيين والصناعة معا .

ولا يمكن اعتبار العثمانيين العامل الوحيد فى تدهور الصناعة فى مصر ، ولكنهم كانوا احدى العوامل التى ادت الى هذا التدهور ، حيث أن القلاقل السياسية التى شهدتها مصر قبل عهدهم ، كان لها اثر فى هذا المجال .

واذا كان الفرنسيون قد عملوا على تنشيط بعض الصناعات أثنـــاء احتلالهم لمصر ، فقد كان هذا من اجل مصلحتهم ، خاصة بعد تحطيم الاسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية . وعندما اقاموا بعض الصناعات حرموا على المصريين الاشتغال بها خشية أن تنتقل أسرار الصناعة الفرنسية الى المصريين ، ولذلك لم يكن للفرنسيين اثر بالنسبة للحرفيين او الصناعة المصرية الا قليلا ، بالاضافة الى أنهم قد مكثوا بالبلاد فترة قصيرة ، عين خلالها نابليون بعض مشايخ الحرف فى الديوان .

ولما تولى محمد على حكم مصر لم يكن الطريق أمامه سهلا ، فقد قابلته مشاكل عديدة ، وصعاب مختلفة عندما بدأ فى انشاء المصانع المصرية ، فلم يجد الايدى العاملة الفنية المدربة ، ولذلك استعان بالاوربيين ، وخصص لهم أماكن معينة .

وواجهته مشكلة اخرى فى احضار العمال المصريين ، ولكنه استخدم الوسائل نفسها التى اتبعها فى تجنيد الجيش ، فطريقة استخدامهم واحضارهم هى نفسها التى كان يجند بها جيشه ، حتى انه يمكن القول بأن ذلك كان أشبه بالتجنيد الصناعى . واستخدم محمد على النساء والاطفال والعبيد للعمل فى

المصانع ، وأرسل البعثات فى كافة التخصصات الى أوربا ، واستقدم الكثير من الخبراء ، وأحضر الآلات والمعـــدات ، وأقام صناعات كثـــيرة ، ارتبطت ارتبـــاطا وثيقـــا بجيشه وأسطوله ، سواء أكانت هذه الصناعات مدنيـــة أم حربية .

ولكن الاهمال بدأ يتطرق الى الصناعاتالتى اقامها محمد على نتيجـــة لحدوث الازمة السياسية الكبرى ، واصدار فرمان عام ١٨٤١م ، وتحديد عدد الجيش بحوالى ثمانية عشر الف جندى ، بالاضافة الى عوامل أخرى داخلية وخارجيـــــة .

وقد قسمت البحث الى خمسة فصول وخاتمة ، وفى الفصل الاول تحدثنا عن تحول الحـــرف والصناعات فى أواخر القرن الثامن عشر منـــذ أصبحت مصر ولاية عثمانية ، واثر ذلك فى الناحية السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية واثره أيضا فى الحرف والصناعات .

وانتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن تكوين الطوائف الحرفية ، وتأثرها بالنظم السائدة فى الامبراطورية العثمانية واثر هذه الطوائف فى الحياة المدنية والدور الذى لعبتـــه فى الحيـــاة الاقتصـــادية والسياسية والاجتماعيـــة وكيف أن تكوينهم الاجتماعى ــ بالاضافة الى تمركزهم فى مناطق معينة تحمل اسمهم أحيانا ــ قد سهل لهم القيام بالدور الاساسى لهم .

ولم تقتصر الحرف على الصناعة ، فقط ، بل تعدت هذا كله الى الحرف الدنيئة ، لانها كانت حرفا لها رئيس معترف به ، ويؤدى ما عليه من ضرائب حرفته الى الجهات المختصة ، وهو مسئول عن أفراد حرفته أمام الحكومة التى قامت بتعيين موظفين مختصين للاشراف على هذه الحرفة من قبلها .

وتعرضنا للعلاقة بين الحرفيين والعلماء من رجال الازهر ، واثر ذلك فى أمانتهم ، ثم انضمام بعض الحرفيين الى الطرق الصوفية ، ولجوئهم الى علماء الازهر كلما وقع عليهم ظلم أو غبن ، كما أن هذا النظام تعرض للانهيار منذ

أن تولى محمد على حكم مصر ، واقامته للصناعات الكبرى ، واتباعه لسياسة الاحتكار .

وهناك أوجه اختلاف بين نظام الحرفيين فى مصر ، ونظامهم فى أوربا ، وذلك من حيث انضمام الافراد اليها ، وتدخلها فى أسعار السلع ، وتحديد الاجور وغيرها ، وقد عرضنا لهذا كله . ثم انتقلت بعد ذلك الى العناصر المكونة للطوائف الحرفية ، وكيف تطور نظام « الشياخة » منذ أن كان يعين « الشيخ » بالانتخاب عن طريق أعضاء حرفته ، الى أن تدخلت الحكومة فى تعيينه ، وانهيار سلطاته وغيرها من الامور التى تخص هذا النظام .

وانتقلت بعد ذلك — الى تدرج الحرفيين من صبى الى « عريف » الى « معلم » أو « اسطى » ، والشروط التى يجب توافرها فى الصبى لقبوله عضوا فى الحرفة ، والحفلات التى كانت تقام لهذه المناسبة كحفلة « الشد » والهدايا التى كانت تقدم لهذه المناسبة .

وتعرضت بالدراسة الى مساوىء الحرف ومزاياها ، وكيف تسرب الضعف الى هذا النظام ، والضربة العنيفة التى وجهت الى نظامه الاجتماعى .

ولقد درسنا بعض الحرف الشائعة — فى فترة البحث — كحرفة صيد الاسماك ، والسقاية ، مع الاشارة لدور السقايين فى الحياة السياسية والاجتماعية خاصة أن دور السقايين السياسى يبرز عند ظهور الازمات السياسية ، عندما يستولى الحكام أو المتنازعون على الحكم على بغال السقايين وجمالهم وحميرهم،بالاضافة الى كونهم يؤدى دور رسل الغرام،وقد أشرنا خلال هذا كله الى تقسيمات السقايين والاختبارات التى تجرى لهم لاختيارهم فى الحرفة . وللدراويش وحمالى ماء السبيل اثر هام فى الحياة السياسية والاجتماعية والدينية وتم التعرض لدورهم هذا .

وهنك حرف أخرى كثيرة تظهر فى الخمامات العامة ، والتنظيم الطائفى عند الحمامية ، واحتفالاتهم بقوتهم فى الوقت الذى ضعفت فيه بعض الحرف الاخرى كالحلاقة وبائعى العرقسوس ، والشربات ، والجزارين .

وقد سادت بعض الحرف الدنيئة ، كاللصوصية ، وقد كان للصوص « شيخ » معترف به ، وكان يأخذ ما يسمى « بالحلاوة » عند اعادته المسروق من الاشياء ، وهناك العاب الحواة والشعوذة ، والعرافة ، التى تنتمى غالبا الى احدى قبائل الغجر ، وهناك أيضا القرداتى و « المهرجون » والرقص الشعبى الذى كان تؤديه بعض « الغجريات » ، بالاضافة الى احترافهن للدعارة ووجدت أيضا الندابات والمتسولون وكانوا يقدمون الهدايا والعطايا الى الحاكم ، والخدم ، والمكارين ، وقد عرضنا لهذا كله فى ثنايا البحث .

وفى الفصل الثانى تحدثنا عن بعض الصناعات التى وجدت فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، وعرضنا للمنشآت الصناعية الصغيرة التى سادت فى هذا الوقت ، ولصاحب العمل الذى عمل فى هذه المنشآت بمفرده ، أو استخدم بعض الصبية .

وكانت الصناعات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقرية ، كما أن بعض الحرف والصناعات كانت تمارس فى المنازل — فى الاغلب — وكان المشتغلون بحرفة ما يجتمعون فى نقابة ، أو طائفة ، تضمهم معا .

ولقد كانت الصناعات فى أواخر القرن الثامن عشر متأخرة ، وسادت بعض الصناعات التى تم العرض لها ، وعلى رأسها المنسوجات الصوفية ، والحريرية وصناعة الاوانى الخزفية ، والطوب ، وصناعة المواد الغذائية كصناعة الزيوت والنبيذ ، والسكر ، وتفريخ الدجاج وسواها ، بالاضافة الى صناعات أخرى تنوعت بين صناعة الحصير ، وملح النشادر ، ومواد الصباغة ، ونترات الصوديوم ، وتجليد الكتب .

ولم تكن « الحالة الصناعية » فى أواخر القرن الثامن عشر بالمتقدمة ، بل أن هناك أسبابا كثيرة أدت الى هذا التأخر ، وقد عالجنا هذا كله ، مع الاشارة

لدور الفرنسيين ابان « الحملة الفرنسية » حيث انهم اقاموا بعض الصناعات ، واهملوا صناعات أخرى ، وكيف أنهم اثروا فى تطور الانظمة الاقتصادية فى مصر ، والتى استفاد منها محمد على عندما شرع فى انشاء صناعاته .

ولقد وضع محمد على سياسة صناعية متميزة ، فظهرت فى الحرف الموجودة خلال عصره ، وفى الاسلوب الذى اتبعه ويتلخص فى اتباع نظام الاحتكار واستخدام طبقة كبيرة من الحرفيين فى الصناعات التى أقامها ، مما كان له أثره فى التنظيم الهرمى للحرفيين ، والقضاء على بعضهم ، وعلى بعض الصناعات البسيطة كصناعة النسيج ، حتى أنه اضطر الى العدول عن هذا الاسلوب .

وهناك صعوبات كثيرة وقفت امام محمد على ، وقد توقفنا أمامها ، وحاولنا التعرف على كيفية قضائه عليها ، مع الاهتمام بموقف الشعب المصرى من بعض الصناعات السائدة فى ذلك الوقت .

أما الفصل الثالث ، فقد خصصته للحديث عن الصناعات الحربية والبحرية وقد بدأت هذا الفصل بتمهيد عن ايراد « الباشا » لكى يستطيع أن يواجه نفقاته المتعددة ، وكيف أدى ذلك الى احتكاره للزراعة والصناعة والتجارة ، وقيامه ببعض التحسينات فى سبيل ذلك .

وقد تعرضت للمصانع الحربية والاسلحة مثل مصانع القلعة ، ومعمل البنادق فى الحوض المرصود ، ومعامل البارود ، واماكن انتشارها وانتاجها ، ومصانع سبك الحديد وانتاجها ، وتوفير العمال لها من خلال ارسال الكثير من البعثات الى الخارج ، ومصنع النحاس الذى أنتج الالواح النحاسية التى كانت تبطن بها السفن الحربية ، مع الاشارة الى العقبات التى وقفت فى طريق هذه الصناعة ، وكيف التغلب عليها . وهناك صناعات أخرى مدنية كانت تمد الجيش بحاجته مثل مصنع الطرابيش ، ومصنع الجوخ اللذين أمدا الجيش

والاسطول بالملابس والاغطية الصوفية ، ومصنع دباغة الجلود ، وكان يمد الجيش والاسطول بما يحتاجه من اطقم الخيول ، والسروج وهناك أيضـــا معامل الحبال ، وقلاع المراكب ، وسواها من الصناعات التى تم العرض لها فى ثنايا البحث .

وتحدثنا عن الاسطول البحرى ، والصناعات البحرية ، مع العـــرض للعوامل التى ادت الى انشاء البحرية ، ثم كيف تم انشـــاء اسطول مصر فى البحر الاحمر ، و « الترسانة البحرية » ببولاق وكيف جمع لها محمد على امهر العمال والصناع مع الاشارة الى ارسال السفن المجزاة على هيئة الواح الى « السويس » على ظهور الجمال ، حيث تركب هناك .

ولم يبدأ اسطول مصر فى البحر المتوسط ، وانما هناك مراحل مختلفة مرت بها من شراء السفن ، الى مرحلة بنائها لحسابه فى الخارج ، الى بنـــاء السفن فى مصر ، وانشاء ترسانة الاسكندرية والاحواض الجافة ، وقد اشرنا الى هذا كله مع الاشارة للعقبات التى قابلته ، وكيف تغلب عليها ، ثم دور العمال المصريين فى هذا المجال ، وخاصة فى الترسانة ، وأجورهم ، ومهارتهم التى اشاد بها الخبراء الاجانب ، بالاضافة الى انه أرسل العديد من العمـــال المصريين الى الخارج لمعرفة اصول هذه الصناعة .

أما الفصل الرابع ، فقد خصصته لبعض الصناعات المدنية ، مع الاهتمام بالصناعات الجديدة التى أدخلها محمد على كحلج القطن وكباسته ، وكيف أنه استورد لهـــذه الصناعة الآلات الحديثة من بريطانيـــا والولايات المتحـــدة الامريكيـــة ، ثم صناعة تبيض الارز والتى استورد لها الماكينـــات الجديثة ومتابعته لهذه الصناعة ، واهتم بصناعة « النيلة » وأحضر لها الخبراء ؛ كما أنه استخدم النساء فى هذه الصناعة ، وتابع انتاجها ، وعاقب كل مقصر فى العمـــل .

وقد احتكر محمد على صناعة الزيوت سنة ١٨١٦م ، مع اهتمامه بأن يجعل كل منطقة تختص بنوع معين منها .

وتوسع محمد على فى بعض الصناعات ، ومنهـا صناعة « الغـزل والنسيج » وظهـر هذا التوسع فى اقامة بعض « الفابريقات » فى الوجهين القبلى والبحرى ، مع العمل على توفير المواد الخام والعمال الفنيين لهـا . وأنشأ مصانع لانتاج السكر ، خاصة بعد التوسع فى زراعة القصب ، وقد صادفته بعض العقبات فى هذا الصدد ، وعلى رأسها موقف رجال الدين من عملية « تكرير السكر » ومدى تعارضها مع الشرع من عدمه ، وأنشأ محمد على « صناعة الزجاج » وقد واجهه كساد فى هذه التجارة . وقد عمل على تشجيع « الصناعة المحلية » وارسل عمالا كثيرين الى الخارج للتدريب ، حتى يحقق هذا الغرض وكان يدقق فى اختيار المرسلين منهم ، وشجع العائدين من أوربا .

ومن الصناعات التى نالت اهتمام محمد على « صناعة الورق » ، وقد عمل على توفير المواد الخام لها ، وابدى ملاحظات على المنتج من الورق ، ثم أهتم بصناعة « الصـابون » وبعض الصناعات الاخرى كصناعة الشمع ، والعسل ومعامل التفريخ وصناعة الحصر ، وصناعة الفخار ، وضرب النقود والصناعات الخشبية . وقد تم العرض لهذا كله خلال الفصل الرابع .

اما انهيار الامبراطورية المصرية ، واثر ذلك فى الصناعة فهو موضوع الفصل الخامس ، وقد عرضنا فيه للاسباب الخارجية التى ادت الى هذا ، وعلى راس هذه الاسباب موقف انجلترا ، وفرنسـا من المسألة الشرقية ، والمسألة المصرية والظروف التى ادت الى صدور فرمان سنة ١٨٤١م واتفاقيه لندن فى العام نفسه . واثر ذلك فى الصناعة المصرية ، وذلك من حيث تحديد عدد الجيش .

وهناك عوامل اخرى أدت الى انهيـار الصناعة كالعوامل الطبيعية ، والقوى المحركة وقد حاول محمد على أن يستخدم قوة المياه باعتبـارها قوة

مخزكة ، وحاول أيضا أن يتغلب على مشكلة نقص الوقود ، وسوء الادارة حيث كان النظـار يتبارون فى خفض التكاليف ، مما كان له اثره فى الانتـاج وجودته ، بالاضافة الى ظهور كثير من مظاهر الفوضى والاهمال .

ومما تعرضت له المواد الخام التى حاول محمد على أن يوفرها ، وقد ظهرت مشكلة نتجت عن تخزين هذه المواد فهناك أماكن عانت نقصا شـديدا منها فى حين ان أماكن أخرى زادت عن طاقتها .

وهناك عوامل أخرى كثيرة كان لها الاثر فى تدهور الصناعة ، بل انهيارها كارتفاع نفقات الانتاج ، وهبوط مستوى العمال وذلك من حيث الكفاءة الفنية وقد حاول محمد على التغلب على هذا العامل ، حيث ارسل العديد من العمال الى الخارج ، واستقدم الخبراء فى مختلف المجـالات . ومن عوامل تدهور الصناعة أيضا شراء الآلات بأعلى الاسعار ، مع أن بعضها غير صالح للعمل فى مصر ، بالاضافة الى ان بعضها الآخر لم يكتمل صناعته ، كما أن استخدامه للعدد الكبير من العمال الاوربيين أدى الى دفع أجور عالية لهم مقابل الاقامة فى مصر .

وقد تحملت الحكومة وحدها القيـام بالتصنيع متبعة فى ذلك سياسة الاحتكار ، مما كان له أثره فى التدهور الذى حل بالصناعة ، بالاضافة الى أن الفلاحين لم يتحولوا الى « بروليتاريا » ، وكانوا يجمعون بالطريقة نفسها التى كان يجمع بها الجند .

وبعد ، فهذا عرض لفصول البحث الخمسة ، أما فى الخاتمة فنعرض لأثر التجربة الصناعية فى عهد محمد على فى المجتمع المصرى ، وكيف أن هذا الاثر قد ظهر فى تقسيم مجتمع القرية ، وأثر محمد على فى نظام النقابات الحرفيـة وتأثرت سلطة شيخ الطائفة .

ولم يطرا اى تغيير على شخصية الطبقة المتوسطة رغم نموها ، ومع

ذلك فقد وجهت ضربة عنيفة الى صغار الحرفيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نتيجة للمنافسة الاوربية ، ولم تتقدم المهن الحرة فى هذا الزمن .

وبعد ، فهذه محاولة قمت بها جادا ، وقد قابلتنى صعاب كثيرة ، منها عدم وجود المصادر والمراجع فى اماكن واحدة ، الامر الذى جعلنى دائم التنقل ما بين دار الوثائق القومية بالقاهرة ودار الكتب بباب الخلق وكورنيش النيل ، ومكتبة معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربيـــة ، ومكتبة جامعة القاهرة ، ومكتبة جامعة عين شمس ، ومكتبة الجامعة الامريكية بالقاهرة ، ومكتبة جامعة الاسكندرية ومكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، ومكتبة البلدية بالاسكندرية . ولقد استطعت التغلب عليها بفضـــل الرعاية العلمية الجادة والنصائح والارشادات القيمة التى أسداها لى أستاذى المشرف على هذا البحث ، الاستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر . جزاه الله عنى خير الجزاء ، كما اتقدم بالشكر الى أستاذى الدكتور جلال يحيى والاستاذ الدكتور جمال الدين المسدى . وكل من عاوننى فى اخراج هذا البحث على هذه الصورة

والله وحده ولى التوفيق

الاسكندرية فى أول رمضان المعظم سنة ١٤٠٤هـ

الاول من يونيو عام ١٩٨٤م .

دكتـــور

صـــلاح احمـــد هريدى

الفصل الاول

تحول نظم الحرف والصناعات
فى القرن الثامن عشر

تحــول نظــم الحــرف
والصناعات فى القــرن الثــامن عشر

قبل الشروع فى العرض « للحرف والصنعات فى عهــد محمد على » نتوقف قليــلا أمام أحوال مصر السياسية والاقتصــادية فى أواخر القــرن الثامن عشر ، وكيف مهدت هذه الاحوال لظهور محمد علي « مؤسس مصــر الحديثة » ، ثم كيف استفاد منهــا لبناء امبراطورية مترامية الاطراف له ولاسرته ، وما هي العقبات التي قابلته وكيف تغلب عليها .

انتصر الاتراك العثمانيين على المماليك فى موقعة مرج دابق عام ١٥١٦م ٩٢٢هـ ، ولكى يضمنوا سيطرتهم على البلاد وضعوا نظام حكم يقــوم على هيئات ثلاث هى الوالى ، أو الباشا ، والديوان ، والمماليك ، وقد أدى هذا النظام الى صراع على السلطة ، مما أثر بشكل ظاهر فى المجتمع المصرى .

وقبل التحدث عن الحرف والصناعات تنبغى الاشارة الى طريقة تكوين تلك الطوائف الحرفية وكيف ساهمت فى الحياة العامة للمدينة وما هى العلاقة بين هذه الحرف وبين الحكومة ، ثم نعرف التدرج الوظيفي للحرفى منذ كان الحرفى أو الصانع صبيا الى أن يصل الى « معلم » أو « أسطى » وما هى المدة التى يمكثها كل منهم ، وكيف يختار شيخ الحــرفة ، وما هو نفوذه ؟ وما هى واجباته ؟

١ ــ تكوين الطوائف الحرفية ؟

ترجع نشأة هذا النظام فى مصر الى العصر الرومانى ، ان لم يكن قبل ذلك بكثير . ويعتقد بعد الباحثين ان الطوائف كانت حصيلة بعض الحركات الثورية فى المجتمع الاسلامى ، وقد عنى هؤلاء بابراز وجوه الشبه بين مراتب الصناع داخل الطائفة وبين مراتب الصوفية ، وحللوا مظاهر الاحتفـــالات التى تقام بمناسبة الحاق الصبيان او تدشين الرؤساء وربطها ببعض طقوس الصوفية واحتفالاتهم(١) ، وسوف نتعرض لذلك بالتفصيل . وقد زاد نمو هذه الطوائف فى العصور الوسطى لانها فترة امتازت بروح التضامن بين الافراد والهيئات والجماعات المختلفة(٢) .

وكانت الطوائف موجودة فى العالم الاسلامى قبل تاسيس الامبراطورية العثمانية وفى عهدها تطورت من « جماعة الفتوة » كما يمثلها اهل الاناضول ، ذلك أن هيئات الطوائف العثمانية شأنها فى ذلك شأن الدراويش ، كانت لهـــا فى البداية « طريقة » لا تختلف عن طريقة هذه الجمعية . ولكن بالرغم من أن معظمها قد تأثر بالطابع المدنى بحلول القرن الثامن عشر ، فان كثيرا من آثار تنظيمها القديمة كانت لاتزال تتعثر .

وهكذا كان لكل نقابة « راع » « ولى » « بير »(٣) واحيـــانا راعيـــان وهؤلاء كانوا الشخصيت الدينية وتتراوح اهمية اكبرهم فى العادة بطـــريك عبرانى وأقلهم شأنا أحد الصحابة(٤) .

(١) أمين عز الدين تاريخ الطبقة العاملة المصرية منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٩ ، ص٣١ ، ٣٢ .

(٢) راشد البراوى ، ومحمد حمزة عليش وآخرين ــ التطور الاقتصادى فمصر فى العصر الحديث ، ص١٨ .

(٣) وهؤلاء كانوا شخصيات ذات طابع دينى .

(٤) هاملتون جب ، هارولد بوون ــ المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة أحمد مصطفى عبــد الرحيم مصطفى ، مصطفى الحسينى ، جـ٢ ، ص١٢٣ .

وكان يعتقد أن أولئك الذين من النوع الاول هم مخترعوا الحرفة والتجارة التى تباشرها الطائفة المعينة . وحتى أواخر القرن التاسع عشر كان كل صاحب حانوت من المسلمين لايزال يضع على « تندته » جملة تذكر اسم « الولى » (البير) الذى يتبعه(٥) .

وقد أصبحت الحرف كلها خاضعة لادارة « شيخ » أو كبير ، وكانت وظيفته انتخابية فى الاسم ، ولكنها وراثية فى الواقع فى نطاق أسرة معينة يعاونه جاويش . وكان التنظيم بأسره وراثيا الى حد كبير لدرجة أن بعض الحرف المتخصصة قد اقتصرت — فى الواقع — على عائلة واحدة ، فمثلا كان طلاء الجدران بالالوان المذهبة مقصورا على أسرة واحدة ، ولهذا أطلق عليها أسرة الذهبى(٦) ومن هنا بلغت الصناعة درجة كبيرة من التقدم والكمال بفضل نظام التخصص زمنا طويلا .

وكانت الطائفة المهنية عنصرا أساسيا فى الحياة المدنية ، فقد كانت تمثل بالنسبة للسلطات اطارا يمكنها من الاشراف على معظم الشعب العامل بالمدينة من صناع وتجار ، وهذه الحقيقة بالغة الوضوح بحيث تستحق الوقوف عندها كثيرا ، فعندما يتوسط شيوخ الطوائف المهنية فى المشاجرات التى تنشب بين أبناء طوائفهم ، وعندما ينظمون المنافسة ويعاقبون المسيئون على ما يرتكبون من أخطاء ، فانهم بذلك يسهمون فى ادارة المدينة ، وفى حفظ النظام ، وكانت الغرامات التى تجمع نتيجة لوساطته الشيوخ هذه ، تشكل مصادر مالية لا يمكن أن تنكرها سلطات القاهرة(٧) وكان على الحكام ان يلجئوا لهذه

---

(٥) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٣٧ .
(٦) هاملتون جب ، هارولد بوون — المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، مصطفى الحسينى ، جـ٢ ، ص١٣٧ .
(٧) اندريه ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، ص١٥ .

الطوائف ولشيوخها عند حاجتهم لانجاز بعض اعمال البناء مثلما حدث فى عام ١٨٠٢م عندما دعيت طوائف الحرف بالقاهرة للاشتراك فى بناء دار الباشا تبعا للقوائم التى كانت قد اعدتها الحملة الفرنسية ؛ لذلك نجد انه دعيت الطوائف القبطيـــة أولا ثم تلتها الطوائف المسيحية الإفرنجى وأخيرا دعيت طوائف المسلمين(٨) أو النظافة أو عندما يحتـــاجون لتأمين خدمات معينـــة لم يكن ثمة جهاز متخصص كمكافحة الحريق على سبيل المثال(٩) .

وبصفة عامة كانت الطـــوائف رابطة ادارية من تلك الروابط القليلة ، التى أتيح لها أن تقوم بين السلطات وبين الرعية وقد ظلت تلعب هذا الدور الى ان نجحت السلطات المصرية فى نهاية القرن التاسع عشر أن تنشىء جهازا اداريا قادرا على الحلول محل هذه الطوائف ، ومع ذلك فكلما كانت الحكومة تجد نفسها عاجزة عن خلق جهاز جديد للقيام بوظيفة ما ، فقد كانت تجد نفسها ملزمة باللجوء الى نفس الوحدات التقليدية ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتكون بمثابة الصلة بينها وبين تلك الاعمال الادارية التى كان يتعين عليها القيام بها وهكذا واصل الشيوخ ممارسة وظائفهم فى تبليغ أوامر الحكومة الى اعضاء طوائفهم(١٠) .

ومع ذلك الدور الذى لعبته الطوائف الحرفيـــة فى جهـــاز الإدارة العامة كجهاز توصيل تلجأ اليه السلطات الحاكمة ، لم يكن يخص بطريقـــة نوعية القاهرة كمجتمع حضرى بل ان هذا الدور قد مضى لأبعد من ذلك اذا نظرنا للطوائف المهنية من ناحية المظهر الجغرافى بحيث ان معظم الحـــرف فى القاهرة تتركز فى قطاع محدود من المدينة وينطبق ذلك ايضا على بقية المدن

---

(٨) عبد الرحمن الجبرتى : عجـــائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ج٣، ص٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٩) المصدر السابق ، ص١٥ .

(١٠) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ج٣ ، ص١٧ .

المصرية . فقد كانت للطوائف المهنية قاعدة جغرافيـــة بالغة التحديد تستمد اسمها أحيانا من اسم تلك الطائفة ، بل كان الامر ليس على الدوام صحيحا فى هذه النقطة فبينما نجد طائفة « لعمال حى باب الشعرية » واخرى لتجـــار « حى الغورية » نجد ان الامر واضح بالنسبة لطائفة « بائعى النحـــاس » بالقاهرة ، اذ كان كل النحاسين بالقاهرة متجمعين فى سوق يحمل الاسم نفسه وفى ضواحيه القريبة ، كذلك الامر بالنسبة « لصناع الخيام بالقاهرة » وكما كان الافراد الذين يمارسون مهنة واحدة أو مهنة ما يتجمعون فى حى واحد ، هو غالبا شارع معين ، فانه من الممكن الافتراض أن الطائفة المهنيـــة التى ينتمون اليها كانت تمارس داخل هذا القطاع عملا اداريا محليا ، بالاضافة الى اختصاصاتها العادية فى المسائل الحرفية كالاجور والاثمان(١١) .

وقد وجد أيضا كثير من الاسواق والاماكن المسماة باسماء الطائفة التى تقطن فيها مثل بائعى الطباق وبائعى الصابون(١٢) ، وبائعى الاقمشة(١٣) ، وتجار البهارات،والبن،وتجار الغلال(١٤)،ولما كان تجار كل سلعة يتجمعون معا عادة فى الاسواق ، فقــد كان لهم شيوخ(١٥) وكانت تنظيماتهم تشبه تنظيمات الطوائف الاخرى ، ويقول بعض الباحثين أنه «لا توجد معلومات عن عن احتفالات قبول المرشحين فى هذه الطوائف ، تماثل التى كانت تجرى فى نقابات الحرف ، وقد تكون هذه الطوائف مجرد تجمعات ادارية(١٦) . وكان رئيس الهيئة وهو عادة أغنى التجار يعرف فى القاهرة باسم « الشهبندر »

---

(١١) عبد الرحمن الجبرتى ، ح٣ ، ص١٠٧ .
(١٢) عبد الرحمن الجبرتى ، ج٣ ، ص١٠٧ .
(١٣) عبد الرحمن الجبرتى ، ج٢ ، ص٢٢٤ .
(١٤) عبد الرحمن الجبرتى ، ج٢ ، ص٢٥١ ، ٢٥٢ .
(١٥) عبد الرحمن الجبرتى ، ج٤ ، ص٢٥٠ .
(١٦) هاملتون جب ، هارولد بوون ، ج٢ ، ص١٥٠ .

وكانت مهامه أن يباشر سلطاته على كل التجار وأرباب الحرف وتجار التجزئة بصدد منازعتهم وتنظيماتهم الداخلية(١٧) .

ويرغم أن التجار لم ينجوا بأى حال من الابتزاز والمغارم ، فانهم كونوا قطاعا من المجتمع الاسلامى ينعم بالثراء والاحترام ، ويمكن أن يعزى ذلك الى أسباب عدة ، منها عدم وجود نظم اقطاعى حقيقى ، والروابط التى تقوم بين التجار والمشايخ والعلماء ، النفوذ الذى كان يعود عليهم من ثروتهم ، والارتباط بين التجارة والحج ، بالاضافة الى ان التجارة تعتبر من الاعمال الكريمة فى الاسلام ، حيث مارسها النبى — ﷺ — ولهذا العامل أهمية خاصة ، لا تقل عن سابقيه .

وقد كون التجار مع الكتاب وبعض العلماء طبقة وسطى حقيقية وكان لهم دور هام ، ظهر فى امكانهم الضغط على الادارة .

وكان كبار التجار يعتبرون من أعيان مدينتهم ، وقد أمكن لكثير من أسر التجار فى القرن الثامن عشر ، أن يحصل على ثروات ضخمة ، وان تصاهر البكوات والارستقراطية العسكرية وأسر المشايخ(١٨) .

وكانت بعض الطوائف تصنف بحسب عقيدة أفرادها ، فكان أفراد الحرفة الذين يعتنقون ديانة واحدة يكونون طائفة خاصة بهم ، وكان للمسلمين حرف مقصورة عليهم والامر نفسه للمسيحيين ، لذلك نجد أن صناعة الخمور وتجارتها وبيع العرق كانت قاصرة على اليهود والمسيحيين ، وفرضت الحكومة عليهم ضرائب بلغت ٥٠٠ر٠٠٠ر٣ بارة فى السنة خلال القرن الثامن عشر ، كانت تجمع عن طريق الانكشارية(١٩) ، كما كانت حرفة

---

(١٧) عبد الرحمن الجبرتى ، ص١٩٩ .
(١٨) هاملتون جب ، هارولد بوون ، جـ٢ ، ص١٥٢ .
19) Stanford, J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 158.

البزازون قاصرة على المسلمين فقط،كما انه كان أحيانا تقتصر حرف معينة على أبناء منطقة معينة دون غيرها ، فقد كانت طائفة الجلابة (تجار العبيـــد) تقتصر على أبناء الواحا توأسوان وابريم ، كذلك اقتصرت طائفة الصـــاغة على المسيحيين واليهود ، كما أن معظم تجار الخمـــور كانوا من السوريين المسيحيين على وجه الخصوص(٢٠) .

وبرغم أن السلطان محمد الفاتح قد نظم الانواع المختلفة ، من الذميين فى طوائف أمم تحكم نفسها بنفسها فيما يتعلق بالشئون الدينية ، فان طوائف الحرف المسيحية الموجودة فى الاستانة قد اندمجت بالفعل فى طوائف الاتراك العثمانيين . ولكن العلاقات القائمة بين القسمين اصبحت اقل مودة منـــذ القرن السابع عشر ،حيث جمعت الطائفتان الدينيتان فى أماكن منفصلة،ثم حصل الذميون — بعد ذلك — على حق انتخاب اليكيت باشيه (الرفيق الاعظم) الخاصة بهم(٢١) وبعد ذلك منح منصب الكواخى لغير المسلمين .

وفى خلال القرن الثامن عشر تقدم الدميون الى الديوان طالبين السماح لهم بالقيام بحتفالاتهم فى مواسمهم على حدة ، لأن زملاءهم المسلمين فرضوا عليهم أن يتحملوا كل نفقـــات الاحتفـــال وذلك بصفتهم الخـــاصة لتكوينهم الانكشارية(٢٢) .

ولم يكن الدين هو سبب الانقسام الظاهر ، ولكن حدث انقسام بين التجار وارباب الحرف مثل عدم استخدام كلمة « كديك » فى الاشـــارة الى طوائف التجار ، الابعد أن فقد هذه الكلمة ارتباطها بأدوات احدى الحرف ، بالاضافة الى ذلك أن تمرين الصبى فى حرفة التجـــارة كان يلعب دورا اقل أهميـــة ، لأنه كان يعتمـــد على المهـــارة التى قد تحدد كثيرا تحت اشراف الحكومة .

---

(٢٠) رؤوف عباس : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٥٢ ، ص٢١
(٢١) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٣٨ .
(٢٢) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٣٣ .

وبالاضافة الى ذلك وجد طائفة خاصـــة عند بعض العمـــال المثقفين كالكتبة والاطباء ، والمداحين ، والطلبة ، ولكل فئة من هذه الفئات منظمتها ، التى لها راعيها ، وموظفوها ، واحتفالاتها وسواها ، والامر كذلك بالنسبة للفلاحين(٢٣) .

واذا كانت الحرف تضم الحرفيين والصناع والطوائف وحرف أخرى ، منها حرف دنيئة ، وتضم باعة الحلوى ، وطهاة الاطعمة ، وباعة الاسماك المملحة والخمارين(٢٤) ومنها حرف مشينة واجرامية تنظم ايضا بالطريقـــة نفسها ، ومن أمثلة ذلك طوائف خصة بالشحاتين والبغايا ، والنشـــالين واللصوص وسواهم من الاشرار وعلى الرغم من أن المجـــرمين لم يكن لهم رؤساء تعترف بهم السلطات ، مع أنهم كانوا يؤدون الضرائب للبوليس ، فقد كانوا يفتخرون برعاية بعض الاولياء(٢٥) بالاضافة الى ذلك الراقصـــات والرفاعية والمهرجون ولاعبوا القمار وغير ذلك . وكان تفرض عليهم ضرائب ، تجبى عن طريق أمين الخردة(٢٦) وان كانت هذه الضرائب يجمعها المحتسب قبل ذلك وكانت من ضمن سلطاته جمع الضرائب من الخبازين والجـــزارين وبائعى الزيوت ، والاسماك ، والخضروات ، اللبن ، الشمع(٢٧) .

---

(٢٣) المرجع السبق ، جـ٢ ، ص١٣٥ .
(٢٤) عبد الرحمن الجبرتى ، جـ١ ، ص١٧٤ .
(٢٥) هاملتون جب ، هارولد بودن ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٣٤ .
26) Stanford, J. Shaw, The Financial and Arministrative organization and development of Ottoman Egypt, P. 121.

أمين الخردة : انشئت هذه الوظيفة عام ١٥٢٨م وكان من حقـــه الاشراف على الطوائف التابعة له ، والاسواق التى لا تدخل تحت اشراف المحتسب مثل سوق الجمـــال وصباغى الحـــرير والمغنيين والحدادين وباعة الخردة وكان تجبى هذه الضرائب عن الضبـــاط وكانت تجمع ضرائب سنوية مقدارها ٨٦١ر٩٨٤ بارة ســـنويا . (كل اربعين بارة = قرشا واحدا) .

27) Stanford, J. Shaw, Op. Cit., P. 119.

واذا كانت السلطات العثمانية لم تعترف برؤساء « طائفة المجرمين » الا أنها اعترفت بهم فى الفترات الاخيرة ويرجع ذلك الى الفوضى التى سادت آسيا الصغرى عقب الغزو المغولى فى القرن الثالث عشر والتى كان ضمن اهدافها تنظيم معارضة لكل أعمال الحكومة ، وهو الذى أدى الى سيطره السلطات العثمانية على كل نشاط الطوائف(٢٨) ولذلك نجد أيضا أن دباغى الجلود فى العاصمة وأدرنة قد ابقوا على عادة أخرى بارزة من عادات جماعات الفتوة ، فانهم اذا ما وقع فى ايديهم قاتل أو لص — يقومون بتدريبه على حرفتهم أى يصبح واحدا منهم ، بدلا من تسليمه الى السلطات(٢٩) .

وكانت قدرة كل طائفة على ممارسة حقوقها متفاوتة ، فطائفة الدباغين والسروجية كانت واسعة النشاط الى حد كبير ، فى حين أن عضوية الطوائف الاخرى كانت ضعيفة نسبيا ، وعلى أية حال ، فقد ازدادت اهمية بعض الطوائف التى كانت تقوم بحرفة أو اعمال تجارية متقاربة لكونها منظمة فى مجموعات مثل صانعى الاحذية الذين كانوا مرتبطين ببائعى الاحذية . وكان « كاخيا » صانعى الاحذية فى السوق الكبير هو المشرف ، اى رئيس الطوائف الثانوية كلها ، بالاضافة الى طائفته ، كما أن بائعى التبغ لم تعترف الحكومة العثمانية الا فى عم ١٧٢٥م ، وان كانوا يمارسون حرفتهم منذ زمن طويل سواء سرا أم علنا لاسباب تتعلق بالدين الاسلامى نفسه(٣٠) .

على أن اشراف الحكومة اشرافا صارما على شئون الطوائف،لم يكن موجها بأسره الى الحد من ميلها الى الفتنة ، اذ أن هذا الاشراف كان يهدف الى شىء آخر هو حماية العمال أنفسهم ، ولذلك اصبحت طوائف الحرف المختلفة من التجار والجلابين (تجار العبيد) تحت سيطرة الحكومة ، وأصبحت

---

(٢٨) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٣٤ .
(٢٩) المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٣٤ .
(٣٠) المرجع السابق ، ج٢ ، ص١٣٥ .

اداريا فى يدها وتأثر تصنيفها بالحاجات الادارية الثابتة وبالتغييرات التى طرأت على العلاقات بين القوى المختلفة داخل الهيئات الحاكمة ، ومن هنا كانت كل طائفة تخضع لضابط معين من الانكشارين ، وكانت مهمة هؤلاء أضباط حماية طوائفهم وجمع ضرائبهم ، بالاضافة الى الضرائب المنتظمة التى كانت تجبى عن طريق المحتسب ، وأمين الخردة ، طبقا للطوائف التابعة لكل منهم(٣١) وفى ابان الغزو الفرنسى فرض مينو عام ١٨٠٠م ضرائب على مختلف الحرف فى جميع البلاد المصرية فى ذلك الوقت ، وكانت أكثر الضرائب تجبى من القاهرة بأحيائها المختلفة مصر القديمة وبولاق ١٫٠٥٠٫٠٠٠ فرنك فرنسى والاسكندرية ٢٠٫٠٠٠ فرنك ورشيد ١٥٠٫٠٠٠ فرنك والمحلة الكبرى ١٥٫٠٠٠ فرنك ومنفلوط ٨٫٠٠٠ فرنك ، وبنى سويف ٤٫٠٠٠ فرنك ، وكانت هذه الضرائب تجمع عادة عن طريق شيخ الحرفة ، والذى يقوم بدوره الى تسليمها لشيخ البلد حسب مقدار ما دفعته كل حرفة حسب نصيبها وكان مشايخ الحرف مسئولين عن جمع هذه الضرائب والا تعرضوا لسجنهم(٣٢) .

المحتسب : وكان يتولى الاشراف على الاسواق ومراقبة الموازين والمكاييل والاسعار ، وكان يسير ومعه حاملوا الموازين والمكاييل حتى يستطيع أن يتأكد بنفسه من عدم الغش والسرقة ، ومن يضبط يعاقبه اذا ما اقتضت الضرورة ذلك ، كما انه فى خلال القرن السابع عشر — كان يشرف على هذه الاسواق ويجمع الضرائب من الخبازين وبائعى الزيت والسمك والسردين والخضروات واللبن ، وكان يجمع الضرائب أيضا على البلح والبرتقال والليمون والشمام والسكر والباذنجان والبقر والفول والجبن .

وبعد أن تولى محمد على الحكم الغيت وظيفة المحتسب ، وبقيت مجموعتان من هذه المجموعات الثلاث ، وقد تحولت وظيفة المحتسب بعد ذلك الى حكمدار الشرطة ، وكونت طوائف السقايين وباعة الخشب والوقود مجموعة خاصة بهم خلال ذلك القرن ، وكان شيوخهم يختارون عن طريق المحتسب ولكن بعد أن ألغيت وظيفة

31) Stanford, J. Shaw, **Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution**, P. 160.

32) Stanford, J. Shaw, Op. Cit., P. 160.

وهكذا وجدت فى القرن الثامن عشر ثلاث مجموعات كبيرة من الطوائف فى القاهرة خضع كل منها لاشراف أمين الخردة والمحتسب والمعمارجى(٣٤) .

وقد كانت الطائفة تخدم عدة أغراض ، فهى توفر الوسيلة التى تمكن أقل المواطنين شأنا من التعبير عن غرائزه الاجتماعية والاطمئنان الى مكانته فى النظام الاجتماعى(٣٤) ، ول من المظاهر البـــارزة التى يتلمسها الدارس لنظام الطوائف الحرفية أن ولاء الفرد داخل المجتمع كان موجه نحو الطائفة او المجتمع الصغير الذى ينتمي اليه ، فاختفت فكرة المواطنة (ولاء الفـــرد نحو الدولة) فى مثل هذا الوضع ، وانتسم المجتمع الاقطاعى فى مصر على هذا النحو الى طوائف مما اضعف من مقومات القومية الموجودة عند المصريين

المحتسب أصبحت بمعرفة حكمدار الشرطة . وكانت المجمـــوعة التى تكونت خلال القرن التاسع عشر ، تضم البنائيين ، وســـائر الطوائف المعمارية ، فاشتملت على الحفارين وقاطعى الاحجـــار وضاربى الطوب ، ونحـــاتى الرخام والاحجـــار ، والنجـــارين ، والنقاشين ، وغيرهم وقد كان شيوخهم يختارون بمعـــرفه حاكم القاهرة وكانت الطوائف تصف الى ثلاثه أنواع هى : طائفة اصحاب الحرف ، واطئفة النجار ، وطائفه متعلقة بالنقل والخدمات ، وقد خضع لنظا مواحد ، ولذلك لم يكن تاريخ الطوائف فى القرن التاسع عشر هو تاريخ الطوائف الحرفية بمعناها الضيق ، ولكنه كان نظاما عاما يضم ســـكان المدن بما فيها من الموظفين كالكتبـــة وجبـــاة الضرائب ، بينما بقيت البيروقراطية الكبرى خرج النظم وكذلك العلمـــاء ، برغم أن الازهر كان يستعمل مصطلحـــات الطـــوائف (طائفة ، شيخ ، نقيب) (انظر :

Stanford J. Shaw, Op. Cit., P. 137.

(٣٣) المعمارجى باشا (المعمار باشى) كان بمثابة كبير المهندسين ويتولى الاشراف على طوائف البنائين وصانعى الطوب والنجارين وغيرهم ، من الطوائف المشتغلة بأعمال البناء ويتولى جمـــع ضرائبهم والتى كانت تتراوح ما بين محبوب واحد أو ١٨٠ فضة يوميا عن كل عمارة من العمارات السلطانية .

(٣٤) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٥ .

وأفقدتها فاعليتها ، وعندما انهار النظام الاقطاعى وتقدمت وسائل الاتصال فى مصر بين هذه المجتمعات الصغيرة خلال القرن التالى تحول المصريين من مجموعة من الطوائف الى أمة ذات قومية متكاملة(٣٥) ، ولذلك كان الفرد المنتمى الى طائفة ما لا يستدعى الا نادرا ، لكى يلعب أى دور فى السياسة الداخلية وكان انضمامه الى أى من الحرف يؤدى الى عدم تدخل حكامه السياسيين فى شئونه الا بشكل طفيف ، لانهم — أى الحكام — كانوا يحترمون استقلال الطوائف ، وطرائقها التقليدية ، وكانت احدى الطوائف بل معظمها لها ارتباطات مع احدى الطرق الدينية الكبرى .

وكان الاثر الادبى لهذه الشخصية الدينية واضحا ، فصفات الامانة والاتزان التى اتفق المراقبون على خلعها على صاحب الحرفة المسلم ، كانت تزكيها ، وربما يرجع ذلك أيضا الى التماسك الملحوظ الذى اتصفت به للطوائف على مر العصور ، وقد وفر هذا كله الأساس الروحى والدينى لذلك الضبط الذى باشرته منظمات الحرف على أعضائها وعلى الرغم من وجود اختلاف فى الثروة وأحيانا فى الاحوال الا أنها ساعدت على قيام التضامن الاجتماعى وأكدت الواجب الاجتماعى(٣٦) .

وقد حافظت الطوائف بهذه الطريقة على مستوى الحرف ، وأوقفت المنافسة الخفية ، وخدمت أغراض مجتمع يقوم على تأمين أفراده ، وأقامت العلاقات بينهم ، ولكن على الجانب الآخر وحدت من حرية العامل .

ومن وجهة نظر الحكام ، فان للطوائف قدرة خاصة على التأثير فى الحكم حتى انهم كانوا يرجعون الى المشايخ للضغط على الطوائف . وكان للكخيا دور رئيسى فى تحصيل الضرائب ، ولذلك كان شيخ كل طائفة يدير

---

(٣٥) عمر عبد العزيز (دكتور) ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ، ص٧ .

(٣٦) هاملتون جب ، هارولد بوون ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص١١٥ .

شئونها الداخلية ، ويقوم بالتحكيم بين أعضائها ، ويحسم المنازعات بينهم ويقيم النظام ، ويعاقب المسيئين ، وكانت الشكاوى ضد أى عضو فى الطائفة توجه الى الشيخ الذى نادرا ما كان يفشل فى انزال العقوبة بالمعتدى — حتى فى طوائف المجرمين ، ولكن سلطاته لم تكن أوتوقراطية بأى حال من الاحوال فاذا تجاوزنا عن ما جمعه من المال عن الحدود المعقولة ، واذا ما ثار اعضاء الطائفة على ادارته لأى سبب من الاسباب أبعدوه عن وظيفته ، واختاروا شيخا آخر مكانه ، ولهذا ففى نطاق الحدود التى يفرضها الدين والتقاليد والعادات ، كانت الطوائف حرة نسبيا ، وتتمتع بحكم ذاتى ، وهذا أدى الى تميز الصناعة فى البلاد الاسلامية برغم تأثرها بالظروف الاقتصادية العامة ، وبالاجراءات المحلية(٣٧) .

واد اثر التنظيم المادى للمدينة فى التكوين الاجتماعى ، وفى ظل الوحدة الخارجية للمدينة التى يحدها سورها ، ووحدة العمل التى تمثلها أسواقها الرئيسية ، كانت منطقة المدينة تنقسم الى عدد كبير من الاحياء المنفصلة ويسمى كل منها حارة ، وكل منها مكتف بنفسه ، وله مبانيه العامة والخاصة كالمسجد والحمام والسوق ، وبوابته الخاصة ، ويؤكد هذا الكيان المستقل ، وكان كل حى يكون وحدة ادارية يراسها « شيخ الحارة » وتسكنه أسر وجدت بينها بعض الروابط الطبيعية ، كالاصل ، والمهنة أو الدين ، ومن هنا كانت هذه الاسر تكون مجموعة متجانسة . ولما كان عدد الحارات (الاحياء) أقل من عدد الطوائف المنفصلة ، فانه يبدو أن نظام الحارات قد استفاد من نظام الطوائف ، وان لم يتعارض معه . وكان لشيخ الحارة مهام بوليسية وعسكرية اذا استلزم الامر . وفى القاهرة كان يوجد شيخ لمشايخ الحارات له مركز معترف به بصفته زعيما لسكان المدينة ، وناطقا باسمهم(٣٨) .

---

(٣٧) المرجع السابق ، حـ٢ ص١١٦ .
(٣٨) المرجع السابق ، حـ٢ ص١١٧ .

ولاريب أن الغزو الاجنبى الذى واجهته مصر العثمانية فى أواخر القرن الثامن عشر متمثلا فى الحملة الفرنسية قد وجه صدمة عنيفة للنظام الاجتماعى ، فقد كانت مصر تشكل ــ رغم النزاع الحزبى ــ مجتمعــا راسخا ، تسيطر عليه بالضرورة الصفوة العسكرية ، والعلماء فى تحالف ضمنى مع طبقــة الحرفيين والتجاريين الحضريين تحمى مزاياها عن طريق نقاباتها وروابطها مع الهيئات العسكرية(٣٩) .

ولاشك أن الثوار قد استعانوا بهذه الفئة فى اقامة المتاريس عندما نشبت ثورتا القاهرة الاولى والثانية ، واستعانوا أيضا بالحدادين فى صنع القنابل ، وتشغيل المدافع .. كما ظلوا يقومون بأدوارهم الاجتماعية التى عهدناها ، فيخرجون مع موكب المحتسب احتفالا برؤية شهر رمضان ، وأمامهم مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم(٤٠) .

وشاركت الطوائف فى الاحداث السياسية والاجتماعية ، فحين خرج الناس فى الاستعداد لمعركة امبابة فى الثالث من شهر صفــر عام ١٢١٣هـ (السابع عشر من شهر يوليــو عام ١٧٩٨م) التحموا معهم ، واخذت كل طائفة من الطوائف تجمع الدراهم ، ونصبوا الخيام ، واقاموا بمكان قريب ، أو فى مسجد ورتبوا من يقوم بصرف الدراهم التى جمعوها . وقام بعضهم بتجهيز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والمؤن ، ولم يبخــل أحد منهم بمال ، وبذل كل ما فى وسعه فى سبيل أهدافه الوظيفية ، على أنه سرعان ماتدهورت فنون أصحاب هذه الصنائع ، واصاب انتاجهم الكساد ، وذلك لعدم وجود عمال يطلبونها ، وانقطاع الاصناف المجلوبة التى يعتمدون عليها فى صناعتهم ونتج عن ذلك انحدار أصحاب هذه الصنائع الى احتراف الحرف الدنيئة كبيع الفطائر ، والاسماك ، وطهى الاطعمة فى المحلات والمقاهى .

---

39) P.M. Holt, Egypt and the fortile creseent, P. 160.

(٤٠) عبد الرحمن الجبرتى ، جـ٣ ، ص١٤٤ .

أما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة ، فأكثرهم عمل حمارا مكاريا حتى صارت الازقة ـــ خصوصا المطلة على جهات مساكن الجنود ـــ مزدحمة بالحمير التى تؤجر فى شوارع القاهرة(٤١) .

وهنا يبرز أيضا دور الطوائف المحافظة على الامن ، فقد حدث بعد بضعة أيام من نهاية ثورة القاهرة الاولى أن توجه شيوخ وتجار « حى الغورية » الى بونابرت ، وتدموا تعهدا كتابيا بأنهم سوف يحافظون على الامن ، ووعدوا بالقبض على ابناء الحى الذين يرتكبون ما يخل بالنظام ، وأن يرشدوا السلطات عن الغرباء الذين قد يقيمون بالحى ، كما أنهم أعلنوا أنهم مسئولون شخصيا من أى اضطراب قد ينشأ فى منطقتهم(٤٢) ، وواضح أن الامر هنا أمر سلطة قضائية محلية لطائفة ما أخذت على عاتقها القيام بها فى منطقة نشاطها الاقتصادى .

ومع ذلك ، فان هذا النص شديد التفرد ، كما انه صدر فى ظروف غير عادية لدرجة شاذة ، لا تستطيع الا أن نعتبره دليلا على ماكان يمكن للطوائف المهنية أن تلعبه من دورفى الادارة المحلية ، وقد كان لمشايخ الطوائف والنقباء نشاط سياسى ملحوظ ، وبخاصة فى الاحداث التى أدت الى تولى محمد على مقاليد الامور ، وكان أيضا لمشايخ الطوائف حق الدخول على الباشا فى أيام محمد على(٤٣) .

وقد ازداد اثرهم فى الادارة وفى اتجاهات الحكام ، وكذلك الطابع الثورى الذى كان يعزى عادة الى اعضائها فى فترة الحكم العثمانى ، بسبب اندماج

---

(٤١) حكمت ابو زيد (دكتورة) ، المجتمع القاهرى على عهد الحملة الفرنسية ، ص٣٥٣ ، « عبد الرحمن الجبرتى » فى دراسات وبحوث باشراف أحمد عزت عبد الكريم .

(٤٢) اندريه ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، ص١٧ .

(٤٣) محمد فؤاد شكرى ، وآخرون ، بناء دولة مصر محمد على ، ص٦١٨

الانكشارية والاوجاقات المحليـــة الاخرى فى طوائف الحرف . ويشبه هذا التطور نفسه الذى كان موجودا فى استنبول نفسها ما حدث فى التسلسل التدريجى لاوجاقات القاهرة والمدن الصغرى ، فى الحرف المحلية واستطاعتها فى حالات كثيرة أن تسيطر على الطوائف أو تحتكرها .

ويؤكد جب وهاملتون أن طوائف القاهرة فى أوائل القرن الثامن عشر كانت تقوم فى معظمها على الجند وأبنائهم . وبرغم أن هؤلاء الصناع كانوا يسمون بالاسم التركى « يولداش » الذى تحـــرف فى اللغة العربيـــة الى « ايلضاشى » ، فانهم كانوا معافين من « الخدمة العسكرية » مع أن أسماءهم كانت مدرجة فى سجلات « الاوجاقات » ، وكانوا ينعمون بنصيب مما يوزع على القوات المسلحة ، ويحتفظون بحق حماية فرقهم لهم .

ومن الواضح أنه كانت ثمة عادة منتظمة لدى القوات العثمـــانية حين دخولها احدى المدن ، وهى أن يرتبط الجندى بعضو محلى من اعضـــــاء حرفته ، وأن يعده بحمايته ، فى مقابل نصف أرباحهم الامر الذى كان يغضب أرباب الحرف والتجار المحليين اشد الغضب(٤٤) .

ولقد كان عقاب المخالفين من أعضاء الطوائف كان معقدا جدا بسبب تسجيل عدد كبير منهم فى فرقة الانكشارية ، فهناك قانون قديم كان ينص على عدم معاقبة الانكشـــارية الا على أيدى ضباطهم ، وكان هذا القانون لايزال ساريا رغم أن رجال الطوائف من الانكشـــارية لم يكونوا جنودا الا باسم ، لهذا كان القاضى يضطر الى أن يسلمه الى ضباط الانكشارية من يمثل أمام محكمته منهما ببعض المخالفات وقد قلل هذا التسجيل بعض الشىء من سلطته الكواخى والاختيارية ، فهم طبقا لتعليماتهم الاصلية كانوا يخولون ايقاف مزاولة الاعضاء المخالفين لحـــرفتهم دون الرجوع الى أية سلطة عليا . وكانت المخـــالفات

(٤٤) هاملتون جب ، هارولد بوون — مرجع سابق — جـ٢ ، ١٤٠ .

الصغرى تعاقب بالضرب اذا ما بحثها موظفون آخرون ، ومن ثم كان المتهمون يجلدون أمام حوانيتهم ، وفى المخالفات الكبرى ، وبخاصة اذا ما تكرر حدوثها كانت العقوبة هى السجن مع الاشغال الشاقة ، أو بدونها لمدة شهرين ، أو ثلاثة اشـــهر ، او اجل غير مسمى . وكان الواجب أن يسرى ذلك على الانكشارية وعلى أعضاء الطوائف العاديين ، وذلك رغم أنهم كانوا يسجنون فى سجون مختلفة ، وفى الحالات التى يكشف فيها بيع أعضاء الطوائف سلعا رديئة الصنع أو صنعت بطريقة خاطئـــة يتم الاستيلاء على هذه الســـلع واتلافها(٤٥) .

العـــلاقة بين العلماء والحرفيين :

كانت لهذه النقابات صلات وثيقة بالعلماء ، وبالنظم الصوفية ويقـــال أن بعض النقابات مارست حرفتها داخل حرم المسجد ، وكانت الاجازة التى تمنح للصبى تصاغ فى قالب دينى ، وغالبـــا ما كان العلماء وشيوخ النقابات يتقابلون . ولجأ الشيوخ مرارا الى العلماء لطلب المساعدة حتى فى حرفتهم الخاصـــة ، فعلى سبيل المثال ، ســـاعد والد الجبرتى (الشيخ حسن) فى تصويب الموازين والمكاييل ، وكان ضليعا فى فن رصع الرخام ، كما كان كثير من أفراد النقابات أيضا أعضاء فى الطرق الصوفية شأن كثير من العلماء ، لأن الازهر صار ــ منذ القرن السادس عشر ــ مكزا للصوفية ، وعلى ذلك فان الرابطة بين الجماعات الحضرية ، ذات التنظيم العالى كالعلماء والنقـــابات كانت رابطة جلية ، وقد أصبح من السهل على العلماء أن يدعوا جمـــاعات كبيرة من الاهالى للتعرف على النقابات والنظم الصوفية ، خاصة وأن الازهر كان بالقرب من شريان تجارى للمدينة وهو « حى القصابة » .

---

(٤٥) المرجع السابق ، جـ٢ ص١٣٢ .

وكانت اثارة الخطر تصدر من احدى مآذن الازهر وقد أمكن سماع صوتها فى نطاق واسع . ولما كان معظم النقابات تتقارب وتبعد لى خطوط طبوغرافية مع السقايين القاطنين بشارع واحد ومع النحاسين بشارع آخر وهكذا ، فان السوق بأكمله يغلق حينئذ أبوابه التى توصل الى مختلف الاحياء ذات المتاريس ، وتغلق أبواب الازهر ، ويجتمع الرعاع وهم مصلحون بالهراوات الغليظة أمام الازهر فى انتظار العلماء .

كان هذا هو صوت الرأى العام ، وكان يمكن لهذا الرأى العام أن يخرج عن النظام وينخرط فى جمهرة « الرعاع » ويمكن أيضا أن يصير نواة لحركات المعارضة الشعبية كما حدث ابان الاحتلال الفرنسى ، ولكن من خلال السكان الحرفيين استطاع العلماء كبح جماح السلطات ، كما لجأ السكان اليه معندما رغبوا فى ايصال ندائهم لهذه السلطات(٤٦) .

ومن الملاحظ أيضا وجود علاقة بين علماء الازهر والحرفيين ، اذ أنه فى عام ١٧٠٤م لحق أهل الاسواق « غبن فى تزييف العملة ، وطلبوا من علماء الازهر التدخل فى الامر ، وكتبوا عرضحال الى الباشا الذى أمر باجتماع عام من كبراء القوم ، واستقر الامر على بحث الشكوى ، والعمل على اجابة مطالب الحرفيين(٤٧) » .

وقد وجدت علاقة بين الصوفيين والحرفيين ، لذلك نجد أن جانبا كبيرا من سكان المدينة فى العصر العثمانى ، قد انضموا الى الطرق الصوفية والى الطوائف ، فانه كانت ثمة علاقة بين لنظامين ، ولذلك كان بعض شيوخ الطوائف يقيمون الزوايا أو يتولون الاشراف عليها ، كما أن طقوس الالتحاق بالطائفة شبيهة بطقوس الالتحاق بالطريقة ، وليس صحيحا أنه كان من

46) A.L. El-Sayed, The role of the Ulama in Egypt during the nineteenth century, P.P. 266-267, in P.M. Holt, ed., Political and social change in modern Egypt.

(٤٧) قمر عبد العزيز عمر (دكتور) : مرجع سابق ــ ص٨ .

الضرورى أن تكون ثمة علاقة تربط كل طائفة طريقة معينـــة ، فلم يكن من الضرورى أن يكون جميع أعضاء الطائفة منضمين الى طريقة واحدة ، فقد كانت هناك طوائف لغير المسلمين ، وطوائف تضم اناسا من المسلمين وغير المسلمين وكان هناك اختلاف بين النظامين فالطائفة نظام اداري ، له طابع اقتصادى بينما الطريقة الصوفية تهـدف الى الاشباع الروحى ، فهى ذات طابع دينى وكانت الصلات بين النظامين تقوم على مستويات مختلفة ،فمعظم الناس ينتمون الى النظامين ، اذ أن أعضاء الطريقة كان معظمهم من أعضاء الطائفة ، ولما كانت الطوائف تضم معظم السكان فيما عدا الحكام والعلماء — على ما بينهم من تباين المستوى المادى والاجتماعى ، فانه لم يكن كل أفراد الطوائف أعضاء فى الطرق الصوفية(٤٨) .

وبنهاية القرن الثامن عشر أصبحت تنظيمات الدراويش من القـــوة والنفوذ على جميع الناس ، وظهر نفوذهم قويا ، بل أصبح ممتزجا بالاقتصاد ومجتمع الحرفيين فى المدينة وأوامرهم الروحانية ، وكانوا — أحيانا — يقفون ضد الطغاة والفساد من الحكام ، كما كان الجنود والرتب العالية أيضا — بالاضافة الى التجار منضمين الى الطرق الصوفية(٤٩) .

وقد وجد ترابط بين الحرفيين والصوفيين ، وخاصـــة فى الحـــركات الشعبية ، ويتضح ذلك فى العلاقة التى كانت بين الطريقة البيومية وطائفة الجزارين بحى الحسينية بالقـــاهرة ، وبرز من الجـــزارين قادة الحـــركات الشعبية التى قامت بحى الحسينية ، فى نهاية القرن الثامن عشر ، كما كانت طائفتهم هى النواة التى تتجمع حولها حركات التمرد ، بل كانت هناك علاقات مصاهرة بين المشايخ والجزارين . ونجد أحد شيوخ البيومية والذى كان

(٤٨) رؤوف عباس حامد محمد : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٥٢ ص٢٧

49) Stanford, J. Shaw, Ottoman Egypt in the Ago of the french revolution, P.P. 103-105.

يدعى « أحمــد سالم الجــزار » قد ثار الحى من أجله مرتين الاولى فى عام ٧٨٦م) ، والثانية عام ١٧٩٠م(٥٠) .

وكمــا ســاهمت الحــرف والطــوائف فى جميــع المجــالات ســواء العســكرية أم السياسية أم الاقتصــادية أم الاجتمــاعية ، فاننــا نجـد طوائف الحـرف وقد ساهمت فى الاحتفــالات العــامة والخــاصة ، فكــانت كل طائفــة تشــترك فى المواكب العــامة بعربة تحمل نموذجا من صناعاتها ، وكان أبرز هذه الاحتفالات موكب المحمل ، ووصلة الحج والاحتفال برؤية هلال رمضان ووفاء النيل . واقتصر الاشتراك فى كل احتفال على الطوائف المرتبطة به ، فمثــلا فى احتفــال الرؤية كانت تشترك طوائف التجار والباعة الخاضعة لاشراف المحتسب باعتباره المسئول عن توفير المواد الغذائية فى رمضان ، بينما كانت الطائفة التابعة « للمعمار باش » تشترك فى الاحتفال بوفاء النيل ، لأن « المعمــار باش » كان يرأس ذلك الاحتفال الذى تمثل فيه طوائف المهن المتعلقة بالبناء(٥١) ، وهذه الصلة توضح لنا مدى ارتباط الطوائف بالادارة الحكومية ، وخضوعها لها .

واذا نظرنا الى تطور هذه الطوائف منذ العصر العثمانى حتى قيــام الحرب العالمية الاولى نجد أن وظيفة هذه الطوائف قد امتازت بتحديد عدد أفراد الشعب الذين يمارسون حرفة بعينها ، وفى حرف كثيرة كانت النقابات — التى حلت محل الطوائف بعد ذلك — تحتفظ باحتكار تجارتها حتى العقــد الاخير من القرن التاسع عشر(٥٢) .

ولم تهتم الحكومة بصون نظام النقابات ، ولذلك لم تبق طويلا ، بالاضافة الى النزاع الطبقى بين الاعضاء على اختــلاف مراتبهم ، وعدم وجود نظــام

---

(٥٠) أندريه ريمون : مرجع سابق — ص٢٧٧ .

(٥١) رؤوف عباس : الحركة العمالية فى مصر ، ص٢٧ .

52) G. Baer, Social change in Egypt, 1800-1914, P. 143, in P.M. Holt, od., **Political and Social change in modern Egypt.**

ثابت للصبية ، وتمييز الصبى عن الاجير ، وكانت المسألة يسيرة نسبيا للصبى ، أو الاجير ليصبح سيدا(٥٣) .

ولهذا ، فان ظهور أشكال جديدة بين التنظيم الاقتصادى لتحل محل النقابات التقليدية قد تأخر لمدى طويل ، ولم يشكل التجار غرفا تجارية وصناعية قبل العقد الثانى من القرن العشرين ، وانشىء أول اتحاد للعاملين بالتجارة فى عام ١٨٩٩م ، وفى عام ١٩١١م ، لم يكن هناك أكثر من أحد عشر اتحادا ، بعضها به عضوية للاجانب ، وكان الانهيار والاختفاء النهائى للنقابات أساسا نتيجة لتدفق السلع الاوربية .

وقد اختلفت الآراء حول انهيار نظام الطوائف الحرفية فى مصر فيرى بعض الباحثين أن النظام الجديد الذى وضعه محمد على للصناعة ادى الى انهيار النظام القديم ، فأفسح نظام الطائفة الطريق لنظام المصنع الذى يمتاز بمجموعة الاجراء ، وتحطم نظام الطائفة وفقد ما بقى منها ما كان له من نفوذ قديم . وفى عهد سعيد الغى حق « الشيخ » فى فرض الغرامات على أعضاء الطائفة ، وخيرا تم الغاء ما بقى من الطوائف عام ١٨٨٢م(٥٤) .

والواقع أن «نظام الطوائف» بدأ يفقد استقلاله أثناء الحكم العثمانى لمصر بوقوعها تحت اشراف « أمين الخردة » و « المحتسب » و « المعمار باشى »، ولم يغير الغزو الفرنسى كثيرا من وضعها ، لأن عهد الحملة الفرنسية قصير حتى أنه لم يسمح بادخال تغيير ملحوظ على النشاط الاقتصادى ، ولذلك لجأ الفرنسيون الى المؤسسات القديمة للاستعانة بها فى حكم البلاد ، وكانت

---

53) G. Baer, Social change in Egypt, 1800-1914, P. 143, in P.M. Holt, ed., Political and social change in modern Egypt.

54) Germain, Martin, Les bazars du Caire et les petits metiers Arabes, le Caire, P. 45-46.

طوائف الحرف واحدة منها ، فاعطاها نابليون أهميـــة سياسية حين أشرك شيوخها فى الديوان ، كما التحق عدد من الحرفيين والتجار الذين كانوا يمثلون أنواعا مختلفة بخدمة الفرنسيين(٥٥) ، كما أن نشاط الطوائف فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ينفس ما ذهب اليه بعض الباحثين من أن محمد على قد وجه اليها ضربة قاضية ، لأن عدد أفراد الطوائف ظل أكثر بكثير من عدد العمال الذين التحقوا بالمصانع الجديدة كمـــا أن الاخيرة كانت تختص بأنواع لم يسبق ادخالها الى مصر ، ولذلك لم يتوافر لاعضاء الطوائف المران الكافى عليها . ولكن هذا لا يعنى أن مصانع محمـــد على لم تضم أفرادا من طوائف الحرف ففى بعض الحالات أستفيد بالطوائف فى المصـــانع الجديدة وخاصة طائفة البنائيين ، كما أدت صناعة النسيج التى أدخلها محمـــد على الى الحاق الضرر بطوائف النساجين فى مختلف أنحاء البـــلاد نتيجة اتبـــاع الحكومة لنظام الاحتكار .

واذا كان التطور الذى أدخله محمد على علـــى وسائل الانتاج قد أثر على طوائف الصناعات اليدوية ، فانه كان أقل كثيرا على طوائف التجـــار ، والطوائف التي تعمل بالنقل والخدمات ، وكان هؤلاء وأولئك يحتلون غالبيـــة الطوائف ويضمون معظم أفرادها ، فلم يلجأ محمد على الى تسخير طوائف النقل فى خدمة الجيش واكتفى باستخدام الفلاحين لهذا الغرض ، كمـــا أنه أهتم ـــ بصفة خاصة ـــ باحتكار التجارة الخارجية كذلك لم تعمر تجربة محمد على الصناعية طويلا وبذلك لم يقدر لها أن تغير من أسلوب الحياة فى مجتمع المدينة كما أن نظام الطائفة استمر فى العمل فى ظل حكومة محمد على ، فألزم الشيوخ بالاشراف على أفراد طوائفهم والتأكد من أن تعليمات الحكومة تنفـــذ على الوجه المطلوب ، فلم يكن باستطاعة محمد على أن يقيم جهـــازا

---

55) S.J. Shaw, The Financial and administrative organization and development of Ottoman Egypt, (1518 1798) ; P. 24.

اداريا يحل محل الطوائف فى وقت لم يكن فيه بمصر موظفون على درجة من القدرة والكفاية تؤهلهم للحلول محل شيوخ الطوائف ، واقامة ادارة حكومية تتولى أمورها ، ولهـذا لم يكن باستطاعة محمـد علـى الاستغناء كليـة عن الطوائف .

ولا ريب أن الطوائف ظلت باقية طوال القـرن التاسع عشر ما بقيت الحكومة غير قادرة على احلال النظـام الادارى الحديث محلهـا ولذلك ظل شيوخ الطوائف يتولون الاشراف على نشاط الاعضاء ومراقبة تنفيذ تعليمات الحكومة ، وكانوا مسئولين عما يقع من أخطـاء أفراد طوائفهم وظل شيوخ الطوائف حتى الربع الاخير من القـرن التاسع عشر مسئولين عن جمـع الضرائب من أفراد طوائفهم وظل رأيهم يؤخذ فى الاعتبار عند فرض الضرائب حتى عام ١٨٨٠ كما أنهم ساعدوا الحكومة فى تحديد الاسعار حتى الستينات من القرن التاسع عشر(٥٦) .

وعلى الرغم من عدم قيام صناعة حديثة لتنافس الحرف التقليدية فان الاخيرة تأثرت الى حد بعيد بالتغييرات التى طرأت على عادات الاستهلاك ، كما تأثرت بالتدفق المستمر للبضائع الاوربية على الاسواق المصرية،وتبدأت هذه الظاهرة فى الظهور فى منتصف القرن التاسع عشر ثم أخذت فى احتلال مركز الاهمية تدريجيا وبينما أدى تدهور الحرف التقليدية الى اختفاء معظم الحرف اليدوية ، فان طوائف التجـار تلقت ضربة قوية نتيجة التغير الذى طرأ على النظام التجارى المصرى خلال القرن التاسع عشر ، فقد بدأ نظـام السوق ينحل تدريجيا وانتشرت التجارة فى المدن ، وعمل الاجانب بفروع منها كانت من قبل وقفا على التجار المصريين دون غيرهم من ناحية ، ومن ناحية ، ومن ناحية أخرى تحولت التجارة الخارجيـة تحولا كاملا ، فبعد أن كانت مصر

---

56) G. Baer, Social change in Egypt, 1800-1914, P. P. 129-133, in P.M. Holt; ed., Political and social change in modern Egypt.

تتجر بالبضائع السودانية ، والعربية ، والشرقية ، وكانت القاهرة مركزا من المراكز المهمة لهذه التجارة وللتجـــار المصريين والسوريين والاتراك الذين يقومون بها ، أصبح الاتجاه الرئيسي للتجارة الخارجية فى القرن التاسع عشر هو تصدير القطن الى أوربا واستيراد البضائع الاوربية المصنوعة الى مصر ، وأصبح اليونانيــون والاوربيــون من الجنسيات الاخــرى هم المصــدرين والمستوردين الرئيسيين ، وزيادة على ذلك عانت طوائف التجار من الضرائب الباهظة بقدر ما عانت منها طوائف الحرف اليدوية ، بينما كان التجار الاجانب يعفون بحكم الامتيازات الاجنبية(٥٧) .

وقد أعيد تنظيم الادارة المصرية فى نهاية القرن التاسع عشر ، واصبحت أكثر كفــاءة ، وأخــذ عدد الموظفين المدربين فى الازدياد ، واصبحت الدولة تدريجيا قادرة على حكم الشعب مباشرة . واجرى فى عام ١٨٧٩م أول احصاء رسمى ونتيجة لهذا أصبحت الدولة قادرة على العمل دون الاعتمــاد على الطوائف وبالتدرج أخذت طوائف الحرف فى الضعف ، وتداعى نفوذها المالى والاقتصادى ، واختفت جميع الطوائف عند نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين(٥٨) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن نظام النقابات الطائفية فى مصر كان يختلف عن النظام الموجود فى أوربا فى ذلك الوقت ، اذ أن الطوائف فى مصر لم تحاول تقييد عدد من يسمح لهم بممارسة الحرفة ولم تتدخل لتقييد المعــروض من السلع ، أو لتحديد الاجور وكذلك لم ترهق أعضاءها بالجبايات الثقيلة ، أو بغرض رقابة تعسفية على الانتــاج(٥٩) ، كما كانت مثيلاتها فى أوربــا فى

57) G. Baer, Social change in Egypt, 1800-1914, P.P. 138-139, in P.M. Holt, ed., Political and social change in modern Egypt.
58) G. Baer, Op., Cit., P. 144.
59) M. Clerget, Le Caire, Vol. LL., P. 227.

أوربا فى العصور الوسطى اذ طغت معايبها على حسناتها ، وبمرور الوقت استغلت سلطتها الاحتكـــارية واهملت مسئوليتها عن تأمين جودة الصنف ، وزيادة عدد العمال الفنيين ، واجتنـــاب الافراط فى الانتـــاج أو قصوره عن الطلب ، ولم تكن النقـــابات الطائفية فى مصر من عوامل تأخر الصناعة فى مصر ، بل كانت عاملا هاما فى صمود الصنـــــاعات اليـــدوية من الضعف والانحلال(٦٠) .

كما أن النقابات لا تلزم اعضاءها بأن يتتلمذوا على يد معلم فى الصناعة ، لا تجوز مفارقته ، بل تترك لكل شخص الحرية فى أن يفارق من يشتغل عنده كلما أراد ذلك ، هذا كما أنها لا تتدخل فى مســـائل الاجور ولا فيما يقع من المنازعات بين الشراه والبائعين تاركة جميع المسائل المتعاقد عليها حرة من كل قيد(٦١) .

وحتى وصـــول الحملة الفرنسية كان الحرفيون ينقسمون الى ثلاث طبقات من حيث أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، فالطبقة الاولى كانت اكثرهم بؤسا وتضم عشرة آلاف شخص(٦٢) ويستخدمون فى أعمال ثانوية وكانوا يحصلون على أجر بالغ التواضع يكاد يف لمعيشتهم ويرتدون قميصا أزرق اللون ، من الصوف ويحزم بحبـــل عند وسط الجسم وتغطى رءوسهم بلبدة بيضاء ، أما الطبقة الثـــانية وتضم حوالى ثلاثة آلاف عامل يوميـــة ، وظروفهم ليست اقل من ظروف الاولين مدعاة للشكوى رغم أنهم ليسوا على الدرجة نفسها من البؤس ويرتدون قميصـــا أو ثلاثة فى بعض الاحيـــان ،

---

60) M. Clerget, Op., cit., P. 227.

(٦١) محمد فؤاد شكرى وآخرون ، بناء دولة مصر محمد على ، ص٦١٨ .

(٦٢) ج.دى.شـابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر الحدثين « وصف مصر » الدولة الحديثة ــ ترجمة زهير الشايب ص٢٩١ .

والطبقـــة الثـــالثة وهى حوالى الثبن من العمال ، وحالتهم أكثر يسرا من سابقيهم قليلا ويعمل هؤلاء رؤساء ورش ويرتدون ملابس أكثر فخامة ، وهى عبارة عن شال من الموسلين ، أو الصوف حول طربوش ليشكل عمـــامة ، وملابسهم الداخلية من التيل(٦٣) .

العنـــاصر المكونة للطائفة الحرفيـــة :

بعد أن تحدثنا عن الطوائف الحرفيـــة وتطـــورها فى مصر وكيف أنهم حافظوا على رقى الصناعة وتقدمهـــا ، وبينا أثرهم فى الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتهم بالطرق الصوفيـــة وعلماء الازهر وغير ذلك ، ينبغى أن نتعرض للعناصر المكونة للطائفة الحرفية وهى :

١ ــ شيوخ الرابطة :

لقد استعملت كثير من الالقاب ، وكان لقب « شيخ المشايخ » أكثرها شيوعا فى مصر أثناء الحكم العثمانى ، أما « عريف العـــرفى » فانه لم يكن مستعملا ، « وكبير الحرفة » فقد كان مستعملا ، أما « مقـــدم » أو (الريس) فقد ورد كثيرا فى النصوص التاريخية ، ومستندات المحكمـــة ، واستعمل فى الطب ، فنجد « ريس » الحكماء ، ريس الاطباء وغيرهما ، أما المدير فهـــو رئيس الرؤساء ، وكان الرؤساء ، وكان الشيخ روح الرابطة ، وعند تنصيبه فى الحفلة كانوا يقومون « بشد » خصوصى اذ كانوا يعقدون العقدة الثالثة باسم حسن البصرى الذى كانوا يعتبرونه كبير المشايخ .

وكان شيوخ الروابط يعينـــون من طـــريق الحكومة ، وذلك فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وقد أدى ذلك الى هبوط تقـــاليد الرابطة ، وكان من حق أعضـــاء الرابطة الاعتراض على تنصيب شيخ غير

(٦٣) المرجع السابق ، ص٢٩٢ .

مرغوب فيه، أما الخدم (النوبيين) فكانوا يختارون الرئيس بأنفسهم وكانت الحكومة تتدخل أحيانا فى هذا التنصيب(٦٤) .

٢ ــ شيخ الحرفة واعماله :

كانت وظيفته انتخابية فى الاسم ، ولكنهـــا كانت وراثية فى الواقع فى نطـــاق أســـرة معينـــة ، وكان يعـــاونه جـــاويش ، وينتخب الشـــيخ بالاتفاق ولم يحدث اطلاقا أن انتخب حسب أغلبية الاصوات . وفى حالة عدم امكان الاتفاق بين الرؤساء ، كان شيخ المشايخ يعين أحد المرشحين ، وكان يلى الانتخاب احتفال لتأكيده يحلف فيه الشيخ يمينا . كما أن الحرفة كانت تقوم أيضا بانتخاب الجاويش وكان يقوم بدور مندوب الشيخ ومبعوثه ، وان لم تكن له سلطة قانونية .وكانت مهام الشيخ كما حددت أن يعقد اجتماعات أعضاء الحرفة ، ويحافظ على تماسك الهيئة ، ويجد عملا لارباب الحرفة ، ويعين عليهم الرؤساء ويبحث مع السلطات كل المسائل المتعلقة بالحرفة(٦٥) ، وهو الذى يتولى توزيع الضرائب المفروضة على الاعضاء ، وكانت الحكومة تفرض ضرائب سنوية على طائفة بأكملها ويقوم الشيخ باعادة توزيعها على الاعضاء كل حسب موارده(٦٦) فمثلا كانت طائفة ناسجى الكتان فى الفيوم تدفع ما مقداره ٢٠ر٠٠٠ بارة سنويا ، وأحيانا كانت هذه الضرائب لا تحصل الا بناء على أمر الباشا كما حدث فى عام ١٨٣٦(٦٧) .

---

64) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire ai XIIIe siccle, Tome 2, P. P. 551-552.

(٦٥) هاملتون جب ، هارولـــد بوون ، المجتمع الاســـلامى والغـــرب جـ٢ ص١٣٧ .

(٦٦) رؤوف عباس ، الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ ص٢٦

(٦٧) دفتر ٧٤ معية تركى الوثيقة رقم ٧٩٥ ، ٥ ربيع الاول عام ١٢٥٢هـ من الجناب العالى الى حبيب أفندى .

وكان الشيخ مسئولا عن دفع ما هو مفروض على جميع أعضاء نقابته من اتاوة أو فروة الرأس ، أما الاعضاء فليسوا مسئولين شخصيا أمام الحكومة، كما أنهم بمأمن من أعمال الابتزاز التى كان من الممكن أن يتعرضوا لها لو أنهم لم يكونوا أعضاء فى النقابة نتيجة لجشع موظفى الحكومة .

وبفضل هذا النظام سيطر على جماعات كثيرة من الافراد عن طريق الشيوخ ، فاذا حدث ما يستدعى الشكوى من صـــانع أو أى فرد ينتمى الى احدى النقابات ، فان أيسر الطرق التى يرد بها الحق الى نصابه، أن يرفع الامر الى الشيخ . وكان من حق الشيوخ أن يتصلوا بالباشا وهم يمارسون هذا الحق اذا وقع أمر ذو بال . واذا حدث لاحدى النقابات أن تناقص عدد أعضائها الى حد لا يسمح باستمرارها سواء أكان ذلك التناقص راجعا الى الوفاة أم التجنيد أو لأى سبب ، فان للشيخ أن يقبل أعضاء جددا من بين الفلاحين أو المشتغلين بالزراعة الذين يتوقعون الحصول على حماية هذه الهيئات المنظمة أو المشاركة فى عضويتها ، فقد جرت عادة الفـــلاحين أن يشتغلوا بالزراعة أو بالصناعة او بالملاحة ويدعوهم الى الالتحـــاق بأى من هذه الاعمال ، أما قلة الايدى العاملة فى احدى تلك الحرف ، أو زيادتها فى أخرى(٦٨)، وحتى عام ١٨٨٠م كان مشايخ النقابات يحددون أجور أعضاء النقابات ، ويساعدون السلطات فى تحـــديد أسعار المأكولات(٦٩) . ومن مهمته ايضا مراقبة المقاييس والموازين ، والمكاييل ، ومنع الغش ، وتقـــدير الثمن ، وكلما رأت الحكومة تعديل هذا النظام ، فانها تخاطب شيخ الحرفة(٧٠) .

وكان الشيخ يمنح بعض سلطات قضائية ، فيقوم بفض ما ينشب بين

---

(٦٨) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص٦١٧ .

69) G. Baer, Social change in Egypt, 1800-1914, P. 143

(٧٠) دكتور راشد البراوى وآخرون ، التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، ص١٨ .

افرادها من منازعات ، ويعاقب من يخالف العرف والتقاليد المرعية . وبرغم أن سلطته القضائية لم يؤكدها القانون ، فانها كانت محترمة من الجميع . وكانت تلك السلطة تمتد الى الحكم بالسجن او الغرامة أو اغلاق المحل ، أو حرمان المذنب من عضوية الطائفة(٧١) .

وفى عام ١٨٨٢ كانت قد الغيت كافة الضرائب على النقابات وآخر الوظائف المالية للمشايخ كما منعت احتكارات نقابات معينة خلال عامى ١٨٨٧ — ١٨٩٠ وفى عام ١٨٩٠ أعلنت الحرية الكاملة للتجارة وكان آخر وظائف مشايخ واهمها وهى وظيفة توفير العمالة ، فقد اختفت ابن العقد الاول من القرن العشرين .

ومهما يكن الامر ، فانه فى هذا الوقت لم تبق كثير من النقابات فى اية وظيفة فى الحياة العامة فى مصر ، بينما توقفت الحكومة المصرية عن تعيين مشايخ النقابات قبل الحرب العالمية الاولى .

وهناك اختلاف اساسى بين سلطة الشيوخ الادارية وسلطتهم القضائية ، فالاولى تنبع من رغبة الحكومة فى أن تنفذ تعليماتها بواسطة جميع القاطنين فى المدن حين لم يكن باستطاعتها القيام بهذا العمل مباشرة حتى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، فاستخدمت المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الموجودة كحلقة اتصال بينهما وبين المحكومين ، بينما احتفظت لنفسها بحق أستخدام القوة ، ولكن حين تكون الحكومة ضعيفة فان الشيوخ يزدادون قوة ، ولما كانت تلك القوة لا سند لها من القانون فلم يكن هناك ضرورة لابقاء سلطة الشيوخ القضائية عن طريق التشريع فبقيت بأيديهم حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين(٧٢) .

---

(٧١) رؤوف عباس حامد محمد : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٥٢ ص٢٥ .

72) G. Baer, Social change in Egypt, 1800-1914, P. 144.

ويلاحظ أن بقاء شيخ الحرفة فى منصبه متوقف على رضـــاء الحرفيين عنه ، واذا لم يكن كذلك لاى سبب من الاسباب أبعدوه عن وظيفته واختاروا شيخا آخر مكانه(٧٣) ، ، كما أنهم اذا رغبوا فى الاحتفاظ به فان الكخيـــا المتولى لا يستطيع فى نهاية العام أن يبدله كماانه ليس فى مقدور هذا الاخير زيادة مبلغ الالتزام ، ويضطر الكخيا المتولى لتعيين شيخ آخر ، ويطلب الى الطائفة ان تحدد له شيخا بعينه ويتم ذلك بطريق النداء وبدون أية صيغة أخرى ، وبدون اللجوء الى طريقة الاقتراع ، على الرغم من معرفة الاتراك لهذه الطريقة ، ولكن عندما يريد الكخيا أن يرغم الحرفيين على اختيار شيخ معين ، فانهم يرفضونه ويعترضون على ذلك ، ويضطر فى النهاية الى الموافقة على طلبهم ، وهذا ما حدث فى طائفة الحمامين عندما أراد الكخيا تعيين شيخ عليهم ، ولكنهم رفضوا تعيينه ، وقد اضطر فى النهاية الى الموافقة على تعيين شيخ عليهم طبقا لموافقتهم(٧٤) .

مراحل تدرج الحرفيين :

مادمنا قد تكلمنا عن شيخ الحرفة واعماله والشروط التى يجب توافرها لانتخابه والاعمال التى يقوم بها ، ينبغى أن نعطى فكرة عن المراحل التى كان يمر بها الحرفى حتى يصل الى رتبة المعلم أو الاسطى . ولقد كان يمر بثلاث مراحل هى الصبى Apprentice) ، والعريف (Journeyman) ، والمعلم أو الاسطى Master Crafts man ، وسنتحدث عن كل واحد من هؤلاء بالتفصيل .

(١) الصبى :

وهو يعيش عند المعلم ، وعليه الطاعة والاحترام ، وعلى المعلم أن

---

(٧٣) هاملتون جيب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص١١٦ .

(٧٤) دفتر ٨٧٥ ديوان خديوى تركى مكاتبة رقم ٨٦ بتاريخ ٢٢ صفـــر عام ١٢٤٨هـ من المجلس العالى الى ديوان الخديوى .

يعلمه أصول حرفته ودقائقها ، والمدة التى يجب أن يمكثها عند المعلم حوالى سبع سنوات على حسب استعداده الفطرى ، كمــا كان الحال فى أوربا فى القرون السابقة للانقلاب الصناعى ، يراعى فيها تعويض المعلم عما تحمله من نصب ، وعن المواد التى يتلفها الصبى وعندما يأتى الوقت الذى يشعر فيه الصبى بأنه بلغ درجة كافية من التدريب تؤهله للعمل لحسابه الخاص ، كان يعرض نماذج من عمله على شيخ الحرفة(٧٥) ، وفى أيام الفتــوة كان الصبية الذين يدخلون الطائفة يعطون « أبويين فى الطريق » و « أخويين فى الطريق » مهمتهم الاشــراف على تدريبهم وسلوكهم . وكانت العلاقة بين « المعلم » وصبية تشبه العلاقة القائمة بين الدرويش المتمرس ومريديه ، وهكذا قامت عاطفة تضامن قوية جدا بين أعضاء الطائفة التى أصبحت بؤرة الولاء ،تفوق فى ذلك الدولة أو الدين ، وبقيت هذه الطائفة بعد تحول الطوائف الى العلمانية ، ولابد أن انتماء عدد كبير من أرباب الحرف الى الانكشارية قد شتت هذا الولاء بشــكل ما ، ولكن تضامنهم كان ينمو بسبب تقــارب حوانيتهم(٧٦) ، ويلاحظ أنه لم يكن يسمح للصبى بترك معلمه الا بعد الحصول على موافقة شيخ الحرفة ، والا كان من العسير عليه الحصول على عمــل مناسب ، ومع ذلك فلم يكن ترك المعلم الى سواه أمر صعب المنال(٧٧) .

وكان قبول عضو جديد باحدى الطوائف الحرفية يتم على مراحل تبدأ كل مرحلة بحفلة معينة :

١ ـ حفــل الالتحــاق :

ويتم عند انضمام الصبى الى الطائفة ، وفى ختامه يصبح الطفل صبيا

---

(٧٥) محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، ص٣ .

(٧٦) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، ج٢ ص١٣٦ .

77) Jomard, Description de L'Egypte, Vol. 18, P. 273.

لدى الاسطى ويبدأ عادة بقراءة الفـــاتحة وبذلك يكون قد مر بأولى مراحل الالتحاق بالطائفة .

٢ ـ حفــل العهـــد :

وفيه يلقى الاسطى بأسئلة يجيب عنها الصبى ، ثم يلقى عليه بعض النصائح ، ثم يتلو عليه القسم وينتهى الحفل بتــلاوة آى الذكر الحكيم والصلاة على النبى (ﷺ)(٧٨) .

٣ ـ حفــل الشـــد :

ويقام هذا الحفل عندما يبلغ الصبى حدا من الكفاءة فى الحرفة ويدخل الصبى سلك الطائفة أو مشدود حيث يمر بحفل الشد ، الذى يحزم فيــه بحزام الطـــائفة على يد النقيب بحضـــور الشيخ ، وفى هذا الحفـــل يقوم هذا الحفل يقوم «الكبير» اى المعلم ، بتقريظ تلميذه امام شيخ الطائفة مبينا مدى مهارته فى اتقان الصنعة ، ثم يليه الجد وهو كبير الكبير ثم يقوم النقيب والطالب بعقد حلقات مع العمال من زملاء الاخير ، لتصفية ما قد يكون بينه وبين الطالب من منازعات ، وبعد ذلك يعقد اجتماع كبير للطائفة تولم فيه وليمة ، ويفتتح الحفل بقيام كل عضو بقراءة الفاتحة الكبيرة ويهدى كل منهم الى الشيخ عودا أخضر ، ثم يقوم الطالب بمناشدة الحشد أن يطلبوا من الشيخ أن يستجيب لكبيره ، ويلحقه بحمايته ، ويقبله عضوا بالطائفة ، فاذا اعترض أحد الحاضرين كان على الطالب مصالحته ، وبعد ذلك يشمل الصمت الجميع ، ويقوم الطالب فيتوضأ ويصلى ، ثم يعقد فى حزامه أربع عقد واحدة لكبيره هو ، وواحدة لكبير كبيره (الجد) وثالثة للطائفة والرابعة لامام العلوم

---

(٧٨) أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، ص١٦٢ ـ ١٦٣ .

على بن أبى طالب ، ثم ينصح الحاضرون المشدد بأن يكون عفيفا ، خيرا ، والا يقدم على فعل ما يغضب الله ، وان يتمسك بالشريعة ، وكان حفل الشد يكلف الصبى مصاريف باهظة خلاف الهدايا التى كان يقدمها الى النقيب وكبير الاسطوات الحاضرين وكانت عبارة عن أقمشة وصابون(٧٩) .

ب ـ العريف :

أما العريف فهو يعمل عند المعلم نظير ايوائة واستخدامه ويجوز للمعلم أن يستخدم لديه اثنين أو ثلاثة والمدة التى يمكثها عند المعلم من سنتين الى خمس سنوات ،ولا يجوز للعريف أن يترك معلمه دون انقضاء المدة المذكورة، والمعلم نفسه لا يجوز له ترك العريف لأى سبب(٨٠) .

واذا أراد العريف ان يرقى الى معلم لابد له أن يتفنن ويتقن عملا ، ويوافق عليه المعلمون والشيخ ، وكان يعقد احتفال ثان « للشد » ولكن هذا الاحتفال كان أقل تفصيلا ، اذ كان الامر يقتصر على أن يعد المرشح بمراعاة الطرائق التقليدية التى جرت عليها الحرفة(٨١) .

جـ ـ المعلم او الاسطى :

أما المعلم ، فلابد أن يكون ملما بدقائق الحرفة ، وينتخب المعلمون من بينهم شيخ الحرفة ، أو شيخ الطائفة(٨٢) وكان يستخدم لديه عددا من الصبية ، لا يجوز التجاوز عنهم ، ويعرفهم أصول المهنة وأسرارها ، واذا

79) A. Raymond, Artisans et commercant au Caire au xille siecle, 2 Vol. P. 550.

(٨٠) محمد فهمى لهيطة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، ص٣ .

(٨١) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ص١٣٨ .

(٨٢) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص١٦ .

أراد اى صبى ترك معلمه لا يجوز له ذلك ، الا باذن من معلمه الخاص ، واذا نشب خلاف بينه وبين صبيه بخصـــوص أسباب مادية ، فان الشيخ يتدخل ويلحقه بخدمة معلم آخر . واذا كان الخلاف بسبب تشاجر ، فان عملية الصلح تتم بواسطة الشيخ(٨٣) .

ولكن يحصل الصانع على ترخيص بمزاولة تعلمه الحرفة ، ويصبح بذلك « اسطى » يقام له حفل « الاذن » ثم تقام له حفلات شد أخرى ، يترقى بعدها فى مراتب الطائفة وهى مرتبة البيشرويش ، ثم مرتبة النقيب الثانى أو الوسطانى ، ثم مرحلة النقيب أو النقيب الكبير واخيرا مرتبة الشيخ(٨٤) .

ونتيجة للاعتبارات الدينية كان الاعضاء غير المسلمين ، والطوائف غير الاسلامية توضع فى موضـــع شاذ ، على انه لم يحـــرم عليهم الاشتراك فى احتفالات الحرفة وتنظيمها ، وكان يعين للاعضاء غير المسلمين فى الطـــائفة المختلطة « آباء » معلمون مسلمون « للحرفة » ومن ناحية اخرى كانت تحترم عاداتهم الدينية ، فتستبدل « صلاة الرب » مثلا بالصلاة عندنا فى حالة قبول مرشح مسيحى .

مزايا نظـــام الحرف ومساوءه :

واذا نظرنا الى هذا النظام نجد العديد من المزايا والمساوىء نجملهـــا فى دقة الصناعة وارتقاء الفن ، فضلا عن أنها توجد روحاً من الاخاء والتعاون بين أعضاء المهنة الواحدة ، ومنع المنافسة غير الشريفة بين الاعضاء(٨٥) .

---

(٨٣) احمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر، ص٣٠ .

(٨٤) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١٦٣ .

(٨٥) عبد المنعم فوزى : مذكرات فى تطور مصر الاقتصـــادى والمالى فى العصر الحديث ص٢٣ .

وكانت الطائفة تخدم عدة اغراض ؛ فقــد كانت توفر الوسيلة التى تمكن أقل المواطنين شأنا من التعبير عن غرائزه الاجتماعية والاطمئنان الى مكانته فى النظام الاجتماعى ، ومن ناحية أخرى كان الحرفى فى مأمن من ان يتــدخل حكامه السياسيين فى شــئونه الا بشكل طفيف ، اذ كانوا ــ بوجه عام ــ يحترمون استقلال الطوائف وطرائقها التقليدية(٨٦) .

ومما كان ينمى الوظيفة الاجتماعية لبعض الطوائف ، وخاصة طوائف الحرف ما لها ــ عادة ــ من ارتباطات مع احدى الطــرق الدينية الكبرى ، وكان لهذا الارتباط أثره فى الامانة والاخلاص والواجب ، وخاصة عند الحرفى المسلم(٨٧) .

كما أن هذا النظام يخرج الافراد الذين لا يستطيعون مواصلة العمل فى الحرفة ، ولذلك نجد أنه يخدم الصناعة لطرد الدخلاء عليها ، أو الذين ليس لديهم استعداد شخصى ليتعلم أصول وفن المهنة ودقائقها(٨٨) ٠٠ وقد يبدو أن هذا النظام مقيدا للحرية ، ولكنه كان مفيدا للصناعة فى ذلك الوقت ، لانها كانت صناعة يدوية ، وتتطلب شيئا من المهارة والدقة ، وكان الحد من انشاء المصانع ، والمدة التى يمكثها كل من العــرفاء والصبيان يجعــل الصناعة دقيقة ، لأن صاحب العمل فى هذه الحالة لا يهمه سوى الحصــول على أكبر ربح ممكن ، وبالتالى يؤدى الى دخول كثير من العمال غير المهــرة المهنية ويدخلون فى زمرة الحرفيين . ويترتب عليــه تدهور الصناعة وعدم دقتها ، ولكن يختلف الحال تماما فى نظام الحرف والمراحل الثلاثة التى يمــر

---

(٨٦) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاســلامى والغــــرب ، جـ٢ ، ص١١٥ .

(٨٧) محمد فهمى لهيطة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثــة ، ص٣٠ ، ٣١ .

بها الصبى ، حتى يصل الى المعلم، وطول المدة التى يمكثها كانت كفيلة باتقان مهنته ويترتب ليه اتقان الصناعة ورقيها .

على أن هذا النظام أصابة الضعف بعد ذلك، نظرا لاتباع نظام الاحتكار واغلاق الباب أمام الابتكار والتن . ولم يكن هذا موضع سخط فى مصر فقط بل كان فى فرنسا أيضا ، ومن أجل الخدمات التى قدمتهـا الثورة الفرنسية الغاء النقابات الطائفية فى فرنسا(٨٨) .

وقد أدى تدخل الاتراك العثمانيين فى نظام الحرف فى مصر الى تحولها عن الغرض الذى من أجله أنشئت ، فبعد أن كان هذا النظام يعمل على الرقى بالصناعة ، وفنونها والمحافظة على مصالح الحرفيين تحول الى ادارة يتحكم بها فى الصناع وارادتهم ، طبقا لرغبات وطلبات الحكومة(٨٨) .

كما أن قيام الحكومة بوضع الطوائف تحت اشرافها المباشر ، جعل عمل شيخ الطائفة بعد أن كانت مهمته الاشراف الدقيق على رقى الحرفة ودقتها — جمع الاموال التى كانت تفرض عليهم بمنتهى القسوة والاعجاز الامر الذى

---

(٨٨) على لطفى ، التطور الاقتصادى فى مصر وأوربا ، ص٢١٩ .
(٨٩) محمد فهمى لهيطة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الوسطى الحديثة ، ص٣٠ .
وقد أخذ هذا النظام يتلاشى شيئا فشيئا منذ عهد محمد على ، ويرجع السبب فى ذلك الى أدخال الصناعات الكبيرة من جهـة ، وتدخل الحكام . فى تقليل سلطة المشايخ للحرف من جهة حتى قضى على الطوائف قانونيا على اثر الامر العالى الصـادر فى ٩ يناير عام١٨٩٠ ، وقد قرر حرية احتراف أية مهنة ، ولم يشترط أن يكون المحترف صبيا متمرنا ، فمهد بذلك السبيل لقيام الجماعات الاختبارية بين أهل الحرفة الواحدة ، وكذلك نقابات العمال الحالية . (أنظر أمين مصطفى عفيفى عبد الله ، تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص٩٦) .

جعل كثير من الحـــرفيين المهرة يعجزون عن الدفع ، وترتب على ذلك تركهم للحرف . ولنا أن نتصور مدى الضرر الذى أصاب الصناعة نتيجة ترك أمهر العمال لها .

ولقد أصبحت وظيفة شيخ الحرفة مع مرور الايام لمن يشتريها بثمن أحسن ، ولنا أن ندرك أثر ذلك على رقى الصناعة وتقدمها ، فبعد أن كان شيخ الحرفة ملما بأصول الحرفة أصبح كل همه جمع الكثير من الاموال والعمل على ارضاء رجال الحكومة(٩٠) ، وبعد أن كان دور شيخ الحرفة أن يعمـــل على اجابة مطالب أعضاء مهنته اصبح ـــ بعد ذلك ـــ هو جمـــع المال للحكومة ، واصبح هذا النظام يشبه نظام الالتزام فى الزراعة .

وكان لهذا أثره السىء على الحرفيين والصناعة معا(٩١) .

كان عمل شيخ ـــ الحرفة ـــ فى البداية معاقبة افراد طائفته اذا خرجوا عن تقاليد الحرفة ، ولكن حين أصبح عمله اداريا اهمل هذه الناحية وترتب على ذلك أن تهاون الكثيرون فى أعمالهم ، بالاضافة الى ضعف حماسهم وباحوا بأسرار مهنتهم ، وأصبح نظام الحرف اداريا محضـــا ، الامر الذى أدى الى تكوين طائفى لغير الصناع كالحمالين والسقايين والمثلين والمغنيين وغيرهم . وهذه كانت تعتبر حرفا وضيعة ودنيئة ، ومن هنا فقد نظام الطوائف مما كان له من تقدير(٩٢) .

---

(٩٠) المرجع السابق ، ص٩٦ .
(٩١) محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، ص٣٢ .
(٩٢) محمد فهمى لهيطة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصـــور الحديثة ، ص٣٢ .

وكان التجار المصريون كالحرفيين ـــ مثلا ـــ يعانون من رســـوم

دراسة لبعض الحــرف :

مادمنا قد تكلمنا عن حالة الحرف وتطورها حتى تم القضاء على نفوذها وخاصة سلطة المشايخ القضائيةفى عهد سعيد ، لابد أن نعرف بعض التفاصيل عن هذه الحرف وكيف كانت تدار وسأتحدث هنا عن بعض الحرف التى كانت شائعة ومايزال بعضها موجودا حتى وقتنا الحاضر .

١ ـــ حرفة صيــد السمك :

كانت هذه الحرفة موجودة فى كل مكان ، فان المصـــايد المنظمة لم تكن توجد الا فى بحيرتى البرلس والمنزلة معا فى الدلتا ، وكانت حقـــوق الصيد فى البرلس معطاه على شكل التزام مقابل ٣٣٠٠ ريال(٩٣) ويقوم الصيادون بصيد السمك ، واعداد البطارخ ، وكانت الاسماك التى لا تباع تملح ويتم هذا بناء على موافقة الباشا(٩٤). والاسماك المراد تمليحها ترسل الى دمياط حيث تملح هناك ، ومنهـــا ترسل الى القـــاهرة وأماكن اخر ونلاحظ انه كان يستعان بالاوربيين لتعليم الاهالى صناعة تنشيف السمك(٩٥).

ضرائب فادحة فى حين أن التجار الاجانب قد أعفـــوا منهـــا بمقتضى الامتيازات الاجنبية ، ومن هنا فقد وجهت الضربة القاضية للنقابات فى نهاية القـــرن التاسع عشر ، وأهمـــل الاوربيون أمر المشـــايخ باعتبارهم ممولين للعمال ، وساعد على ذلك ظهور المدن المصرية ، وخاصة فى خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، بالاضافة الى تدفق الناس الى المدن مما أدى الى زيادة الذين لم يكونوا أعضـــاء فى النقابات . (انظر

G. Baer, Social change in Egypt, P. 1800-1914, P. 144.

(٩٣) هاملتـــون جب ، هرولد بوون ، المجتمـــع الاســـلامى والغرب ، جـ٢ ، ص١٤٦ .

(٩٤) دفتر ٤٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٠ة بتاريخ ٢٢ ربيع الاول سنة ١٩٥٢هـ أمر كريم الى اسماعيل أغا حاكم البرلس .

(٩٥) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، حـ٢ ، ص٣٨٣ .

وقد عمل بالملاحة النهرية عدد كبير من المصريين ، وكان البحارة أقويا ذوى عضلات ، يحتملون معها العمل فى التجديف ،والدعم بالقوائم ، وحبال المراكب ، وكانوا أيضا مرحين ، خاصة عندما ينغمسون فى العمل ، ونتيجة للتغيرات المستمرة التى تحدث فى قاع النيل فان الملاحين الاكثر خبرة عندما يرتطم قارب ، أصبح من الواجب عليهم النزول الى الماء لسحب القوارب بأكتافهم وظهورهم(٩٦) .

واخيرا ، فان العدد الكبير من القوارب كان يستعمل فى كل خدمات النقل على النيل وقنواته ، وأصبحت هذه مهنة ضرورية ، لا غنى عنها ، بالنسبة لجمهور القرويين الذين لا يقومون بالزراعة الا فى أثناء الشتاء والذين كانت الضرائب الثقيلة تبتلع الارباح التى كانت تدرها عليهم محاصيلهم . وكان عدد من سكان المدن الساحلية يعملون أيضا بحارة فى سفن الشواطىء(٩٧) .

٢ — السقاءون :

كانت القاهرة تعتمد كلية على النيل ، الذى كان يجرى على بعد كيلو متر من الحد الغربى للمدينة ، بينما كان الخليج المصرى لا يجلب المياه الا لمدة ثلاثة أشهر عقب الفيضان ، وكانت المياه ملحة ولهذا تزود الناس بالمياه الصالحة للاستهلاك وللاستعمالات المنزلية بواسطة تلك الغدوات والروحات التى لا تنقطع لحاملى المياه (السقايين) . وكان السقاءون يكافأون من قبل عملائهم ، وكانت تقسيمات طائفتهم على أسس منطقية بالفعل ، فكان يوجد فى

---

96) E. Lane, An Account of the manners and customs of the modern Egyptians, P. 28.

(٩٧) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، جـ٢ ص١٤٦ .

نهاية القرن الثامن ثمانى طوائف للسقايين(٩٨) ويبدو أن هذا التقسيم يعود الى اسباب « تقنية » و « طبوغرافية » .

وكانت الميـــاه اذا تاتى من النهـــــر الذى وجدت على طوله الموردات « موردة » التى يصب من عندها السقاءون ، لذا كان من الطبيعى أن تنشــأ تلك الطوائف الاربع متدرجا طائفة لحاملى المياه على ظهور الحمير « لحى باب البحر » ، ثم طائفة لحى باب اللوق ، ثم ثالثة فى حارة السقايين ، والرابعة فى تناطر السباع ، كما كانت توجد طائفة لحاملى المياه على ظهور الجمال(٩٩) .

وابتداء من هذه النقطة المختلفة كان « سقاءو القطاعى » يحملون القرب ويسيرون على أقدامهم ، يوزعون المياه فى أحياء القاهرة ، وكان نداؤهم دائما « يا رب عوض على » وعندما يسمع هذا النداء يعرف من ذلك أن السقاء يمر فى الشارع ، ويحضر الماء من مسافة ميل ونصف فى قربة من جلد الماعز ، ونادرا ما يحصل على أكثر من بنسز .

وهناك أيضا كثير من السقايين الذين يمرون فى شوارع العاصمة بالماء وتسمى احدى هذه الحرف « شراب السقا » وفى قربته صنبور ويصبه الماء فى كوب من المعدن ، أو قلة من الفخار لمن يشرب وهناك الكثيرون من هذه الطبقة يقومون بهذه الحرفة ويسمون حمالون(١٠٠) ، ولم يكن نشاطها يغطى القاهرة فى مجموعها فقط بل كان يغطى أيضا بولاق ومصر القديمة .

ومن الواضح أن هؤلاء الباعة لم تكن لهم دكاكين ، كمـــا أن توزيعهم

---

(٩٨) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمـــانية ، ص٤٩ .

(٩٩) المرجع السابق ، ص٥٠ .

100) E. Lane, An Account of the manners and customs of the modern Egyptians, P. 17.

الجغرافى بين قطاعات المدينة المختلفة كان مرتبطـــا بتوزيع السبل حيث كان يتزود الكثيرون منهم بمياهها ، فمن بين ٢٢٦ سبيلا بينها كتاب « وصف مصر » كان ثمانون منها (٣٤١/٢٪) سبيلا موجودة فى القاهرة الفاطمية ، وفى قرية الحسينية (المقصود هنا حى الحسينية) (٢٢ر٦٪) فى الحى الجنوبى وهو توزيع يتفق الى حد ما مع توزيع السكان ، وكان حى باب زويلة هو المقـــر لطائفة حاملى مياه السبيل(١٠١) .

واذا كانت احتياجات القاهرة كثيرة ومتعددة ، فأولاها الحاجة الى المياه النقية اللازمة للاستهلاك سواء داخل البيوت أو خارجها . وقد كانت الشوارع ترش بالمياه حرصا على نظافتها ، وهناك أمر من الحكام يلزم أصحاب الحوانيت بوضع « جرادل » بهـــا ماء بصفة مستمرة تستخدم عنـــد نشوب أى حريق ، بالاضافة الى الحمـــامات التى كانت موجودة والتى بلغت المائة عام ١٨٠٠م واستهلكت مقادير كبيرة من المياه(١٠٢) .

ويلاحظ أن مهنة السقاية كانت منظمة منذ فترة قديمة جدا حسب قواعد دقيقة ، كما تشهد بذلك دفاتر الحسبة (مراقبة الاسواق) وكان يعتنى دائما بهذه المهنة ، لأن الصحة العامة تتأثر بها تأثرا مباشرا ، ومن هنا فقد صدرت تعليمات لمن يعملون بها ، منها النزول بعيدا عن الشواطىء والاماكن القريبة من المراحيض ، ومساقى الحيوانات ، والتشديد عليهم بنظافة قربهم وجرارهم ، وقد نبه عليهم أن يعلقوا أجراسا صغيرة فى رقاب حيواناتهم ، حتى ينتبه الناس لقدومهم ، ونبه عليهم أيضا بارتداء السراويل القصيرة ذات اللون الازرق ،

---

(١٠١) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص٥٠ .

(١٠٢) المرجع السابق ص٩٣ ــ ٩٤ .

مع تفصيلها بطريقة لا تخدش الحياء(١٠٣) .

وقد أدت كثرتهم العددية الى انقسامهم حسب التخصص الفنى الى :

١ ــ السقايين الذين يبيعون المياه فى قرب ، وسقايين الكيزان وهم الذين يبيعون الماء فى الكزان .

٢ ــ السقايين أصحاب الخيول فى المدن ، وكانوا ينتسبون الى سلمان الكوفى (١٠٤) .

٣ ــ السقايين المتجولين وكانوا ينتسبون الى الشيخ ابن الكواثر(١٠٥) .

وقد أدت عملية نقل المياه الى نشأة وتطور حرف صناعة الآلية والقرب الجلدية والجرار الفخارية التى كانت تستعملها طائفة السقايين وتوضح قائمة عام ١٨٠١م أن ثلاث طوائف كنت تقوم بصناعة القرب وبيعها وإصلاحها فقد كان يوجد فى القاهرة فى عام ١٨٧١ م، ٨٣٤ صانع فخار ، ١٨٣ صانع قرب جلد ، وكان يسمى الحى الذى كان يصنع فيه « حى القربية »(١٠٦) .

وقد كان للسقايين وظائف أخرى مثل قيامهم بأدوار رجال المطافىء فى اطفاء الحرائق متعاونين فى ذلك مع طوائف مهنية أخرى ، وكان الوالى يقوم

---

(١٠٣) أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص٩٥ .

(١٠٤) وفى طائفة منفصلة عن سقايين القرب (السقايين حاملين القرب والذين كانوا ينتسبون الى محمد بن عبد الله ، وعندما يريد أى فرد الانتساب الى طائفة السقايين عليه حمل قربة أو كيس ملىء بالرمل يزن ٦٧ رطلا لمدة ثلاثة أيام ، دون أن يسمح له بالاستناد أو الاتكاء أو الاستراحة أو النوم طيلة هذا الوقت ، وتفاصيل هذا الاختبار قد تكون محل مناقشة ولكن مما لا جدال فيه أن تقاليد مهنية معينة كانت قد تأصلت عند السقايين .

(١٠٥) وهم الذين يحملون قربهم لى ظهورهم .

(١٠٦) أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١٠٤ .

بجولات ليلية منتظمة فى القاهرة ، مع فرقة من جنـود الشرطة ، والسقايين والتجاريين ، والقصارين ، الهدادين(١٠٧) .

وكانت جماعة السقايين فى القاهرة ــ كما كانت فى كل مدينة اسلامية ــ عنصرا اساسيا من عناصر المظهر الاجتماعى ، ويحكم ذهابهم من منزل الى آخر ــ كما تقضى وظيفتهم ــ هيىء لهم أن ينفذوا الى أعماق « البيوت » حيث السيدات ، ولذلك لعبوا دورا هاما فى نقل الاخبار ونشرها وساهموا بطريقة مباشرة فى الحيـاة اليومية لاهالى القـاهرة . وكان السقاءون يستخدمون كوسطاء فى المغامرات العاطفية التى افترض وجودها فى معاقل الحـريم ، ولعبوا دور « رسل الغرام » متنافسين فى ذلك مع الحمارين الذين كانوا ــ هم ايضا ــ على صلة بالعنصر النسائى وكانت شهرتهم السيئة فى هذا الامر حقيقة مسجلة(١٠٨) ، وينتهى بهم الامر أن يكونوا ثروات كبيرة ، والنساء هن اللاتى يخترنهن ويتبادلهن فيما بينهن ، ويتمتعون بحظ أوفر من الآخرين ، ويوليهم أرباب البيوت أكبر قدر من الرعاية وتبسط النساء عليهم حمايتهن ، ويحرصن على راحتهم ، ولهذا التكريم أسباب عديدة ، فالنساء ــ وهن بطبعهن رقيقات وشغوفات ــ لا يمكن أن يسلكن هذا المسلك الا ربما بدافع من شفقة حميدة ربما من تصنع الدافع الانسانى ، ومع ذلك فيحتمل أن تكون ثمة نواحى ضعف خفية هى التى تحدو بهن الى اكرام الرجال يكمن لهم قدرا من العاطفة(١٠٩) .

وإذا نظرنا الى هذه المهنة من الناحية الاقتصادية ، نجد « السقا » كان يتقاضى أدنى أجر ــ وهو عشرون فضة ــ نظير قيامه بنقل المياه لمسافة بعيدة

---

(١٠٧) المرجع السابق ، ص١٠٦ .

(١٠٨) إندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١٠٦ .

(١٠٩) ج.دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ص٢٩٣ .

تبلغ حولى ثلاثة كيلو مترات وبالرغم من ذلك ، فانهم كانوا يدفعون الضرائب بانتظام ولذا فثمة ما يؤكد أن الوضـــع الاجتمـــاعى للسقايين لم يكن يحظى بالاحترام ، فحمار الحكايات الذى كان يعرف ما كان يعـــرف ما كان ينتظره فى نهاية حياته ـــ كان يشكو قائلا « عندما لا أعود أستطيع الجرى فسوف يغطون ظهرى بسرج خشبى ويسلموننى الى سقا ، يجعلنى أحمل المياه فى القـــراب أو فى الجرار ، ويالها من نهاية حقيرة »(١١٠) .

ومع ذلك ، فربما كان ينعكس على السقا شىء من الصفة الدينية بالنسبة الى الخدمات التى يقوم بها كجلب المياه فى جنازة الموتى ، وكانوا فى فترة الحج يتصدرون الموكب حيث يؤمنون جمهوره من العطش مياه الشرب على حسب المنشآت الخيرية ، وكانوا يجمعون بين هذه المهنة وبين النشاط الدينى بشكل يبدو فيه الاثنان شيئا واحدا ، فقد كان دراويش طريقتى الرفاعية والبيومية ينقلون الى الجرار الفخارية ويقدمونها للمارة أيام الاعياد وفى موائد الاولياء مقابل مبلغ زهيد(١١١) .

وقد ظهر دورهم فى الازمات السياسية ، ففى عام ١٧١١م أثناء المعارك التى دارت بين طائفتى عزبان والانكشارية ، كان الفريقان يتسارعان للاستيلاء على جمـــال السقائين وحميرهم ، وكثيرا ما يحـــدث هذا ويتعرض فيها الأمن للاضطراب ، وقد لجأ الفرنسيون ـــ كذلك ـــ أثناء حملتهم على ســـوريا الى اجراء مماثل ، وفى عام ١٨٠٦ لجأ محمـــد على الى اجراء شبيه بمـــا فعله بونابرت(١١٢) .

---

(١١٠) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١٠٧ .
(١١١) المرجع السابق ، ص١٠٩ .
(١١٢) المرجع السابق ، ص١١٢ .

ولكن حدث بعد ذلك منذ عهد محمد على أن وضعت على بساط البحث عدة مشروعات لحفر الخليج أو لانشاء ترعة لنقل المياه الى مناطق القاهرة المرتفعة ، وقد واجه عباس باشا أيضا مشكلة جلب المياه الى منطقة العباسية . وأخيرا انشئت « شركة المياه » فى عام ١٨٦٥م برءوس أموال وبادارة أوربية بموجب عقد امتياز ينتهى فى عام ١٩٦٩م وأخذت الشركة تقيم ماكينات الضخ ، ومواسير المياه داخل المدينة . وقد كان العمل شاقا يتطلب الصبر ، والمثابرة ، وفى عام ١٨٩١م لم يكن هناك من المشتركين الا ٢٠٠ر٤ مشترك ادخلوا المياه الى منازلهم .

وقد اقتصر الامر لمدة طويلة على جلب المياه الى قلب المدينة عن طريق شبكة من الحنفيات ، التى حلت على — نحو ما — محل السبيل وقد وضعت الشركة صاحبة الامتياز عند الحنفيات موظفين مهمتهم الاشراف على توزيع المياه ، وتحصيل الثمن من المستهلكين ، لكن ذلك لم يغن سكان القاهرة عن اللجوء لجلب المياه الى منازلهم . وظل بعض السقايين يلعبون دورهم التقليدى فى تموين الاحياء القديمة بعد أن اضطرهم امتداد القاهرة نحو النهر الى الانسحاب من منطقة القصر العينى — وقد تناولهم الفن الشعبى فى قصصه وتمثيلاته(١١٣) .

٣ — الدراويش وحمالوا ماء السبيل :

كان كل حى من أحياء القاهرة يكتسب خاصته المميزة له من ذلك الرباط القائم بين المنظمات الحرفية (الطوائف) والمنظمات الدينية (الطرق الصوفية) ، ذلك الرباط الذى كان يتضح وقت الازمات بطريقة فريدة .

---

(١١٣) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١١٣ .

وتبدو أصالة حى الحسينية وديناميته كما لو كانت قد اقامتا أساسا اثناء القرن الثامن عشر على تلك الوشائج القائمة بين طائفة الجزارين والطريقة البيومية . وبرز من هؤلاء الجزارين قادة الحركات الشعبية التى قامت فى الحسينية فى نهاية القرن الثامن عشر كما كانت طائفتهم هى النواة التى تتجمع حولها حركات التمرد .

أما المبدأ الثانى الذى قامت عليه الحياة فى الحسينية أثناء القرن الثامن عشر فيتمثل فى العنصر الدينى ، حيث ارتبط هذا الحى بالطرق الصوفية ، فكان على البيومى ، وهو الذى كان فى بادىء الامر احد اتباع الطريقة الخلوتية ، ثم واحدا من أتباع الطريقة الاحمدية قد اصبح مركزا لعبادة حقيقية فى هذا الحى الذى سكنه منذ زمن قريب .

وكان على البيومى هو نقطة البدء فى تكوين طريقة صوفية جديدة وبعد موته بدأ المسجد الذى يحمل اسمه وكذلك مقبرته يشهدان نشاطا دينيا هائلا ، ترجم بعد ذلك الى مولد يتردد عليه الكثيرون ، وقد انتشرت الطريقة الجديدة بصورة طبيعية بين جزارى الحسينية ، يشهد بذلك ما قام به الشيخ احمد سالم الجزار من أعمال حيث نفوذه الكبير على الحى أثناء الازمات التى شارك فيها هذا الشيخ ، ويمكن الافتراض كذلك أن « الخلوتية » التى ظهر بينها « على البيومى » قد لعبت دورا هاما فى الحياة الروحية للحى ، (على البيومى) قد لعبت دورا هاما فى الحياة الروحية للحى ، « فالسيد على بن موسى » — وهو شخصية ذات نفوذ ومدرس بالمشهد الحسينى — كان أيضا واحدا من شخصيات الحسينية المرموقين ، وبعد موته اصبح أخوه بدر الدين زعيما للحى ، وهو الذى قاد حركته عام ١٧٨٩م (١١٤) . كما انه انشا الطريقة

---

(١١٤) اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص٢٧٦ — ٢٧٧ .

الرفاعية فى منطقة الرملية وشهدت هذه المنطقة نشاطا دينيا واسعا فى مقـــام الشيخ سيد أحمد الرفاعى . وكان مولده مشهورا جدا حتى أنه فى عام ١٧٢٨م كان الزحام شديدا لدرجة أن سبعة عشر شخصا ماتوا تحت الاقدام . وكانت السيدة زينب فى قناطر السباع مركزا آخر للنشاط الدينى(١١٥) .

ومن هنا نشأت طبقة الدراويش ، وهم فى الغالب من طبقة الرفاعيـــة والبيومية ، ويعفون من ضريبة الدخل ونسمى « الفردة » ويحمل الحمـــال على ظهره وعاء رمادى يسمى « أبريق » ، وهذه الاباريق تبرد الميـــاه ويكون مع الحمال أحيانا « ماء زهر » ، « ماء ورد » أما ماء زهر برتقالى تجهز من الزهور النارنجية برتقالى لاذع لأحسن العملاء لديه ويضع غالبا النارنج على مبسم الابريق وبجانبه كيس ، ويتلقى من أفراد الطبقات العليا والمتوسطة من واحد الى خمسة فضة مقابل قليل من الماء ولا يأخذ شيئا من الفقـــراء ، أو قطعة خبز ، أو طعام ، يضعه فى الكيس وكثير من الحمالين وبعض السقايين الذين يحملون القرب يوجدون فى الاحتفالات الدينية مثل موالد الاوليـــاء التى سبق ذكرها . ويدفع الزوار غالبا النقود فى ضريح الولى فى هذه المناسبات ويوزعون المياه على المارة فى فنجان على حسب رغبتهم . ويسمى عمل هذه الصـــدقة « تسبيلا » ويؤدى لأجل « المولى » وصالحة وينشدون غناء مختصرا لدعوة الظمآى ليشاركوا فى الاحسان الذى يقـــدم لهم باسم الله ، وهذه الكلمـــات الشائعة ويتبعهم بالدعاء لهم(١١٦) .

٤ ـ الحمـــامات العـــامة :

كان يوجد بالقاهرة أكثر من مائة حمـــام ، وكان الاهالى يكثرون من

---

(١١٥) المرجع السابق ، ص٢٧٧ ـــ ٢٧٩.

116) E. Lane An Account of the manners and customs of the modern Egyptians, P.P. 17-18.

الذهاب الى هذه الحمامات فى الشتاء ، ويذهبون مرة واحدة كل أسبوع ، اما فى الصيف فانهم يغتسلون فى النيل ، أما الاغنياء فقد كانت لهم حمامات خاصة فى بيوتهم ورغم من ذلك فانهم يذهبون الى الحمامات العامة للترويح عن أنفسهم بين الحين والحين . وكما انه يذهب الى الحمامات العامة أيضا كبار رجال السلطة ، ويخطر مدير الحمام بذلك ليقوم بعمل الاستقبال اللائق واللازم بهؤلاء الرجال ، ويستقبلونهم بفرق الموسيقى واشهى الاطعمة(١١٧) .

ويوجد بكل حمام مغطس ملىء بمياه شديدة السخونة ، وبعد أن ينتهى المرء من استحمامه يغطس فيه لحظات وكانت الطريقة التى تتبع فى هذه الحمامات أنه بعد أن يخلع المرء ملابسه ويعقد حول جسمه فوطة بسيطة ثم يعاد الى ممر يمشى فيه وهو سائر يوهج الحرارة يشتد شيئا فشيئا لتصبح قوية عند اقترابه من الحجرة الثانية ، وتتطور هذه العملية حتى تخترق البخار كل مسام الجسم وبعد ذلك يأتى اليه الخادم ويطقطق كل مفاصل الوافد ، وتسبب هذه العملية الما بسيطا تعوضه تلك الليونة التى تحدثها بعد ذلك بقوة أكثر ، ثم يقوم الوافد بعملية الغسيل بنفسه وبعد ذلك تنتهى العملية ويقدم له الخادم فنجانا من القهوة ، ويقوم مدير الحمام بتعطير الحجرات واعداد ماء الورد ويحصل مقابل ذلك على ما يكفيه من رواده الاغنياء .

ويلاحظ أن الخدمة التى تحصل عليها المرأة هى نفسها التى يحصل عليها الرجل فى حمام الرجال(١١٨) .

---

(١١٧) ج.دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، الدولة الحديثة ، من كتاب وصف مصر - ترجمة زهير الشايب ، ص١٤١ .

(١١٨) ج.دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ص١١٤ .

ويبدو أن التنظيم الطائفى عند الحمامية كان قويا لحد كبير فقد ظلوا — حتى نهاية القرن التاسع عشر — يقومون باحتفالات الشد ، فى الوقت الذى ضعفت فيه الروابط العثمانية الاخرى ، باستثناء صانعى الاحذية والحلاقين .

كما أن متانة العـــادات الطائفيـــة تلك كانت تعود على الارجح الى أن سليمان بك الفارسى رئيس الطوائف — بعـــد على بن أبى طالب — كان فى الوقت نفسه رئيسا خاصا لطائفتى الحلاقين والحمامية ، كما ورد واحد من أهم النصوص التى تتحدث من العادت لطائفية ، وهو كتاب « الزخائر » الا أن المقارنة بين مختلف النصوص التى تتعرض للفتوة التى تصدر على أنها أساس لتنظيم الطوائف الحرفية فى العهد العثمانى بمصر هذه المقارنة تؤدى مع ذلك الى الظن بأن السبب كان أكثر تعقيدا والى الظن كذلك بأن التقاليد الطائفية لم تكن تستمر فى طريقهـــا دون أن تعترضهـــا بعض الاضطـــرابات والتناقضات(١١٩) .

ومن المعروف أن سليمان بك الفارسى ، أول شيخ نصبه على ، كان رئيسا لطائفة الحلاقين ، وانه كان يرتبط به كان من يمارسون من الحلاقة ، بما فيهم الحمامية ، ولكن هناك شكا فى أن تكون طائفة الحمامية مرتبطة على الدوام لشيخ ، له هذا النفوذ ، ذلك أن النصوص التى تتعرض لمسألة الفنون تجمع كلها على وصف سليمان بأنه شيخ الحلاقين فى الرعاية الطائفية ، بل أن هذه المحفوظات جميعا على العكس من ذلك ، تتفق على أن تجعـــل من محســـن بن عثمان ابن عفان — وهو شخص مات فيمـــا يقال عن ١١٧ أو ١٧٠ عاما ودفن فى بغداد — شيخا لنواطير « حراس » الحمام . وهنا نجد ما يغرينا على

---

(١١٩) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١٥٢ — ١٥٤ .

ان نفترض أن محسن بن عثمان بن عفـــان هذا الواقع هو شيخ الحمامية . وهذا ما ذكرته النصوص والوثائق التاريخية ، وما ذكره أيضا ايفليا جلبى الذى كان على علم تام بهذه المسائل سواء ما يتعلق بحمامية « حمابسيان » استنبول أم حمامية القاهرة وحسبما يقـول ايفليـا جلبى فان النواطير « ناطيران » كانوا تحت امرة منصور ابن قاسم . ومهما يكن الامر فلاشك أن ثمة صلات طائفية وثيقة كانت قائمة بين الحمامية والحلاقين ، فقد كان الحمامية يسيرون ضمن الحلاقين فى المواكب التى كانت تنظمها الطوائف الحرفية فى القـــاهرة والذى نقله ايفليا جلبى نظام ترتيب الطوائف(١٢٠) .

ولم تكن طائفة الحمامية فى تنظيمها الداخلى فى شىء عن بقية الطوائف ، فكان شيخهـــا ــ كما فى معظم الطوائف ــ يعـــاونه نقيب ، وكانت ممارسة الحرفة تخضع لعادات محدودة ، بخلاف ماكان على الحمامية أن يدفعوه لشيخ الطائفة عند تنصيبهم فى مرتبة الاسطى ، ذلك التنصيب الذى كان يتم فى حفلة الشد ، فقد كان عليهم أن يدفعوا « الجدك » أو الخلو الذى كان يسمح لهم بممارسة المهنة فى محل معين . فكان الجدك بمثابة رأس المال يجعل من الدخول الى حرفة أمرا عسيرا على غير ابنائها(١٢١) .

٥ ــ الحـــــلاقين :

تمتاز طائفة الحلاقين المصرية بالحذق والرشاقة فى مهنتهم والطريقـــة التى يتوخونها فى الحلاقة غريبة فى ذاتها ، فان أساليب الحـــلاقين المصريين مطابقة لنفس أساليب زملائهم فى الآسنانة . وكانت طريقة حلاقتهم تبعث على

---

(١٢٠) المرجع السابق ، ص١٥٥ ــ ١٥٧ .
(١٢١) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص١٥٩ .

الملل وهى أن يجلس الانسان على الكرسى الخشبى ويقدم اليه صاحب المحل شبكا ثم يأخذ فنجانا من القهوة ، كما أن الراغب فى الحلاقة عليه الانتظار طويلا حتى يأتى دوره . وعندئذ يجد فوق رأسه ساقا معدنية مثبتة من طرفها فى الحائط أو السقف وحامله فى الطرف الآخر المقوس آنية معدن بشكل القمع مثقوبة ثقبا ضيقا بينما يحمل بيديه تحت ذقنه صحنا للحية من المعدن مستديرا يتسكب من الآنية المعلقة على رأسه سلسلول ماء فاتر يستعمله الحلاق لغسل رأسه ووجهه ورقبته بالصابون ، فاذا كان بالرأس شعر غسله ، واستغرق زمنا طويلا فى حكه متخذا أظافره كأسنان المشط ، ثم يجفف رطوبة الماء بمنديل ويلف رأسه بمنديل آخر .

وبعد ذلك يتفرغ للحلاقة فيرطب اللحية بالماء ترطيبا جيدا ، ويتناول موسى حقيرة الشكل مصنوعة النصل فى المانيا ، لا يتجاوز ثمن الدستة الواحدة عن فرنكين ، غير أن الحلاقين يستعينون بحجر السن ، وقطعه من الجلد على شحذ تلك الاسلحة بحيث تصير أتم ما يكون صلوحا للاستعمال ، ويرتكز الحلاق بقدمه اليسرى على الكرسى الخشبى ، ثم يسند رأس الزبون الى ركبته بعد تغطيته اياها منديل ، ويشرع فى ازالة الشعر مبتدئا من أعلى الخد اليسرى الى أسفلها ، ثم ينتقل الى الخد اليمنى مكررا هذه العملية ، فمتى انتهى وقت اتجاهه ، وانشأ يسوى اللحية والشاربين ويزيل ما يعثر عليه فى الوجه من الشعرات الشاذة(١٢٢) .

واذا ما أصيب ترجيج الحاجبين فانه يسومها بالحلاقة على شكل يجعله بمقتضاه راضى النفس . وكان الاهالى يعتبرون الشعر من القذارة ،

---

(١٢٢) أ.ب.كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد بك مسعود ، ج٢ ، ص٤٨٨ .

فانه يعمل بمقراطيه الى فتحتى الانف فيقص ما فيها من الشعر ثم الاذنين فيضع فيها ماء فاتر ويكرر ذلك ، ويزيل اى شىء يوجد بها بآلة صغيرة عنده ، ويقص بعد ذلك ما يجده من شعر حول الاذن . أما اذا رأى سنطة صغيرة بالوجه عمد الى ازالتها بالموسى ، غير أنه لا يقدم على هذه العملية عادة الا بعد الاستئذان وهذه العمليات كلها تتم بالبطء ، لأن الاحاديث والمحاورات تتخللها حتماً ، على أن تمامها لا يكون بمواصلة العمل ، بل على دفعات متكررة ، اذ قد يحدث أن تدخل زبون أثناء تفرغه بشأن الزبون الاول ، فسرعان ما يتركه بلا احتشام ولاكلفة كى يقدم الى القادم شبكا ويجهز له فنجانا من القهوة ، وفى أثناء ذلك يتناول الزبون الاول الذى لم يتم حلاقته سوى النصف أو أكثر أو أقل ، الشبك الذى كان قد تخلى عنه لأحد ، ليستأنف التدخين ريثما يعود الحلاق اليه بعد فراغه التى من أجلها تركه(١٢٣) .

وعقب الانتهاء من الحلاقة يقدم التلقة الصغير (الصبى الصغير) الى الزبون مرآة لينظر فيها نفسه ، ويمعن لنظر فى حلاقته ، ليحكم بما اذا جاءت وفق المراد ، فاذا لم يكن فيها ما يوجب الانتقاد ابتدا الحلاق يفرك بين أصابعه خصلة الشعر التى اعتاد الاهالى تركها بأعلى جمجمتهم ، ومشطها بالمشطاة ثم يغطيها بالطربوش ، أو العمة وهذه العملية تستغرق عادة من عشر دقائق الى نصف ساعة(٢٤) .

والحقيقة أن الحلاقين المصريين قد تفوقوا على أقرانهم فى العالم كله ، وخاصة فى حلاقة الشعر بالموسى(١٢٥) .

---

(١٢٣) أ.ب.كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد بك مسعود ، جـ٢ ، ص٤٨٦ .

(١٢٤) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٤٨٩ .

(١٢٥) ج.دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ص٣٦ .

وقد سبق شرح التنظيم الطائفى لهم مع طائفة الحمامية .

٦ ــ بائعوا العرقسوس والشربات :

وعمل بهذه الحرفة كثيرون ، وهم يحملون جرة (بلاصا) من الفخار مملوءة بالعرقسوس على أكتافهم ، وعلى يديه اليسرى شريط معدنى وسلسلة تساعده فى الحمل ، وعلى حلقها بعض الليف (أوراق شجر النخيل) . ويحملون أيضا اثنين أو ثلاثة من الكبايات النحاسية التى تصطك ببعضها ويحمل بائعو الشربات بالطريقة نفسها الزبيب المنقوع ، فعلى يده اليسرى وعاء من الزجاج (الشيشة) مملوءا بالزبيب ، ووعاء آخر من الصفيح أو النحاس به النوع نفسه ومجموعة من الفناجين الزجاجية فى يده اليمنى . ويحمل بعض بائعى الشربات صنية نحاسية بها أكواب مختلفة بالتين المبلل ، أو البلح المبلول ، أو ما يبيع أيضا السحلب (البالوظة) ، نشا القمح (البليلة) وتحمل بالطريقة السابقة والسوبيا ، وهى مشروب يصنع من شمام عبد اللاوى المبلل او الارز والمساحيق المغموسة فى الماء ، والتى تطحن ويضاف اليها السكر وتحمل فى أوعية كالتى تستعمل للزبيب ، ولكن الفناجين الزجاجية توضع فى صفيحة من نوع ما ملحقة بحزام فى وسط البائع(١٢٦) .

٧ ــ الجــــزارون :

وكان الجزارون قليلى العدد فى القطر المصرى ، ويرجع هذا الى عدم اقبال الشعب المصرى على مهنة الجزارة ، وهم قوم متينوا البنية ، حادو الطباع تربطهم تقاليد طائفية قوية ، وقد برز منهم ــ كما رأينا ــ قادة الحركات الشعبية فى حى الحسينية ، وذلك للعلاقة التى كانت قائمة بينهم وبين احدى الطرق الصوفية ، كما كانت قائمة بينهم وبين احدى الطرق الصوفية ، كمـا

كانت طائفتهم هى النواة الاولى التى تجمعت حولها حركات التمرد فى نهاية القرن الثامن عشر .

وكان يوجد بالقاهرة ٢٢٠٠ جزارا موزعين على ثلاث طوائف ، مائتان منهم يشكلون طائفة سلخانات باب الفتوح وحدها، بالاضافة الىطائفة رابطة هى طائفة « جزارى الضأن »(١٢٧) .

٨ ــ البناؤن ونحاتو الاحجـــار :

وكان البناؤن متفوقون فى فن المعمـــار والنقش والنحت ونقش الرخام وعمـــل الرسم(١٢٨) ، والمواد المستعملة عادة لتشييد المنـــازل هى الآجر (الطوب الاحمر) والطوب اللبن واحيانا احجار النحت والمصيص .

ولم تتوافر للمبانى مزايا المتانة والاتقـــان التى امتازت بهـــا فى عهـــد قدماء المصريين ، فهى تبنى من المواد الرديئة النوع ، والدبش الصـــغير ، ويدخلون فى اسماك الجدران عوارض منالخشب لتمكينها ، مع انها تمنعاجزاء الجدران من التلاحم والتراكن وتاليف كتلة واحدة لا تشوبها شائبة(١٢٩) .

ومع أن المصريين لم يهتموا بفن النحت ، واستعملوا آلات غليظة جدا لهذا الفن ، الا انه كان هناك نحاتون بارعون فى نحت حجر لصوان ، بالاضافة الى ذلك كان يوجد فريق لقطع البلاط ووضعه فى أماكنه ويسمون بالمبلطين ،

---

(١٢٧) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(١٢٨) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ٣ ، ص١٧٥ .

(١٢٩) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص٢٧٤ .

أما سقوف المنازل فيعهد بها الى رجال لا يمارسون غير هذه الصناعة . وطريقتهم فى ذلك أنهم يربطون بعروق السقف الخشبية البوص ، منضما بعضه فوق بعض ثم يفرشون عليه حصيرتهم طبقة من المونة(١٣٠) .

٩ ـ الحدادون

وكانت هذه الحرفة قليلة الانتشار فى البلاد ويرجع هذا الى قلة الفحم، كما أن المصريين كانوا يستخدمون الاقفال الخشبية التى صنعت بعناية فائقة(١٣١) وكان لهم حى خاص بهم معروف بحى النحاسين ويسكنون به(١٣٢) وكانت لهم ملكات متقلة فى الخراطة بالأقلام الجافة المتينة(١٣٣) .

١٠ ـ النجارون :

من المعروف انه يوجد فى مصر أنواع من الخشب الردىء ، ولذلك كانت تستورد أنواعا من الخشب من البلاد الاوربية والعربية مثل تريستة والبندقية والشام وليفورنة . وعرف عن النجارين المصريين انهم فى غاية الحذق والبراعة ، وكانوا يستخدمون (المسج) (الفارة) والمنشار والاداة الصلبة التى يستعملونها فى جميع الأعمال هو القدوم (الشاكوش) .

أما عن فن النجارة بمصر فهو أقل تقدما من الفنون الاخرى ، وكان النجارون لا يستخدمون فن العاشق والمعشوق فى الصناعات الخشبية بل يبردون الأخشاب من أطرافها فى زوايا حادة ثم يثبتونها بعضها ببعض بالمسامير ولكنهم تقدموا بعد ذلك على أيدى الحرفيين الاوربيين الذين استخدمهم محمد على فى الصناعة فى كافة المجالات(١٣٤) .

---

(١٣٠) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٧٤ .
(١٣١) ج. دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ص ٢٧٨ .
(١٣٢) كلو تبك ، لمحة عامة الى مصر جـ٢ ، ص ٤٧٧ .
(١٣٣) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٣ ، ص ٣٥٦ .
(١٣٤) كلوت بك ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .

وقد صنع النجارون الكثير من الصناعات الخشبية المعروفة فى ذلك الوقت(١٣٥) ولذلك نجد أن فريقا منهم قد قام بصناعة المزاليج الخشبية (الاقفال الخشبية) وهذا يرجع الى أغلب المصريين فى ذلك الوقت يغلقون الأبواب بمزاليج من لخشب (١٣٦) .

وانه كان يوجد تسع حرف متخصصة فى أعمال الخشب و ٤٦٧٠ شخص ومنهم ٣٠٠٠ نجار معمارى والذين لا يملكون ورشا ، ويعملون فى البيوت ثم يليهم الخراطون ٦٠٠٠ شخص يعملون فى ٢٥٠ محل وهذا العدد الكبير لا غرابة فيه ، اذا اخذنا فى الاعتبار تشكيلة منتجاتهم للموبيليا والسكن اسوار خشبية ، مشربية ، كالون من الخشب ، ويقول ريمون أن غياب هؤلاء الحرفيين من سجلات المحكمة مدهش فعلا ويرجع الى فقرهم الشديد مثل حرفى الاغذية ، ومتوسط ثروة ٧ حرفيين (٣ نجارين ، ٣ صندقية ، ١ كرسجلى) كان ١٣١٧٦ بارة (١٣٧) . رقم أقل بكثير عن متوسط اجمالى العاملين .

وهذا الرقم يؤيد قول انحطاط فن أعمال الخشب برغم براعة الحرفيين (١٣٨) .

١١ ـ الخراطون :

وكانت توجد طائفتان من الخراطين ، واحدة تخرط الاخشاب ، والأخرى تخرط الحديد ، ويقطنون بالقاهرة فى حى الشعراوى ، وكان خراطو

---

(١٣٤) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .
(١٣٥) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٣ ، ص ٣٦ .
(١٣٦) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .
(١٣٧) حمادى اليجار ترك فى عام ١٦٩٩ ميراثا ٨٧٣ بارة وأملاك . نصيف الذهبى الذى كان له محل فى خط الخراطين كانت مقدرة بـ ٤٧٣ بارة فى عام ١٧١٨م .
138) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I., P. 234.

الأخشاب يقومون بخرط النوافذ والمشربيات التى كانت منتشرة فى الماضى وكان النجارون أمهر الصناع فى تلك المهنة (١٣٩) ، وكانوا يستخدمون قوسا يحركونه بيد وباليد الاخرى يشكلون الآلة القاطعة على الشىء الذى يريدون تشكيله • ولم تقتصر الخراطة على الأخشاب ولكنها تعدت ذلك بصناعة أجزاء وقضبانا حديدية •

١٢ — الجواهرجية والصياغ :

وكان المسيحيون السوريون والأرمن يكادون يحتكرون مهنة الصياغة فى كل البلاد • وكان لليهود عمل خاص فى مصر بصفتهم سماسرة للمعادن النفيسة(١٤٠) وكان مقرهم خان أبو طاقية(١٤١) وكانوا يعملون على حسب طلب الزبون• ويلاحظ أن الصياغة بمصر لم تبلغ درجة الاتقان التى وصلت اليها الصياغة الأوروبية فى البهرج والبذخ • وكان الأرمن لهم معرفة عجيبة بتركيب الاحجار الكريمة كما انه فى حى مرجوش عمل الصناع والكهرمان والمسابح والعقود (١٤٢) •

١٣ — الفراءون :

ويعمل فى هذه الحرفة فى مصر الأرمن واليونان وكان عددهم قليلا جدا ، لأنه لا يلبس الفراء سوى العظماء والعلماء (١٤٣) •

---

(١٣٩) ج• دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ص ٢٧٧•

(١٤٠) هاملتون جب ، هارولد بورن ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ص ١٤٥ •

(١٤١) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٨٣، •

* E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P. 114.

(١٤٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ •

(١٤٣) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٨ •

١٤ ـ الصرماتية والسروجية :

وكان يعمل بهذه الحرفة المسلمون والذميون معا (١٤٤) ويقوم الصناع بصناعة ما يلزم من الأحذية (المزد والمركوب ، والباجوج) كما أن حى البرادعية يقومون بصنع سروج الخيل ، وبرادع الحمير، والبغال ، وغير ذلك من لوازم الخيل (١٤٥) .

١٥ ـ الخياطون :

وكانوا كثيرى العدد فى القاهرة ، منهم خياطو الملابس البلدية وكانوا يقومون بخياطة ثياب الأهالى من أبناء البلد ، وقد يتصدرون أحيانا لخياطة ملابس السيدات ، ويوجد جانب ذلك فئة من الخياطين الاوروبيين الذين برعوا فى خياطة الملابس المطرزة ، وتكلفتها بالقيطان الحريرى ، أو الذهبى (١٤٦) . وكان لهم سوق بأسمهم ، ولهم مواسم معينة ينشطون فيها وهي الأيام التى كانت قبل شهر رمضان وأثناءه (١٤٧) .

١٦ ـ صانعوا السلاح :

وكان لهم حى بالقاهرة باسمهم ، والمعروف بسوق السلاح (١٤٨) ووجد منهم المتخصصون ، فمنهم من تخصص بصناعة الاسلحة النارية(١٤٩)، وآخرون تخصصوا بصناعة الاسلحة البيضاء كالسيوف والسكاكين ، بالاضافة الى قيامهم باصلاح الاسلحة (١٥٠) .

---

(١٤٤) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ .
(١٤٥) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ .
(١٤٦) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ .
(١٤٧) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٤ ، ص ٢٨٨ .
(١٤٨) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٣ .
(١٤٩) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٨٤ .
(١٥٠) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ١ ، ص ٢٥ .

١٧ ـ صانعو النحاس :

كانت لصناعة النحاس مكانة خاصة بين صناعات المعادن الاخرى ، وبالرغم من أن النحاسين قد فقدوا جزءا من شهرتهم السابقة ، الا أنهم كانوا ينتجون عددا كبيرا من الأوانى المستعملة وغيرها ، وكانت القاهرة تعتمد عليهم تماما ، ولذلك كانت هذه الفئة من العمال أكثر يسرا عن غيرها من الفئات بالقاهرة هذا وقد تركزت صناعة النحاس فى قلب المدينة ، رغم الضوضاء التى يحدثها .

وقد احتفظت صناعة النحاس بمكانة فريدة الى جانب صناعة الصاغة ، ففى أيام الأزمات المالية كانت رقابة السلطة تتجه نحو النحاسين والصياغ على نحو ما حدث خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كما حدث فى ايام المقريزى ، كان النحاسين تقريبا كلهم موجودين فى شارع بين القصرين (حاليا شارع النحاسين) بين الاشرفية والركن المخلق ، ويقول ريمون أن بين ٣٦ نحاسين مسجلين فى مستندات المحكمة ٢٩ كانوا فى بين القصرين و ١٤ فى الحى المجاور خان الخليلى كان هذا الحشد شديدا مثل صياغ الصاغة .

وكان خان الخليلى مركزا لبيع الادوات النحاسية المحلية والمستوردة من القسطنطينية ، وكان النحاسون فى خان الخليلى ، حسب مستندات المحكمة نفس عدد النحاسين الموجودين فى بين القصرين ومتوسط ارثهم ٩٢٢٨ بارة مقابل ٥٠٧٦٣ ، وهذا الى عدم التوازن .

بعض الحرف الدنيئة :

ومادمنا قد تكلمنا عن بعض الحرف لابد من التعرض لدراسة بعض الحرف الدنيئة ونبدأها بالحديث عن اللصوص .

---

* A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xIIIe siecle, T.I. P.P. 358-359.

١ ـ اللصوص :

كانت القـــرى المجـــاورة للقاهرة قبـــل تولية محمد على الحكم وكرا للصوص ، وكان من العسير أن يزورها الغريب وهو آمن ، أما فى عهد محمد على فقد أصبح اللصوص أقل بكثير نتيجة للسياسة التى اتبعها محمد على فى تجنيدهم فى الجيش . وقد امتص التجنيد عـــددا كبيرا منهم ، ليمارســـوا نشاطهم فى جهات أخرى . وبالرغم من اتباع محمد على سياسة تجنيدهم الا أن جزءا منهم مارسوا نشاطهم ، والدليل على ذلك شكوى الفلاحين الدائمة منهم (١٥١) وكان لهؤلاء اللصوص طائفة قبل وصول محمد على الى الحكم ولهم رئيس يســـتطيع أن يســـترد الأشـــياء المسروقة نظير شىء يعـــرف بالحلاوة (١٥٢) .

151) James August, St. John, **Egypt and Mohamed Ali,** Vol. I. P. 92.

(١٥٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، جـ٢ ، ص ٤٦١ .

وهناك بعض الحـــرف الدنيئة الاخرى مثـــل **الحواة والعـــاب** الشعوذة ، أعطى كثيرون من كتاب مصر المحدثين اوصافا عجيبة لطبقة من الرجال فى مصر وافترضوا أن لديهم فنا سحريا وهو ما أشير اليه تلميحا فى التوراة انه يساعدهم على تأمين انفسهم من سم الثعابين ، وقد استنكر بعض المصريين ذلك ، (انظر
E. Lane, The Manners and Customs of the Modern Egyptians. P. 93.

وقد حصل كثير من الرفاعين والدراويش السود على رزقهـــم ، وكانوا يســـتخدمون اللـــون الاخضر لطائفتهم واعلامهـــم وكانوا متخصصين فى اصطياد الثعابين والعقارب ، وعلى هذا فقد كان الاهالى يستعينون بهم لاخراج الثعابين من بيوتهم بلا احســـاس (انظر
S.J. Shaw, **Ottoman Egypt in the Age, of the French** Revolution, P. 103.

وربما يفعلون ذلك بحاسة شم خاصة واذا كان هناك ثعابين يشدهم اليه بصوته السحرى تماما كصياد الطيور الذى يغرى الطائر الى شبكته . وكما يحث الثعبان عن أكثر الأماكن ظلاما ليختبىء بها ، فكذلك يتعين على الساحر فى معظم الحالات ، أن يمارس مهارته فى غرفة حالكة حيث يمكنه فى يسر اخراج الثعبان من مصدره، وربما =

=يخفى واحدا لاستخدامه عند اللزوم، ويحضره الى الناس بلا مواربة ويؤكد لهم أنه قد وجده ، اذ لا يستطيع احد أن يغامر بالدخول معه بعد ما يكون قد تأكد من ظهور احدى هذه الزواحف بالداخل ، غير أنه يطلب منه اداء ذلك فى وضح النهار وهو محاط بالمتفرجين والاشخاص غير مصدقين الذين فتشوه مقدما بل وجعلوه عاريا ، ومع ذلك فان نجاحه يكون كاملا [انظر
E. Lane, The Manners and customs of Modern Egyptians, PP. 93-94.

ويتظاهر بالغموض ويضرب على الحائط بعصا قصيرة ويصفر ويخرج صوتا بلسانه ، ويقول استحلفك باسم الله العظيم ان كنت مطيعا فتخرج واذا كنت عاصيا فلتمت » وبصفة عامة يخرج الثعبان بعصاه من شق الحائط اذ يقع فى سقف الحجرة أما الدراويش السابق ذكرهم ويعرفون بعض السبل الطبيعية لاكتشاف وجود الثعابين بدون رؤيتهم ويشدهم من جحورهم . (انظر
E. Lane, Op. Cit., P. 94.

ويوجد أيضا بعض الذين يؤدون ألعابا خفة باليد ، والذين يطلق عليهم « حواة » (ومفردها حاوى) وهم منتشرون فى القاهرة ، والأماكن العامة ، ويجمعون حلقة من المتفرجين حولهم ، ويجمعون التبرعات من المشاهدين أثناء تمثيلهم وبعده وغالبا ما يشاهدون فى معظم الاعياد العامة ، وكذلك فى بعض الاوقات الاخرى . ويجذبون بهذه الأعمال والدعابات الشائنة تصنيفا كما يفعلون بوسائل أخرى ، أو يؤدى الحاوى تشكيلة هائلة من الالعاب واكثرها شيوعا سأذكره هنا فله عموما ولدان يساعدانه ، ويخرج من حقيبه كبيرة أربعة أو خمسة ثعابين ويضع احدهما على الارض ، ويوقفها على رأسها ، وجزء من جسمها ، ويلف ثعبانا آخر حول رقبة أحد الأولاد ، ويلف اثنين أو أكثر حول رقبة الولد ، ويأخذها ، ويفتح فم الولد ، ويمرر بوضوح مسمارا من نوع القلاووظ على وجنته ، ثم يدفع مسمارا جديدا فى حنجرة الصبى . وفى الحقيقة يكون المسمار مقبضا من الخشب، وخدعة أخرى بها من النوع نفسه أيضا وهى وضع الولد على الارض ، ويضع على أنفه حد سكين ، ويضربها حتى يرى نصف عرضها قد دخل ، ويمثل مع الولد خدعات أخرى . وكذلك الالعاب التى يؤديها بمفرده ممتعة تماما ، فيسحب كمية كبيرة من الحرير الملون من فيه (فمه) ويخرج كثيرا من قطع الصفيح الدائرية مثل القروش (انظر (E. Lane, Op. Cit., P. 95 =

بالاضافة الى خدعات أخرى يقوم بها الحاوى كان يضع قصاصات الورق الأبيض فى اناء نحاسى ويخرجها ذات صبغات مختلفة الالوان ، ويصب ماء فى الاناء ويضع به قطعة من الكتان ثم يعطى النظارة ، ليشربوا محتويات الاناء ، التى تحولت الى شربات بالسكر وغيرها من الخدع الأخرى . (١٥٣)

وثمة طائفة أخرى من المشعوذين فى القاهرة أطلق عليها اسم (القيم) ويعتمد محترفها على مساعد له يقوم بوضع تسع وعشرين قطعة صغيرة من الحجر على الارض ، ثم يجلس امامها ويرتبها ، وبعد ذلك يذهب القيم لمسافة ياردات قليلة يطلب المساعد من أحد المشاهدين أن يضع قطعة نقود تحت أى قطعة من الحجر ، وبعد أن يفعل هذا يستدعى القيم ويخبره بأن قطعة النقود قد خبئت ويطلب منه أن يشير الى مكانها ، وهو ما يفعله الحاوى الحاوى فى الحال . والسر فى هذه الخدعة بسيط جدا ، لأن التسع والعشرين قطعة من الحجر تمثل حروف الابجدية العربية والشخص الذى يريد منه مكان

=ويدخن بوضوح من نرجيلة خزفية ويخرج الدخان من انفه . معظم خدعاته تكون بين الثينة والاخرى يصفر من صدفة كبيرة ، محدثا اصواتا (تسمى زماره الحاوى) تشبه صوت المولود ، ويأخذ خاتما من أحد المشاهدين . ويضعه فى صندوق صغير وينفخ فى صدفته ويقول « يا عفريت غيرها » ثم يفتح الصندوق ويرى فيها خاتما مختلفا ثم يغلق الصندوق ثم يفتحها ليرى الخاتم الاول ، ثم يغلق للمرة الثالثة ويفتحه ويظهره ككتلة منصهرة من الفضة ، ويعلن انه الخاتم المنصهر ويقدمه لصاحب الخاتم ، ولكنه يصر على استعادته بحالته الأولى وحينئذ يطلب ليه الحاوى خمسا أو عشرا من الفضة (عملة) ليغير شكلها ، وبعد أن يحصل عليها يفتح الصندوق ثانية ، ويخرج منه الخاتم الاصلى ثم يأخذ صندوقا أكبر ومغطى ، ويضع طاقية أحد أولاده فيه ، وينفخ فى الصدفة ويفتح الصندوق ويخرج أرنب ويبدو أن غطاء الراس قد اختفى ويدخل الارنب الى أخرى ، ويغطى الصندوق ويكشفه ويخرج منه كتكوتان .

153) E. Lane, The Manners and customs of the Modern Egyptians, P. 96.

النقود ويبدأ بمخاطبة الأخير بالحرف الأبجدى الذى يمثله الحجر الذى يغطى قطعة النقود بالطريقة نفسها أو بالاشارات التى يقوم بها المساعد ، يستطيع التيم أن يدلى أى شخص من الحاضرين أو بكلمات الاغنية التى أعيدت فى غيابه ، ويكون الاسم أو الاغنية قد همس بها أحدهم للمساعدة (١٥٤) .

٣ ــ العرافة :

وتمارس قبيلة من الغجر العرافة فى مصر وهناك عدة قبائل صغيرة من «الغجر» وهى تسمية لاحدى قبائلهم التى تدعى لنفسها أنها من نسل البرامكة مثل الغزاوى ، وانما من نوع مختلف ، وكثير من نسائهم عرافات . وغالبا ما تشاهد هؤلاء النسوة فى شوارع المدن يلبسن بطريقة مشابهة لعامة النساء من الطبقات الدنيا العرو والطرحة ، وانما بوجوه غير محجبة ، ويحملن عادة قربة من جلد الغزال ، تحتوى على المواد الخاصة لعرافاتهم قائلات :

« نفتح البخت ! ونبين الحاضر أو الغائب ! »

ويمارس البخت فى الأغلب بعدد من الودع ، وقليل من الزجاج الملون والمال ... الخ . يحتفظن بها وهن يلقين بهذه الأشياء ويستعن عرافاتهم من الطريقة التى يكذبن بها مصادفة وتمثل صدفة (ودعة) أكبر من غيرها ، الشخص الذى يكشفون (طالعه) وتمثل سائر الودع (الصدف) مختلف الأحداث ، شرها وخيرها ، وهى ما يحكمن عصيرها فى حدوثها للشخص محل النظر فى حياته مبكرا ، أو لا تحدث على الاطلاق وذلك بقربها أو بعدها عنه وبعض هؤلاء الغجر من النسوة أيضا يصحن «ندق ونطاهر» (١٥٥) . ويلاحظ انهن مازلن يمارسن هذه المهنة فى بعض مدن وقرى مصر حتى الآن .

ويقوم بعض الغجر بعمل البهلوان ، وتطلق هذه التسمية على من يؤدى تمرينات رياضية كلاعب السيف الشهير أو البطل وتنحصر أعمالهم فى

---

154) E. Lane, Op., Cit., P. 91.
155) E. Lane, The Manners and customs of the modern Egyptians, P. 98.

الرقص على الحبل ويقدمه قباتيب أو يربط قطعة صابون تحت كل قدم ، أو بطفل معلق بركبته ، أو بولد مربوط فى نهاية عصا التوازن ، ويجلس حول صنية مستديرة على الحبل . ويتبع النساء والأولاد غالبا هذا العمل ويؤدى الرجال والأولاد أيضا أعمالا أخرى خلاف الرقص على الحبل كالألعاب البهلوانية والقفز من الطوق وغير ذلك . (١٥٦)

٤ ـ القرداتى :

والتسمية منسوبة الى كل صاحب « قرد » وتهدف الى تسلية الطبقات الدنيا فى مصر بدائية العاب القرد والحمار والكلب والجدى . ويلبس القرد بطريقة خيالية كالعروس ، أو امرأة محجبة ، ويضعه على الحمار ، ويستعرضه داخل حلقة من المشاهدين ، ويدق الدف امامه ويجعل القرد يرقص ويؤدى مختلف الألعا ل المضحكة ، ويطلب من الحمار أن يختار أجمل فتاة فى الحلقة ، ويضع أنفه فى اتجاه وجهها ، ويسليها مع كافة المشاهدين . ويأمر الكلب بأن يقلد حركات الرئيس وطبقا لذلك يزحف على بطنه . وأحسن الالعاب التى يؤديها الجدى تلك التى يقف أثناءها على قطعة صغيرة من الخشب على شكل صندوق وتكون أقدامه الأربعة متقاربة ، وترفع قطعة الخشب هذه ، والجدى واقف عليها ، وتوضع قطعة مماثلة تحتها وبالطريقة نفسها تضاف قطعة ثالثة ورابعة وخامسة (١٥٧) .

وبعد أن ينتهى هؤلاء المشعودين من العابهم يدفع لهم من يريد من المتفرجين كل على قدر استطاعته . (١٥٨)

---

156) E. Lane, Op. Cit., P. 99.
157). E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P.P. 99-100.
(١٥٨) ج. دى. شابرول . المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

والمهرجون :

ويتســـلى المصريون غالبـــا بلاعبى الهزلية المضـــحكة التى تســـمى (Mahabbazeen) ، وهؤلاء يؤدون غالبا أعمالهم فى الاعياد التى تسبق الزفاف والطهور فى بيوت الاثرياء ويجذبون المستمعين والمشاهدين أحيانا فى الاماكن العامة فى القاهرة . وقلما تستحق أعمالهم الوصف فهى أساسا مزاح سوقى واعمال خارجة للتسلية وتنال التصفيق ويكون الممثلون من الرجال والأولاد فقط ويؤدى الرجل أو الولد دور المرأة فى زى الأنثى ، ويقومـــون بتمثيليات أمام الباشا يوضحون فيها مساوىء جمع الضرائب ، والوسائل غير اللائقة لجمعها (١٥٩) .

وقد كانت فرق الممثلين الهزلية فى القاهرة تتألف من مسلمين ومسيحيين ويهود ، ويدل مظهرهم أنهم لا يصادفون حظهم فى مصر ، وهم يستخدمون فناء بيتهم كمسرح وثمة ساتر يحجب خلفه ملابسهم (١٦٠) .

وأدخل الاتراك مسرح العرائس (الأراجوز) أ وهو — أى الأراجوز — يتكلم باللغة التركية بطريقة سوقية ، ولا يجذب الا من يعرف التركية فقط ، ويتم تأدية الادوار بطريقة الظلال العينية ، ولذلك فهى تعرض ليلا فقط .

ويلقى هذا العرض الصـــغير اقبالا كبيرا ، والمسرح الذى يســـتخدم بسيط وصغير ، ويستطيع شخص واحد بمفرده أن يحمله بسهولة ، ويقف الممثل ويفعل الحركات التى تضحك الجمهور عن طريق دماه ، ويعمل بها حوارا تمثيليا بديعا وبعد ذلك تنتهى التمثيلية . (١٦١)

---

159) E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P.P. 100-102.

(١٦٠) ج. دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ص ١٥٧ .

(١٦١) المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

الرقص الشعبى :

لقد اشتهرت مصر بالراقصات ، وكانت قبيلة الغوازى اكثرهن شهرة فالانثى من هذه القبيلة غازية ، واما الرجل فيسمى غازى ، الجمع غوازى ويطلق على الاناث ، وقد لوحظ أن البنات الراقصات كن يسمين « المظ » خطأ ويؤدى الغوازى الرقص سافرات فى الطريق العام لمتعة الجماهير ، وليس رقصهن وجيها ، وانما كل ما يتميز به هو حركة اهتزاز سريعة جدا لأعلى الفخذين من جانب الى جانب ، وهن يبدأن بشيء من التهذيب ولكنهن سرعان ما تلتهب نظراتهن حيوية ويزداد ضرب « الصاجات » ويرتفع اجتهادهن فى كل حركة مما يتفق وما وصفه به مارتيال وجومينالك أداء الراقصات فى (Cadas) واما ملابسهن التى يعرض فيها رقصهن فهى اشبه بالطبقة الوسطى من الحريم ، ويصاحبهن عادة الموسيقيين — وهم غالباً من القبيلة نفسها وآلاتهم الكمنجة أو الربابة والتار ، والدربكة والمزمار أو الزمر . وتمسك بالتار عادة امراة عجوز ، والغوازى يرقصن فى صحن الدار (الحوش) او فى الشارع أمام البيت وفى مناسبات معينة كالزواج او الولادة يرقصن فى الحريم ولا يسمح لهن اطلاقا بدخول حريم محترم وكثيرا ما يشتاجرون لامتاع بعض الرجال فى بيت رجل ماجن (فلاتى) وفى هذه الحالة يكون أداؤهن اكثر اثارة (١٦٢) ، وحتى يذهب عنهن أقل ما يتكلفن من الحياء يقدمن لهن الكثير من البراندى ، والمشروبات الروحية الاخرى وينتج عن ذلك من المناظر ما لا يمكن وصفه ، ومغنيات مصر المفضلات هن العوالم (مفردها عالمة) وصوتهن منفر وغير مقبول (١٦٣) .

---

162) E. Lane, The Manners and customs of the modern Egyptians, P.P. 86-88.

(١٦٣) ج. دى شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ص ١٥٤ .

ومهما يكن من أمر ، فان أصل الغوازى محفوف بكثير من الغموض وهم يطلقون على انفسهم البرامكة ويتفاخرون بأنهم من سـلالة البرامكة الذين تعرضوا لنزوة من طغيان هارون الرشيد .

وتحتفظ الغـوازى بتميزهن عن بقية الطبقات الاخرى بامتناعهن عن الزواج من غير أفراد القبيلة لكن فى بعض الأحيان تأخذ الغازية على نفسها عهدا التوبة فتزوج من عربى محترم ، ولا يعتبر مثل هذا الارتباط مساسا له بالعار (١٦٤) .

وتنشـأ الغوازى جميعـا على مهنة الدعارة وتتزوج معظمهن لكنهن لا يفعلن ذلك حتى يبدأن مهنتهن الحقيرة ، ويخضع الزوج لامرأته ، ويؤدى لها وظائف الخادم ويوليها عنايته ، فان كانت راقصة كان لها موسيقيا لكن قل أن نجد من رجالهن من يكسب قوته كحداد أو سمكرى وترحب الغازية بأحقر فلاح ان كان فى مقدوره أن يدفع لها مبلغا من المال مهما كان ضئيلا ، رغم أن بعضهن يمتلكن ثروة لها اعتبارها ، وحلى غالية وما أشبه ذلك .

وهناك تشابه فى كثير من العادات بين الغوازى ومن نسميهم بالغجرى Gcpsies الذين يعتقد انهم من أصل مصرى .

ولغة الغوازى هى نفسها اللغة العربية غير أنهم يستخدمون أحيـانا بعض الفاظ خاصة بهم . وهم يسكنون من الأحياء المناطق المخصصة للدعارة عموما وتتكون مساكنهم العادية من أكواخ قصيرة ، أو حظائر وخيام ، لأنهم يرحلون كثيرا من بلد الى بلد ويقيم بعضهم فى بيوت كبيرة ، كما يملك آخرون الجـوارى السـمر (تكون ممارستهن للدعارة سـببا فى زيادة ما يملكه من الغوازى) ، والجمال ، والحمير والبقر وغيرها ، مما يتاجرون فيه ، وهم اذ يحضرون المعسكرات وجميع الاحتفالات الدينية الكبرى وغيرها يعتبرها كثير

164) E. Lane, The Manners and oustems of the Modern Egyptians, P.P. 89-90.

من الناس مثار البهجة ومبعث اللهو ويزيد بعض هؤلاء النساء على فنونهم فن الغناء ، واذا فعلن ذلك تساوين مع العوالم ، ويلبسن غوازى الطبقة السفلى على نمط أحد العاهرات ويكثرن من لبس الحلى كالعقود والاساور والخلاخيل وبعض العملات الذهبية على الجبين ، كما انهن يستعملن زينة الكحل والحناء ، وهناك أخريات من الراقصات اللاتى يسمين انفسهن بالغوازى ، لكنهن لا ينتمين لتلك القبيلة . (١٦٥)

وكثير من اهل القاهرة من يقتنع بأنه لا غبار على رقص الغوازى ، الا من حيث أن يؤديه الاناث ممن لا يجوز لهن أن يعرضن انفسهن بهذا الشكل ، وهؤلاء يستأجرون رجالا يرقصون على النمط نفسه غير أن عددا من هؤلاء الذكور واغلبهم من الشبان المخنثين من رعايا مصر ، يقومون بأدوار النساء ، فان رقصاتهم تتشابه تماما مع رقصات الغوازى ، الا أن ملابسهم تحول دون اعتبارهم اناثا ، وهى تتفق مع تلك المهنة غير الطبيعية ، لكونهم ذكورا من ناحية واناثا من ناحية أخرى ، فهم يلبسون قميصا ضيقا وجونيلا وحزاما ، فيكون مظهرهم اقرب الى الاناث منه الى الذكور ، كما أن شعرهم طويل مضفر طويل على طريقة النساء وهم يقلدون النساء أيضا فى ازالة شعر الوجه واستعمال الكحل فى العين والحناء فى الأكف وغالبا مما يتحجبون فى الشوارع فى غير أوقات الرقص لا حياء منهم وانما بطرق النساء وكثيرا ما يستأجرن أصحاب الافراح تفضيلا على الغوازى ليقوموا بالرقص أمام البيوت ، أو فى أحواشها ، كما يؤدون رقصهم فى الحفلات العامة ، وهناك فى القاهرة طبقة أخرى من الراقصين الذكور من الشبان والصبيان ممن يتشابه أداؤهم وملبسهم ومظهرهم العام تمام التشابه مع مظهر وملابس وأداء المخنثين غير أنهم مميزون باسم آخر هو «الجنك» وهو اسم تركى له مدلول

165) E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P.P. 90-91.

منحطينم عن شخصياتهم ، وهم من اليهود والأرمن واليونان والاتراك(١٦٦).

الندابات :

مادمت قد تكلمت عن الراقصات والغوازى اللاتى يقمن باحياء الأفراح وحفلات الطهور وخلاف ذلك لابد أن أشير الى انه فى حالة الموت كانت توجد الندابات ولا تزال الى يومنا هذا وخاصة فى الريف المصرى وبعض المدن ، فالندابات اللاتى يتبعن مراسيم الدفن هن نساء من الشعب مدربات منذ زمن طويل على العويل وتصنع صرخات اليأس . وليس ثمة مسلم نابه الا ويدين هذه العادة الكاذبة ، وتلجأ نساء الوجهاء من القوم الى الندابات ، خاصة عندما تخشى الا يفيض دمعها ترحما على زوجها ، أو اذا كان البكاء طويلا فوق طاقتها . وتقوم الندابات بتأبين المتوفى فى الحجرة التى يسحب فيها جثمانه ، وتبدأ احداهن بذكر فضائل المتوفى ، وما ان تلفظ بكلمة واحدة حتى تنطلق الاخريات بصيحات مفزعة ، هدفها بيان مدى فداحة الخطب (١٦٧) .

المتسولون :

ويوجد كثير من الاشخاص من الطبقات الدنيا فى القاهرة والمدن المصرية الأخرى يحصلون على معاشهم من المتسول وهم من الدجالين الممقوتين(١٦٨) وكان لهم شيخ ويشتركون فى الاحتفالات العامة بل احيانا كانوا يجمعون من بعضهم النقود ليقدموا للحاكم هدية مثل شراء حصان يعملون له سرجا وبزركشونه ويقدمونه لشيخهم الذى يقوم بدوره لتقديمه للحاكم أو للأمير فى مناسبة عودته من الحج أو خلاف ذلك (١٦٩) ويقوم الذى أخذ الهدية باعطاء

---

166) E. Lane, The Manners and customs of the modern Egyptians, P. 91.

(١٦٧) ج. دى. شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ص ١٧٩ .

168) E. Lane, The Manners and customs of the modern Egyptians, P. 22.

(١٦٩) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ١ ، ص ١٠٥ .

شيخ الشحاتين ونقيبه وأعضاء حرفته هدية نظير ذلك . ولقد كان لهم أملاك ومعهم نقود كثيرة فى منازلهم وكانت أحيانا تسرق بمعرفة أصدقائهم ، ويشتكى الى الحاكم فى القلعة لينال تعويضا ، ويستعيد جزءا من اللص ، ولكنه فى هذه الحالة يمنع من التسول . وبالرغم من أن نظم حياتهم كانت قاسية ، الا انهم متأكدون تماما من حصولهم على الطعام الكافى ، والمال اللازم لسد كل حاجات الحياة نتيجة لاحسان الناس عليهم .

وهناك كثير من المتسولين ينفقون أكبر جزء من كسب يومهم فى الانغماس ليلا فى المخدرات الذى يجعلهم ، حسب تصورهم — أسعد المخلوقات لساعات قليلة (١٧٠) .

وكان اصواتهم — اثناء التسول — النداء الى الله ومن أكثرها شيوعا « يا عطوف يارب — لله يا محسنين — انا اطلب من الله خبز — يارب ، ياجميل — عشانا عليك يارب » وغيرها من النداءات .

ويوجد نوع آخر من المتسولين وهم الدراويش وهم ينشدون مديحـا للنبى بالعزف على الآلة الموسيقية أو طبلة صغيرة وهم سائرون ويذهب كثير منهم الى الريف ويكونون عادة اكثر من واحد ومعهم جواد (١٧١) .

٢ — الخــدم :

وينقسمون الى ثلاث طبقات ، حسب طبيعة أعمالهم ، وهى طبقـة السايس وطبقة الفراشـين ، وطبقـة القواسـين . ونعـرض لكل على حده (١٧٢) .

---

170) E. Lane, The Manners and oustoms of the modern Egyptians, P. 24.

171) E. Lane, Op., Cit., P. 25.

(١٧٢) ج. دى. شابرول ، دراسـة فى عادات وتقاليـد سـكان مصر المحدثين ، ص ٢٩١ .

(أ) السايس :

وينام بالقرب من الخيول التى يوكل اليه أمر العناية بهـــا ، ويـــكاد اسايس لا يتقاضى أجرا ، ولكنه يحصـــل على عدد لا يحصى من المكاسب انصغيرة المحظورة ويحصل فى معظم الأحيان على هدايا بمناسبة الأعيـــاد (عيدية) ، وباختصار فهو يعيش فى بحبوحة ومعظمهم لا يتزوجون .

(ب) الفراش :

وهو الذى يعنى بالأثاث ويسهر على نظافة البيوت والاضاءة ويقيـــم عند سيده ولا يترك مسكنه الا عنلا زواجه .

(جـ) القواس :

وهو الذى يسبق سيده سائرا على الاقدام ، حاملا عصا لابعاد الجمهور وتهيئة مكان لسيده ، وينقل أمر سيده فى داخل المدينة والى القرى المجاورة ويختار لهـــذا العمل فلاحين ورجالا من أبنـــاء الريف ، ولا يدفع له أجرا ، ولا يحصـــل على الخبز ، لكنه يعرض هذا الغرم الى حد كبير على حساب الذين يحمل اليهم أوامر أو رسائل من طرف سيده ، وبخاصـــة اذا ما كان لسيده نفوذ كبير .

٣ ــ المكارون :

وقد كانت مكانة المكارين الاجتماعية ضئيلة ، وكانوا ينضـــمون الى صفوف الباعة (المتسببين) والشيالين ، ، والحرفيين ، والمومسات ، عنـــدما كان يعد أبناء الطبقة الدنيا (الناس الدون أو الناس الأدنياء) وكنا قد تعرضنا لهم عندما تنافسوا مع السقايين فى لعب دور رسل الغرام .

ولم تكن الطوائف التى ينتظم فيهـــا الحمارون تقـــل عن أربع طوائف «ثلاث» لنقل النساء والرجال ورابطة لنقل الامتعة والأشـــياء لكن الجمالين على وجه الخصوص « الشواغرية » كانوا هم المتخصصين فى نقل الأمتعة،

والبضائع وكانوا يشـــكلون طائفة واحدة هى طائفة الجمالين لنقل الأمتعة ولم يكن يستخدم البغال والخيول الا الخاصة ، فكانت الخيول وقفـــا على استخدام المماليك ، أما المشايخ والتجار فكانوا يستخدمون البغال ولم يكن من حق الأوروبيين وأبناء الاقليات اليهودية والمسيحية أن يستخدموا سوى الحمير .

وكانت الحيوانات التى تؤجر تقف جاهزة فى محطات واهم هذه المحطات «موقف الحمارة» و «موقف الجمال» وكانت توجد عدة وكالات للحمير . وكان يوجد حول باب اللوق ثلاثة للحمير كانت وثيقة الصلة بطائفة الحمارين لنقل السيدات والرجال (١٧٣) .

وكان يستولى على الجمال فى مواسم الحج كما حدث فى عام ١٧٨٦م عندما أراد ابراهيم بك أن يستولى عليها مرتين ، ولم يتغير الحال عندما تولى محمد على حكم مصر بالنسبة لهذه الوسـائل . (١٧٤)

١ ـ بعض الحرف والمهن الاخرى :

بالاضـــافة الى الحرف التى ذكرت ، فانه توجد بعض الحرف والمهن الأخرى مثل بائع الخردة (الخردجى) والصباغ والرفا وصانع العقد الحريرية و (العقاد) وصانع الغليون «الشبشكى» والعطار الذى يبيع الشموع وغيرها من أدوات العطارة(١٧٥) والدخاخنى وبائع الفواكه «الفكهانى» وبائع الفواكه الجافة «النقلى» وبائع الزيت «الزيات» الذى يبيع الزيد والجبن والعسل وغيرها ، والخباز «الفران» الذى يبيع الخبز ويطهى اللحم ، وبائع الخضر

(١٧٣) أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص ٥٤ ــ ٥٦ .

(١٧٤) أندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص ٥٦ .

175) J. Augustus, Egypt, and Mohamed Ali or Travels in the vally of the Mile, Vol. 2., P. 385.

وكثير من المطابخ والمحلات حيث يطهى ويباع الكباب وغيرها من الاطباق المختلفة . ولكن نادرا ما نجد أشخاصا يأكلون فى هذه المحلات عندما لا يستطيعون اعداد طعام لهم فى المنازل وغالبا ما يحصل أصحاب المحلات على فطورهم أو غذائهم من هذه المطاعم التى يسمونها الطباخين(١٧٦) وهناك كثير من المحلات حيث يباع الفول المدمس والفطاطرية ويأكل كثير من اشخاص الطبقات الدنيا فى محلات الفطاطرى أو من الفوال(١٧٧) وتكون صيحات بعض الباعة المتجولين غالبا عجيبة ، فبائع الترمس ينادى غالبا «ساعدنى يالمبابى » « وامبابة يفوق اللوز » ، « كم أنت حلو يا عترة» وبائع الليمون الملاذع ينادى «الله ينور» ونوع آخر من الباعة يصيحون «صنف حلو المذاق من الشمام «يسمى عبد اللاوى» والبطيخ ، بالاضافة الى بائعى الحلوى المسكرة الذى كان ينادى «ياعظمة ياحلاوة» ويقال عنه انه نصف لص ، لأن الأطفال والخدم غالبا ما يسرقون أدوات المنزل الذى يعيشون فيه ويعطونها له مقابل بعض الحلوى وهناك أيضا بائعو الورد وبائعوا القماش القطن الذى يصنع بآلات تدار بالثور ويعلن عنها «ياعمل الثور ياصناعة» . (١٧٨)

بالاضافة الى ذلك هناك بائعوا الكتب والمخطوطات والمصاحف ، وكانوا يمتنعون عن وضع المصحف الشريف فى أيدى رجل غير مسلم مهما كان الثمن الذى يريد دفعه وكان يوجد سوق للمكتبيين . (١٧٩)

وكانت الفنون والحرف الصغرى والاكثر تخصصا مقصورة على المدن المصرية وتمثلت حرف النقش على المعادن والخشب فى القاهرة . (١٨٠)

---

176) E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P. 14.

(١٧٧) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٦٨ .

178) E. Lane; The manners and customs of the modern Egyptians, P.P. 15-16.

179) E. Lane, Op. Cit., 315.

(١٨٠) هاملتون جب ، هارولد بورن ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٥ .

ويلاحظ ن المهن التى سبق ذكرها سواء أكانت وضيعة أم غير وضيعة اها مصلحة وملتزم يشرف عليها ويحصل منها ضرائب وكان كل ملتزم له منطقة معينة يحصل منها الضرائب ولا يجوز لأحد أن يعتدى على منطقته . وقد رأينا ان بعض هذه تتبع المحتسب مثل الخبازين ، والجزارين ، وبائعى الزيت والسمك والسردين والخضروات ، والشمع ، وبائعى اللبن وقد كانت تتبعه أيضا فى جمع الضرائب بعض المهن الوضيعة ثم اسندت بعد ذلك الى أمين الخردة مثل الحلوانية ، وتلائى السمك وبنات الهوى ، والحشاشين ، والطبالين ، وبائعى الفول النابت والقلل . (١٨١)

على كل حال كانت الضرائب تجبى بصفة منتظمة على جميع الحرف والمهن مثل الراقصات وبنات الهوى والحواة والمهرجين ولاعبى الاكروبات ، ولاعبى القمار وتجار وصانعى الدخان ، وصانعى الخل ، وعمال نظافة الحدائق ، وقاطعى أخشاب النخيل وعمال أملاح الأمونيا فى القاهرة ونجارى أخشاب المنازل ، كما كانت تجبى ضرائب من الدلالين (السماسرة) على بيع الجمال فى ميدان الرميلة .

وهناك ضرائب حماية على الحدائق المسورة في القبة حيث تعيش المغنيات وبنات الهوى ، وضرائب على الحبوب والفاكهة ، وحيوانات الأسواق ، وصانعى الأكواب ، وصانعى السروج ، والعمال الذين يعدون الدخان لاستخدامه فى الشيشة (القهوجية) وصباغى الحرير(١٨٢) ، كما

181) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 137; S.J. Shaw., The Financial and Administrative organazation and development of Ottoman Egypt, P. 122.

دفتر ٧٨٤ تركى ، ديوان خديوى ، ص ١٥٨ ، وثيقة رقم ٣٢٣ ، بتاريخ ٢٩ شوال عام ١٢٤٧هـ .
من المجلس العالى الى الديوان الخديوى .

182) S.J. Shaw, The Financial and administrative organization, P. 122.

درضت ضرائب على الملاحة والصيد فى النيل والبحيرات المختلفة فى الدلتا .
ومعظم الوكالات (الأسواق) مثل أسواق الارز والنيلة والكتان والصـــابون والعبيد والمشروبات الروحية وبيع الملح(١٨٣) وكانت تفرض عليهم ضرائب متعددة فى السنين القريبة من الاحتلال الفرنسى ، بدرجة جعلت من المستحيل على ولاة الأمور الفرنسيين تحديدها . (١٨٤)

---

183) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 157.

(١٨٤) محمد شفيق غربال ــ مصر عند مفرق الطرق ــ مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة عدد مايو سنة ١٩٣٦م ، ص ٣٧ .

الفصل الثانى

بعض الصناعات الموجودة فى مصر
فى أواخر القرن الثامن عشر

بعض الصناعات الموجودة فى مصر

فى أواخر القرن الثامن عشر

واذا كنا قد تكلمنا عن الطوائف ، وتعرضنا للتنظيم الهرمى لها من أول انصبى والعريف ، والأسطى ، ثم عرفنا بعد ذلك مزايا ومساوىء الحـرف لابد من التعرض لحالة الصناعة فى أواخر القرن الثامن عشر مع ضرب بعض الأمثلة لبعض الصـناعات وتأثير الحرف ، وخاصـة عنـدما فتح الأتراك العثمانيين مصر واخذ السلطان سـليم جميع رؤسـاء حرف الصـناعات المتخصصين فى الفن والصناعة ونقلهم الى الاستانة لينشروا فيها صناعاتهم، فكان ذلك سببا فى نضوب الصناعة والفن فى البلاد ، وتلاشى بعض الصناعات النشطة . لابد وأن نعود الى الفتح العربى الذى لم يؤد الى القضاء على الصـناعات التى كانت موجودة منـذ القـدم ، وخاصـة صناعة الغـزل والنسيج(١٨٥) ، ونجد أيضا أن بعض الصناعات نشطت فى عهـد الدولة الفاطمية وخاصة صناعة بناء السفن الحربية والتجارية ، وبناء العمارات والمساجد ، والفنادق ، وصناعة الزجاج ، وازدهرت الصـناعة فى عصر سلاطين المماليك ، وخاصة صناعة الغزل والنسيج التى كانت تصدر الى كثير من بقاع العالم . (١٨٦)

وقد بقيت الصناعة ، حتى فى أثناء القرن التاسع عشر الذى يعد من اعظم النظم الاجتماعية فى الشرق الاسلامى ، محافظة على تنظيمها وطرائقها التقليدية . برغم فقر العمال وانحطاط معيشتهم وانتاجهم فى القرن الثامن عشر وبمقارنة ذلك بالانتعاش الصناعى الذى ساد الشرق من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر الميلادى ، فانهم باستثناء تغييرات طفيفة حافظوا على

---

(١٨٥) راشد البراوى ، ومحمد حمزة عليش ، التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ص ١٤ .

(١٨٦) أمين عفيفى مصطفى عبد الله ، تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ص ٨٣ .

.: درج عليه اسلافهم فى العصور الوسطى من طوائف الحرف وعمليـــات الصناعة . (١٨٧)

ويلاحظ أن المنشآت الصناعية كان حجمها صغيرا نظرا لضيق السوق وصعوبة المواصلات ، وفى غالب الأحيان كان صاحب العمل يعمل فيها وحده، او بمعاونة بعض الصبيان(١٨٨) ، وكان يستطيع أن يوفر الحاجات المحلية من الأوانى الفخارية والأدوات الخشبية ، والآجر او اللبن ، اذ أن هـــذه الصناعات كانت مرتبطة ببنيان الحياة فى القرية ، فهى تتبع نظام القرية ، لا نظام الحرفة (١٨٩) . ومن الصناعات والحرف ما كان يمارس فى المنازل لا فى مكان خاص يعد له .

ورغم أن النظام الصناعى الســـائد فى القـــرن الثامن عشر كان نظام الوحدات الانتاجية الصغيرة اتى تنتج حسب الطلب ويزودها العملاء بالمواد الأولية احيانا فقـــد بدأت عناصر النظام الراســـمالى تتسرب الى الصناعة المصرية ، اذ اعتاد كبار التجار فى المدن تمويل الصناع فى الريف وتشغيلهم لحسابهم الخاص ينتجون وفقا للمواصفات التى يضـــعها التجار (١٩٠) ، يتضح من ذلك أنه رغم بقاء النظام الصناعى التقليدى على حاله ، واحتفاظ أرباب الحرف ببعض الاستقلال فى توجيه الانتاج ، فانهم أصبحوا فى الواقع خاضعين لرقابة غير مباشرة ، فكان التجار يقدمون المال للصناع ، ويحصلون منهم على السلع المصنوعة مباشرة بدلامن شرائها من الأسواق وفى الصناعات

---

(١٨٧) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٢١ .

(١٨٨) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ١٩ .

(١٨٩) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٢١ .

(١٩٠) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٢٠ .

التى تنتج سلعا كمالية للسوقين المحلية والعالمية أو التى تتطلب استعمال آلات ومواد أولية يعجز العمال عن تدبيرها بأنفسهم ، كانت هناك مصانع كبيرة نوعا ما ينتظم فيها العمال تحت اشراف رب العمل ، وأحيانا يكتفى بالاشراف والتوجيه ، ومراقبة الصنف ، ومباشرة عمليات البيع والشراء . (١٩١)

أما عن تحديد السعر . فقد كان هدف الحكومة هو حماية المستهلك فلا يمكن بيع السلع بأعلى من السعر المحدد ، وكان البائعون أحرارا فى أن يبيعوا بسعر أقل اذا شاءوا - ولكن يبدو أن ذلك أمر غير مألوف . ويبدو أن المنافسة كانت قليلة بل ومعدومة بين أعضاء الطائفة الذين كانت تقع حوانيتهم فى شارع واحد أو حى واحد . وكان فرض التسعير موجها ضد اساءة استعمال حقوق احتكاره من جانب الطوائف ككل أكثر منه ضد رفع الأسعار من جانب الأفراد . (١٩٢)

ولذلك كان المشتغلون بحرفة ما يجتمعون فى نقابة أو طائفة — كما رأينا — وكانوا ينظرون فى كل ما يتعلق بمهنتهم وصناعتها ، فاذا كانوا من طائفة عمال النسيج مثلا فعليهم أن ينظروا فى أمر الخيوط التى تستخدم فى عمل المنسوجات ومواد الصباغة وغير ذلك مما تتطلبه من مواد فى هذه الحرفة . (١٩٣)

ويلاحظ أنه كان يسمح لرؤساء الطوائف بفتح حوانيت ، وكان عدد الحوانيت المصرح لكل طائفة بها محددا بدقة .

---

(١٩١) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٢١ .
(١٩٢) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٢٣ .
(١٩٣) عبد المنعم فوزى ، مذكرات غير مطبوعة فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٢٤ .

وكان امتياز امتلاك حانوت أو الترخيص بالقيام بأى عمل صناعى أو نجارى يسمى فى التركية «كديك» ولم نكن الحوانيت ملكا لأصحابها ولكن كان يدفع ايجارا سنويا . على أنه يسمح لهم بالبيع أو الرهن أو بالنقل الى ورثة المتوفى ، ويمكن للابن ان يرث المحل اذا كان اهلا لذلك ، اى أن يكون قد وصل الى مرتبة الأسطى ، فى الطائفة نفسها واذا لم يتوفر ذلك يباع لعضو آخر اكفأ منه .

وكانت حرية العمل المسموح بها لأعضاء الطائفة محدودة جدا فى الواقع وهذا راجع الى طرق اخرى كانت تحـد من ادارة أعمالهم ، فمن ناحية لم يكن ممكنا أن تباع سلعة من أى نوع بسعر أعلى من السعر الذى تحـدده الحكومة دوريا ، ومن ناحية أخرى لم يكن بامكان صاحب الحرفة أو التاجر أن يصنع أو يبيع شيئا خارج النطاق المسموح به لطائفته ، ومن ناحية ثالثة لم يكن يسمح باجراء أى تغيير فى الطراز القائمة . (١٩٤)

وكانت الصناعة بصفة عامة فى أواخر القرن الثامن عشر متأخرة ، فقد اختفت بعض الصناعات الهامة واختفى معها اسرارها ، وعلى ذلك فقـد وجدت بعض الصناعات التى تتناسب مع مجتمع زراعى فقير ، كما كانت طرق الانتاج الصناعى بدائية والمنشآت الصناعية صغيرة على وجه العموم .

وقد نتج عن هذا التأخر أن هبط مستوى الرقى والابتكار فى الفنون وغيرها من فنون الصناعة ، ولذلك اقتصر عمل الحرفيين على تقليد ما يرد اليهم من الأسئاتة دون التعديل فيه حفاظا على شكله ومستواه . (١٩٥)

وكانت توجد بعض الصناعات فى أواخر القرن الثامن عشر وسأشير الى بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، وهى على النحو التالى :

---

(١٩٤) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٢٢ .

(١٩٥) عبد المنعم فوزى ، مذكرات غير مطبوعة فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٢٤ .

١ ــ صناعة الغزل والنسيج :

وأهمها نسج القطن والكتان والصوف والحرير ، وقد انحط شــأن هذه الصناعة واقتصر انتاجها على الأنواع السميكة ، أما الانواع الفاخرة فكانت تستورد من الخارج وخاصة من فرنسا وايطاليا . (١٩٦)

وانتشرت هذه الصــناعات فى كثير من قرى مصر ومدنهــا فى الوجهين البحرى والقبلى ، فكانت صناعة المنسوجات القطانية فى الصعيد الأعلى ، ما بين جرجا وأسوان فى حين أن هذه الصناعة انتشرت فى القاهرة والمحلة الكبرى من بلاد الوجه البحرى . واقتصرت على انتــاج الأقمشة الكتانية والقطنية . وحــين كانت كميات القطن تقــل كان التجــار يستوردونه من سوريا(١٩٧) ، وكانت تنتج الأقمشة الكتانية والقطنية ، ولذلك نجــد أن فابريقات قنا تنتج الشيلان المخططة القطنية الزرقاء والتى كانت تستخدمها الفلاحات عندما يعملن فى الحقول ، وكانت تصدر الى وسط أفريقيا وسنار ودارفور . وفى قنا وفرشوط تصنع الأقمشة التى تســتخدم لعمل العمامات (غطاء الرأس للرجال) بالاضافة الى المنسوجات الملونة التى كانت تلبسها الفلاحات وتنتج أسيوط أيضا المنسوجات الكتانية الملونة والتى كانت تلون عادة باستخدام النيلة ، كما كانت فى الفيوم مصانع لانتاج المنسوجات الكتانية والقطنية كذلك فى منوف وطنطا والمنصــورة ورشــيد التى كانت أقمشتها الكتانية تستخدم فى أشرعة للمراكب ، وكذلك اشتهرت الفيوم بانتاج الأجولة التى كانت تجد لها أسواقا ثابتة فى ســوريا وتركيا وكانت النسوة يشترين القنب الجاهز فى الأســواق وكن يبعن الخيوط المغزولة بأربع بارات عن الشلة . (١٩٨)

---

(١٩٦) عبد المنعم فوزى ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

197) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P.P. 131-132.

(١٩٨) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٣ .

اما صناعة المنسوجات الصوفية ، فكانت منتشرة فى القرى المصرية ، وتصنع من أصواف الأغنام المحلية ، الا أن أجود الأقمشة الصوفية فكانت تصنع فى اسيوط نظرا لجودة المادة الاولية بها ، كذلك أشتهرت الغربيــة والشرقيــة بهــذه الصـــناعة وكانت الفيوم تشـــتهر بصـــناعة الشـــيلان البيضاء(١٩٩) وكان يصدر الى القاهرة حوالى الفين منها أسبوعيا . كما كانت الدلتا متخصصة فى صناعة الملابس الصوفية . وقد فرضـــت الدولة ضرائب على أنوال الفيوم بمقدار بارتين أسبوعيا(٢٠٠) ، وكان يقوم على صناعة نسج الصـــوف عدد من المتاجر المرتبطة بهـــا كالصباغة — وكانت الصـــباغة باللون الوردى فى القاهرة ذات ســـمعة معروفة — والتطريز ، وصناعة الشراريب وصـــناعة الخيوط المذهبـــة والمفضضة . كذلك كانت الصناعات القطنية والصوفية توفر العمل لطوائف كبيرة من الندافين .

وقد انتشرت صناعة المنسوجات الحريرية فى المحلة الكبرى وفى دمياط حيث اقيم مصنعان لصناعة الحرير وكانت المواد الخام تجلب من الشام ، وكان نسيج الحرير يستخدم كستائر للشبابيك وغطاء (مفارش) للمناضـــد و «براقع» للسيدات الخ . كما كانت توجد بالقاهرة مصانع لانتاج المنسوجات الحريرية ، وكانت تحتكر انتاج الحرير الملون مثل الاصفر والاحمر والاسود والأخضر والبرتقالى ، والأزرق . (٢٠١)

وكان لهذه الحرفة شيخ من اقدم المشايخ يتولى شئونها ويفصل فى

199) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 132.

(٢٠٠) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٣ .

201) S.J. Shaw, Ottomen Egypt in the Age of the French Revolution, P. 132.

المنازعات القائمة بين أفراد حرفته ، ويوزع عليه مالضرائب شأنه فى ذلك شأن شيخ أى حرفة أخرى . (٢٠٢)

ومما يلفت النظر اختفاء كثير من الأماكن التى كانت ذات شهرة واسعة فى العصور الوسطى ، فلا نجد أسماء تنيس وشسطا وديبق . وهذه كانت بلادا تشتغل بانتاج أفخر أنواع الحرير الموشى بالذهب والحرير المفضض ، وفقدت الاسكندرية شهرتها كمركز صناعى ممتاز . (٢٠٣)

٢ ـ صناعة الأوانى الفخارية :

كانت هذه الصناعة منتشرة فى الوجه القبلى وتشمل الاوانى الفخارية كالبرام والقدور . وقد اشتهر كثير من البلاد بانتاج نوع معين من الأوانى فتخصصت قنا فى انتاج القلل والأباريق والزهريات ، وتخصصت ملوى ومنفلوط فى صناعة الأوعية الكبيرة التى كانت تستخدم فى صناعة السكر والنيلة والزيوت والصباغة وما أشبه ذلك . وكان الفخار المصنوع فى منوف أزرق اللون نتيجة لخلط النحاس والأوكسيد وماء النار والنترون فى الطين(٢٠٤) . وكان جنوب الصعيد ينتج أجود الأصناف وخصوصا أسوان والمناطق المتاخمة لها ، حيث تقترب من التربة الجيرية والأحجار والخامات الصلبة فى المحاجر . (٢٠٥)

---

(٢٠٢) محمد فهمى لهيطه ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، ص ٣٤ .

(٢٠٣) محمد فهمى لهيطه ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، ص ٣٤ .

204) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P.P. 130-131.

205) G. Pierre Simon, Memoirs sur L'agriculture, L'industrie et le commerce de L'Egypté, P. 199.

٣ ـ صناعة الطوب :

وكانت صناعة الطوب منتشرة فى جميع أنحاء القطر المصرى واستخدم فى بناء منازل القرى والمدن ، ويوجد نوعان منه احدهما يستخدم فى بناء منازل القرى وهو الطوب النىء ، وثانيهما الطوب الأحمر (المحروق) والذى يستخدم فى بناء منازل المدن . (٢٠٦)

٤ ـ صناعة المواد الغذائية :

وكانت منتشرة فى القطر المصرى وذلك لارتباطها بالاستهلاك المحلى للاهالى مثل صناعة الزيوت التى كانت تستخدم للاضاءة وللطعام ، وكانت الدلتا تنتج الزيت من نبات الكتان والسمسم والوجه القبلى ينتج الزيت من الخس والقرطم والسلجم والقلب والسمسم(٢٠٧) . وكان زيت الخس يصدر أيضا الى بلاد العرب من صعيد مصر . وقد احتاجت هذه الصناعة الى الآلات المستعملة كثيرة التكاليف اذ أن ثمن عصارة الزيت كان يصل الى أربعمائة دولار . ويقول جيرار أنه كان يعترض استعمال الآلات ليس فقط لتكلفة اقامتها وتشغيلها بل أيضا لأن تشغيل الرجال والحيوانات كان أرخص بسبب تكاليف المعيشة وانخفاض الاجور . (٢٠٨)

كما قامت صناعة تمليح السمك قرب بحيرات عمال الدلتا ، ومضارب ضرب الارز قرب مناطق زراعته فى رشيد . (٢٠٩)

---

(٢٠٦) احمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٩ .

207) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 132.

(٢٠٨) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب جـ٢ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢٠٩) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٩ .

أما صناعة النبيذ والكحول ، فقد اشـــتهرت الفيوم بانتاجها ، وكان أفخم الأنواع من النبيذ ينتج من العنب ، أما الكحول فقد كان ينتج من البلح ويسمى العرق(٢١٠) وكان ماء الورد يقطر فى الفيوم . (٢١١)

وكانت صناعة السكر والعسل الاسود منتشرة فى فرشوط وأخميم ، حيث يزرع هناك أجود أنواع القصب(٢١٢) ، وقد انحط شأن هذه الصناعة بعد أن كانت مزدهرة فى العصر الفاطمى(٢١٣) ، وكان يصنع بطريقة بدائية حيث كان يعصر القصب على معاصر خشبية ، ويغلى عدة مرات ، ثم يوضع فى قوالب حتى يجف أما التكرير فلم يكن معروفا فى ذلك الوقت (٢١٤) .

ووجدت صناعة السكر نتيجة لجهود مشتركة بين مجموعة من المماليك والمنتجين فكان المماليك يتقدمون بالأرض والمبانى والخامات ، على حين أن المنتجين كانوا يتقدمون بالعمال الذين كانوا يتلقون اجرا يوميـــا قدره ست بارات . وكان متوسط ســـعر بيع قوالب الســـكر هو عشرة دولارات عن القنطار . (٢١٥)

---

210) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution P. 132.

(٢١١) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٤ .

212) S.J. Shaw; Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 132.

(٢١٣) راشد البراوى ، محمد حمزة عليش ، التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ص ٨٦ .

(٢١٤) أمين عفيفى مصطفى عبد الله ، تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ص ٧٦ .

(٢١٥) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاســلامى والغــرب ، ص ١٤٤ .

٥ ــ صناعة تفريخ الدجاج :

وكانت احدى الصناعات الهامة فى مصر ، وقد احتكرها الى حد كبير حكام الأقاليم ، الذين كانوا يقدمون آلات التفريخ بطريق الالتزام الى ملتزمين للأقصر على سبيل المثال ــ فى مقابل ثلاثين دولار فى الشهر . وكان البيض يشترى بسعر يتراوح بين سبع وعشر بارة عن المائة ، بالاضافة الى ربع الكتاكيت ، كما أن العمال يتقاضون أجرهم بالكتاكيت . (٢١٦)

٦ ــ صناعات متنوعة :

بالاضافة الى ما تقدم قام الأهالى بصناعة الأشياء التى كانت مرتبطة بحياتهم اليومية مثل الأثاث والسواقى من الاخشاب المحلية ، وقطع الأحجار ، وعمل الشمع وصناعة الحصير ، وصناعة مواد الصباغة ، وصناعة نترات البوتاسيوم ، وتجليد الكتب . وسوف أذكر بعض هذه الصناعات بالتفصيل .

(أ) صناعة الحصر :

وكانت منتشرة فى مصر ونستخدم فيها المواد المحلية مثل نبات الحلفا وسعف النخيل ، ومن أماكن انتاجها سنورس وطمية ومنوف ، وكان الانتاج يزيد من حاجة الاستهلاك المحلى ، ويصدر الفائض الى الخارج(٢١٧) . وتخصصت بعض البلاد فى انتاج أنواع ممتازة من الحصر مثل الفيوم ومنوف، وقد تراوح عدد العمال الذين يعملون بهذه الصناعة فى منوف ما بين ستمائة وسبعمائة عامل . (٢١٨)

---

(٢١٦) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢١٧) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن ١٩ ، ص ١٨ .

(٢١٨) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٢ .

ولا زالت هذه الصناعة قائمة حتى الآن وتتبع الطريقة نفسها التى كانت تستخدم فى الماضى .

(ب) صناعة ملح النشادر :

وكان هذا الملح يستخرج من سماد الحيوانات فى الدلتا والقاهرة واجود الانواع هى التى تأتى من الغربية ، وفارسكور ويصدر الى أوربا(٢١٩) ، وكان يحتاج لتنقيته فى مرسيليا ، وذلك لعدم نقاوته وكان عدد العاملين فى مصنع فارسكور بالمنصورة ثلاثين عاملا ، يتقاضى كل منهم دولارين فى الشهر ، بالاضافة الى طعامهم (٢٢٠) .

(جـ) صناعة مواد الصباغة :

لم تكن الصباغة بالرقى والتقدم كما كانت فى عهد قدماء المصريين وكانت تستخرج بطريقة بدائية ، كما أن الالوان التى تستخدم تعد بشكل مجاف للذوق ، وكانت تستخرج من النيلة للون الأزرق (٢٢١) ، ومن الزعفران اللون الأصفر (٢٢٢) .

(د) صناعة جليد الكتب :

انتشرت هذه الصناعة وكانت تذهب وتنقش بالذهب المحلول والأصباغ الملونة والرسم (٢٢٣) .

---

219) S.J. Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 132.

(٢٢٠) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢٢١) ج. دى. شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ص ٢٨ .

(٢٢٢) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ٣١ .

(٢٢٣) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٢ ، ص ١٦٨ .

(هـ) صناعة نترات البوتاسيوم :

وكانت تستخرج من بقايا أتربة البلاد وبخاصة فى مصر القديمة وقنا ، وتستخدم فى صناعة البارود (٢٢٤) .

كما قامت صناعة الملح عن طريق ماء البخر الطبيعى فى البحيرات الصغرى على طول شاطىء البحر الأحمر بالقرب من السويس وشاطىء البحر الأحمر(٢٢٥) .

ووجدت بعض الصناعات الاخرى مثل صناعة المراكب المدنية والحربية ، التى كانت تجوب البحرين الابيض والاحمر (٢٢٦) ، وصناعة الاسلحة ، ووجد الكثير من العمال المهرة فى ذلك الوقت (٢٢٧) .

هذه هى أهم الصناعات فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، وكان معظمها للاستهلاك المحلى .

ويلاحظ أن طرق الانتاج كانت بدائية ، ولم تكن المصانع تعرف من أصناف الوقود سوى قش الذرة والأرز ، ومخلفات الحيوانات (الجلة) ولم يكن السواد الأعظم من أرباب الحرف يدرى شيئا عن استعمال الآلات الجديدة والقوى المحركة فى دول غرب أوربا ، وما ينتج عن ذلك من زيادة كبيرة فى انتاج العمال .

ويظهر مدى تأخر طرق الانتاج فى صناعة السكر مثلا ، فكان الصانع يعمل خمسة وعشرون يوما على التوالى لانتاج السكر من محصول فدان

---

(٢٢٤) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ٢١ .

225) S.J. Shaw; Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, P. 132.

(٢٢٦) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ١ ، ص ٤٦ .

(٢٢٧) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٥٠ .

واحد من القصب وبالمثل كانت طرق الانتاج فى صناعة الغزل والنسيج عتيقة بالية لم تتغير فى كثير او قليل من عهد قدماء المصريين (٢٢٨) . وآلات عصر الزيوت أيضا فبعض المعاصر استعملت آلات معقدة غالية الثمن كما رأينا .

وكان انتاج الطعام هو الذى يحكم توزيع السكان وقيام الصناعات الصغيرة ولأهمية العمل اليدوى البحت قام ارتباط وثيق بين الزراعة والصناعة ، فالعمال يشتغلون بالغزل فى أوقات الفراغ ، ويقبلون على العمل فى الصناعات الموسمية فى الشتاء حين يقل الطلب على العمال فى الزراعة . وكان الدخل من الصناعات اليدوية التى تمارسها النساء والاطفال يؤلف جزءا كبيرا من دخل الأسرة ، كما كانت الصناعة تعتمد اعتمادا يكاد يكون تاما على المواد الأولية التى تنتجها المناطق المتاخمة لها (٢٢٩) .

وترجع الاسباب التى أدت الى تدهور الصناعة فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الى ما يلى :

١ — نقص الادخار والاستثمار بسبب الفقر المدقع الذى عاشت فيه البلاد فترة طويلة من الزمن ، فلم تجار مصر فى تلك الحقبة من الزمن التطور الزراعى الحثيث الذى حدث فى أوربا ، وعاد بالخير على ملاك الاراضى وكبار المزارعين ، كما انها لم تساهم بنصيب كبير فى التطور التجارى الذى زاد من أرباح المشتغلين بالتجارة ، ومهد السبيل لقيام فئة من المستثمرين ، تكرس الفائض من ثروتها الطارفة والتليدة للاستثمار المنتج ، ويكون طلبها على السلع الضرورية والكمالية حافزا على التوسع الصناعى .

---

(٢٢٨) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ٢١ — ٢٢ .

229) G. Pierre, Simon, Social change in Egypt, 1800-1914, P. 103.

٢ ــ المنافسة المتزايدة من جانب البضائع الاوروبية وبخاصة النسيج للمنتجات المحلية ، وذلك بسبب ما أبدته الأسر الغنية ذات النفوذ من تفضيل للأولى (٢٣٠) ، ولذلك انتشر استخدام الأقمشة الاوروبية الثمينة انتشارا واسعا منذ عهد المماليك فى العهد العثمانى أستخدمت الاقمشة العادية الواردة من انجلترا وفرنسا بين الشعب وشتى أنه فى نهاية القرن الثامن عشر سجل أكثر من نصف مشتريات مصر من أوروبا ، أى ١٦٢ مليون بارة (٢٣١) .

٣ ــ عدم توافر الظروف الملائمة لقيام الصناعة الحديثة وهى الظروف التى توافرت للمناطق الصناعية فى انجلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا ، فقد كانت مصر فقيرة فى الخامات الهامة كالحديد والفحم ، وغيرها من مقومات النهضة الصناعية هذا الى افتقارها الى العمال الفنيين ، والى القوى المحركة الرخيصة المستمدة من مساقط المياه (٢٣٢) وكان الأهالى يجيدون استخدام الحركة من التروس مثل الساقية ، ولكنهم لم يفكروا مطلقا فى استخدام القوة الطبيعية الممنوحة لهم وتحت تصرفهم وهو النيل (٢٣٣) .

ولكن من الصعب التحكم فى نهر النيل ، نظرا للفيضانات المختلفة وقد استخدموا طواحين الهواء قبل الحملة الفرنسية ، وذلك يرجع الى رخص الايدى البشرية العاملة ، والقوة الحيوانية قد صرفهم عن البحث عن طاقة اخرى .

---

230) Girard, Memoire sur L'agriculture, l'industrie et le commerce de l'Egypté, in Descriptiob de L'gypté; Etat modern, P. 590.

231), A. Raymond, Artisans et commercants au Cairo au xille siecle, T.I.P. P. 212.

(٢٣٢) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٤ .

ولم تكن المصانع تعرف من أصناف الوقود سوى قش الذرة والارز والجلة ولم يكن السواد الأعظم من أرباب الصناعة يدرى شيئا عن استعمال الآلات الجديدة والقوى المحركة فى دول غرب أوربا ، وما نتج عن ذلك من زيادة كبيرة فى انتاج العمال (٢٣٤) .

٤ ــ كما أنه يوجد سبب آخر جوهرى كانعدام التشجيع الايجابى للصناعة الا على أيدى حكام نادرين ، كما أن بعض الحكام أهتم بها لاستغلالها والذى يدلنا على ذلك وضع محمد بك أبى الذهب لورشة داخل جامع ابن طولون لصناعة بعض المنتجات الصوفية (الأحرمة) تهربا من الضرائب (٢٣٥) .

٥ ــ وهناك عوامل أخرى ساهمت فى تدهور الصناعة وعلى رأسها حالة القلق المستمرة التى عاشتها مصر فى بداية القرن الثامن عشر بالاضافة الى الثورات والحروب الداخلية ، والازمة المالية الدائمة ، والغش ، والمجاعة ، وساهم هذا كله فى انحطاط الحرف قبل دخول الحملة الفرنسية بعشرات السنين (٢٣٦) وترتب على ذلك تدهور الأحوال الاقتصادية ككل تحت الحكم العثمانى وعامل المحافظة التى اتسمت به الطوائف والعمال ، وهو الطابع الروتينى الذى تميزت به الصناعة، فان العمال كانت لديهم مهارة آلية ولكنها لا تنم عن ذكاء ، تطورت

---

233) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I.P. P. 208.

(٢٣٤) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن (١٩) ، ص ٢١ .

235) A. Raymond; Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I. P. 212.

(٢٣٦) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ٢١٢ .

فاصبحت « نوعا من الغريزة » (٢٣٧) .

٦ ـ وقد بين كثير من الرحالة والعملاء التجاريين مظاهر انحلال المهن الرئيسية فى القرن الثامن عشر ، فنجد دى مايبه De Maillet يقول « كمال الفنون يتعلق بحب العلوم ، وحيث أن الأول متقدم ، فلابد أن يتبعه الباقى ، والمصريون الآن لا يتقنون شيئا (٢٣٨) » . وأيده فى هذا الرأى بعد سنوات قليلة Pockocke وكان يؤيد هذا الرأى بالاعتراف أن بعض المهن بالقاهرة قد وصلت الى درجة فى الكمال مثل صناعة السرج ، والحفر على الأخشاب ، والصباغة ، أما فولنى Volney الذى تجول فى مصر عام ١٧٨٣م . فقال : « أن الفنون الآلية مازالت فى حالة الطفولة ، مثل النجارة ، وصناعة الاقفال ، والبنادق غير دقيقة ، والخردوات والاعمال الحديدية والنحاسية ؛ ومواسير البنادق والمسدسات تستورد من الخارج . وانه من الصعب أن تجد ساعاتيا ماهرا بالقاهرة ، واذا وجد فانه أوربى ، والصايغ لا يتقن تركيب وردة عادية ، والبارود الموجود خشن ويوجد مصانع تكرير السكر ، ولكنه ملىء بالرواسب ، أما بعض الصناعات التى وصلت الى درجة الكمال فهى صناعة الاقمشة الحريرية بالرغم من استعمال آلات يدوية فيها ، وأسعارها مرتفعة عن أوربا » (٢٣٩) .

وقد أبدى علماء الحملة الفرنسية آراء قاسية حول الحرف والصناعات المنتشرة فى مصر فيرى شابرول انه لا شىء يخرج من المصانع المصرية بدقة ،

---

(٢٣٧) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ٢١٢ .

(٢٣٨) المقصود بهذه العبارة أن التطور لابد وأن يأتى عن طريق العلم والتقدم ، واذا تقدم العلم تبعه التقدم فى جميع الفروع الأخرى .

239) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I. P. 206.

أو عناية ماعدا التطريز والنسيج ، والأشياء التى تستخدم دائما ، أما جرار فقد قال : « ان المصريون الآن (يقصد بوقت الحملة الفرنسية) مثل الشعب الذى يخرج من الحالة الوحشية أنهم لا يمارسون غير الاعمال ذات الطابع الوقح حسب متطلباتهم الأولى .

وكان الطبع الريفى مازال موجودا على منتجات الصناعة المصرية فى القرن الثامن عشر وأن الملاحظين الأجانب قد وجدوا أن صناعة القرون الوسطى كانت بدون شك أفضل » (٢٤٠) . وهذه المقارنة أدت الى الرأى القائل أن الصناعة المصرية أصيبت بالتدهور منذ العهد المملوكى .

وبالرغم من أن الرأى العام لم يكن ضد الاعمال اليدوية ، وكان الحرفيون يحتلون مركزا ثابتا بالنسبة للتجار ــ كما سبق أن عرفنا ــ ونتيجة لانحلال الفن للحد من الربح الكثير الذى تسببه التجارة ــ ماعدا بعض المهن المحتكرة من الأقلية وكانت الحرف اليدوية تحتل مركزا شرفيا (٢٤١) .

وجميع العناصر السلبية التى ذكرت قد تكون عناصر دائمة فى تاريخ مصر الاقتصادى ، ومسئولية تدهور الصناعة كانت تقع ــ حسب ما قاله الملاحظون الاجانب الذين عاشوا فى مصر على الفتح العثمانى لمصر وعلى نتائجها المباشرة ، أو البعيدة ، وكذلك على التغيرات التى أثرت بدخول الأوربيين الى الشرق الاسلامى .

والحقيقة أن هذا التدهور بدأ قبل دخول العثمانيين لمصر ، فقد أوضح المقريزى ، وأحمد دارج ، وصبحى لبيب ، وشارل عيسوى فى دراساتهم

---

240) Girard, P.S., Memoire sur l'agriculture, l'industrie et le commerce de l'Egypté, T. 2., P.P. 618-692.

241) A. Raymond, Artisans et commercants au xille siecle, T.I. P. 208.

الكثير من الظواهر السلبية التي نتجت عن الفتح العثمانى ، كانحطاط المهن، واختفاء بعضها وكساد النشاط الاقتصادى منــذ القــرن الخامس عشر ، وارسال العمال الى استانبول .

وقد اشار بعض المؤرخين الى أن العثمانيين قد قضوا على أكثر من خمسين مهنة ، ولكن ابن اياس يرى أن البطالة هى سبب انقطاع نشاط هذه المهن ، أما عن الرحيل الى اســتانبول فقــد اقتصر على التجار الكبار ، واصحاب الحانات وعمال البناء ، والبــلاط ، والمهندسين ، والحجارين ، والنجارين ، وصانعى السيوف ، والسباكين ، وهذا التحويل لا يؤثر دائما فى الصناعة ، كما اشـــار ابن اياس بعــد ذلك الى عودة هؤلاء العمال فى الأعوام ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ الى القاهرة بعد اتمام الاعمال الموكلة اليهم فى العاصمة العثمانية ، وخاصة بعد تولى سليمان الحكم وقد عادوا جميعا بلا استثناء ونالوا السماح بالعودة الى القاهرة (٢٤٢) .

ولا شك أن الفتح العثمانى خلاف ما تسبب للقاهرة من تحويلها من عاصمة الى مدينة اقليمية (٢٤٣) ، قد ضرب بعنف كثيرا من المهن ، التى كانت منتجاتها مرتبطة بالقصر العثمانى ، كبعض الورش التى تصنع بعض الصناعات الترفة مثل صناعة الفرو ، وفساتين الشرف حسب التقاليد ، واختفت بعض المهن تماما ولم تشر قائمة عام ١٨٠١ الى وجود رابطة فرو أو صانعى القبعات — المهن المزدهرة سابقا — وتلاشت الاسواق التى كانت تبيع — فى أيام المقريزى — جميــع اشـــكال فســاتين الشرف والأحزمة والقلنسوات (٢٤٤) . أو غيرت نشاطها ، والصناعات النحاسية والخشبية

---

242) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I. P. 210.

(٢٤٣) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٤١ .

244) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I. P. 210.

والخزف والزجاج والتجليد المتقدمة فى عهد المماليك قد تدهورت فى عهد العثمانيين ، ولم تتقدم الصناعة ودون توسط التنفيذ واستخدام الخامات الاقل تكلفة (مثلا العظم بدلا من العاج) ، تقليد الاشكال الاجنبية فى صورة محددة بالمنتجات الأوربية المستوردة التى عجز الحرفيون بمصر من انتاجها ، وتنطبق هذه الحالة تماما فى صناعة الفخار وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كان الانتاج المصرى تواجهه صعوبة ، منافسة ورش الاناضول وسوريا ، وفى القرن الثامن عشر تلاشى نهائيا ، وتبدل بالمنتجات التركية وبعد ذلك الاوربية ، ويمكن ملاحظة ذلك ايضا فى صناعة الزجاج ، وصناعة الفخاريات التى كانت فى تدهور ، وكان الرسم معدوم التنفيذ ومتأخر ، وكان لابد من استيراد الزجاج ، نظرا لعدم انتاجه فى الورش المحلية . وبيانات حسابات جمرك بولاق التى تكلم عنها جيرار عن قيمة واردات الزجاج من أوربا حوالى ٤٣ر٥ مليون بارة (١ر١٤٪) من اجمالى الواردات (٢٤٥) .

كما أن ذلك الانهاك الاقتصادى العام الذى اصاب الشرق الأدنى بسبب الحروب والكوارث الطبيعية التى حلت به فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، قد زاد فيه بعد تحول نقل الجانب الاكبر من التجارة الهندية الى الطريق البحرى حول افريقيا (٢٤٦) اثر ذلك تأثيرا كبيرا على الحرف الترفة، وعلى أهمية القاهرة كمركز تجارى ، بخلاف الانعزال النسبى الذى وقعت فيه مصر ، وكان سببا لركود الحرف (٢٤٧) .

---

245) A. Raymond, OP., Cit., T.I. P. 211.

(٢٤٦) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

247) A. Raymond, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, T.I. P. 212.

ولم يؤثر الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ ، كثيرا فى الاقتصاد المصرى، فقد وجدت مصر نفسها فى تكامل مع امبراطورية حوض البحر المتوسط ، التى عرضت امكانيات واسعة ، استغلتها مصر ، الأمر الذى شجع الصناعة، وأن ما فقدته الصناعة من حيث النوع قد عوضته الزيادة المطردة فى كمية منتاجتها (٢٤٨) .

حالة الصناعة ابان الحملة الفرنسية :

وبعد أن اعطيت فكرة موجزة عن الصناعة فى أواخر القرن الثامن عشر واهم الصناعات التى كانت موجودة والاسباب التى أدت الى تأخر الصناعة وتدهورها لابد من أعطاء فكرة سريعة عن الصناعة ابان الحملة الفرنسية واثر الفرنسيين فى تطور الانظمة الاقتصادية فى مصر .

لقد أصبحت مصر بعد تحطيم الاسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية ومحاصرة الاسطول الانجليزى للشواطىء المصرية مفقودة الصلة بالخارج ، واشتدت حاجة الجيش الفرنسى الى الملابس والأسلحة والذخائر وخاصة بعد أن قلت الواردات من الخارج ورفع أسعارها ، مما دعا الى انتاجها محليا ، لتصبح عملية مربحة ، فقد عمل الفرنسيون على استغلال موارد البلاد بأقصى طاقة ممكنة ، ولذلك عملوا على انشاء المصانع الحربية لصنع المدافع والذخائر والسفن .

وكانت الصناعة المصرية — عند دخول الفرنسيين — من الانواع الصغيرة المتأخرة مثل الصناعات الغذائية كطحن الغلال ، والاذرة ، وصنع الخبز ، وضرب الارز وتبييضه وطحن البن واستفراخ البيض ، واستخراج السكر من القصب ، وعصير الزيت من السمسم وبذر الكتان والقرطم

---

(٢٤٨) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤١ .

والسلجم وحرف الجزارة وتدميس الفول وصنع الخل ، من البلح أو الزبيب، وتقطير ماء الورد (٢٤٩) وعسل النحل ، وصناعة الفطير والحلوى والمربات (٢٥٠) وكانت صناعة الملابس تنحصر فى غزل القطن ، والكتان والصوف بالمغازل اليدوية فى القرى ، أما الحريرية منها فكانت تصنع فى القاهرة والمحلة الكبرى ودمياط وكانوا يصنعون الفرو (الكرك) والطرابيش، واللبد ، والأبسطة ، والأكلمة ، وقلوع المراكب وتطريز الحرير ، والجوخ ، والموسلين بخيوط من الذهب والفضة . وكان العقادون يصنعون القيطان (الكردون) والشراريب من القطن ، والخيوط المذهبة أو المفضضة ثم صناعة دباغة الجلود ، وصناعة الاحذية وسروج الخيل ، وفروع أخرى من الصناعة كضرب الطوب ، ونحت الاحجار ، وصنع الجير (الجبس) والمصيص ، وقطع البلاط وغير ذلك من الاعمال اللازمة لفنون المعمار(٢٥١) وصناعة الاوانى الزجاجية وتنجيد الاثاث ، وصناعة الفخار والشمع ثم السبح وأحجار الشبكات التى كانت تستخدم للتدخين وصناعة لحصر والقفف ، والنجارة وبناء السفن وصناعة البارود والاسلحة واصلاح النحاس وتبييضه والحدادة والخراطة واعمال العاج والكهرمان وسك النقود (٢٥٢) .

ولقد حاول علماء الحملة الفرنسية اصلاح شئون الصناعات المصرية ووجدوا أن مراد بك وابراهيم بك قد أقاما فى القاهرة والروضة والجيزة مصانع حربية وأصلحوها واستغلت لمدهم بما يحتاجون اليه من هذه

---

(٢٤٩) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٣ ، ص ١٧٥ .
(٢٥٠) حسن الرفاعى : تطور الصناعات فى مصر ، ص ٣٠ .
(٢٥١) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٣ ، ص ١٦٨ .
(٢٥٢) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٠ .

الصناعات (٢٥٣) . ولذلك فقد انشأت المصانع الحربية بحى الناصرية ، ومصانع مدنية لصناعة النسيج والقماش والصابون ودباغة الجلود والصباغة والشمع وآلات الطباعة والآلات الدقيقة مثل النظارات المكبرة والآلات الطبية(٢٥٤) ومصانع الجوخ والقبعات والبيرة(٢٥٥) ، وكانت القوة المحركة لها هى طواحين الهواء .

ويلاحظ انه كان لا يستخدم العمال المصريين فى مصنع الجوخ الذى انشأه الفرنسيون وذلك بحجة انتقال اسرار الصناعة الفرنسية الى المصريين وعلى هذا لم يستخدم اى عامل مصرى فى المصنع المذكور (٢٥٦) .

وكانت المشاريع الصناعية تعرض على المجمع العلمى لدراستها ، واقتراح ما يتبع لتنفيذها ، وكان مهندسو الحملة يتولون الاشراف على ادارتها ، ووضعوا اسسا للصناعة الحديثة لما بعد ذلك ، وامتدت بذورها حتى الوقت الحاضر . وقد اندثرت معظم هذه الصناعات اثر خروج الفرنسيين من مصر .

ولا يفوتنى أن اشير الى أن قيام الفرنسيين بالصناعة فى مصر وتشجيعها والنهوض ببعض الصناعات ليس دليلا على الرقى بالصناعة المصرية ولكن كان ذلك لمصلحتهم فقط لأن هدفهم يتركز اساسا فى جعل مصر

---

(٢٥٣) أمين عفيفى عبد الله ، تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ص ١٧ .

(٢٥٤) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٣ ، ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢٥٥) محمد فهمى لهيطة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، ص ٦٧ .

(٢٥٦) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر جـ٢ ، ص ٢٢٩ .

سوقا تجاريا لتصريف منتجاتهم بعد انتهاء حصار الاسطول الانجليزى للشواطىء المصرية . والدليل على ذلك أن المجمع العلمي درس نظام الطوائف وتركه كما هو ، كما أن المدة القصيرة التى مكثوها فى البلاد لم تجعلهم يستطيعون تنفيذ خططهم .

اثر الفرنسيين فى تطور الانظمة الاقتصادية :

يمكننا القول بأن عهد الحملة الفرنسية كان عهد ركود اقتصادى سواء فى الزراعة أم التجارة أم الصناعة ، ولا يمكننا أن ننكر أن للحملة الفرنسية تأثيرا قويا فى تطور الانظمة الاقتصادية ويكفى أن نعرف أن محمد على قد استعان بدراسة علماء الحملة الفرنسية ، لكى يقيم نهضة مصر ، فكان مستشاروه من الفرنسيين ، وذلك باتباعه الطرق الحديثة فى الرى واقامة المصانع الكبيرة التى كانت تشابه المصانع المشيدة فى أوربا فى ذلك الوقت ، هذا بالاضافة الى انشاء الشركات التجارية ووضع المقاييس والمكاييل وتقرير مصير العملة .

ويمكن القول بأن الحملة الفرنسية وجهت ضربة عنيفة الى النظام الاقطاعى الذى كان يتمثل فى قوة المماليك ، وذلك بمصادرة أموالهم وأملاكهم، وقتل بعضهم ومهد ذلك الطريق لمحمد على الذى قضى عليهم فى مذبحة القلعة . كما أن الحملة الفرنسية وجهت اهتمامها بدراسة وتنظيم الامكانيات الزراعية فى مصر ، واهتمت بتنويع الانتاج الزراعى وتعميم الحاصلات الصيفية ، وبخاصة القطن ، والارز ، وقصب السكر (٢٥٧) .

وكان الاهتمام بتنمية الزراعة يقتضى العناية بوسائل الرى ، بما فى ذلك أصلاح القنوات واقامة الجسور ، كما أن الحملة الفرنسية أجريت تجارب لزراعة البن ، وقصب السكر ، بالاضافة الى انهم جلبوا نباتات من

---

(٢٥٧) على لطفى : التطور الاقتصادى فى أوربا ومصر ، ص ١٧٣ .

فرنسا لزراعتها فى مصر وعنوا بالنباتات التى تنمو بمصر نفسها . وتشجيع الاهالى على الاسـتكثار من زرع أشـجار الجميز والتوت واللبخ ، وذلك لاستخدامهم فى صنع السفن (٢٥٨) .

كما شرع علماء الحملة الفرنسية فى دراسة وسـائل تنظيم الرى ، وضبط مياه النيل ، ووضـعوا لذلك مشروعا يهـدف الى تخزين الميـاه ، وتصريفها عند الحاجة وذلك بانشاء سـد على فرعى النيـل عنـد رأس الدلتا (٢٥٩) .

وبطبيعة الحال ، لم يكن الوقت الذى بقيت فيه الحملة كافيا لتنفيـذ هذا المشروع أو غيره من المشروعات والأبحاث والدراسات التى قام بهـا علماء الحملة الفرنسية .

كما أهتم الفرنسيون بأمر الصناعة المحلية وقاموا بعدة تجـارب فى سبيل أحيائها قبـل الانصراف نهائيا عن محاولة النهوض بالصناعة فى هذه البلاد . وعلى هذا انشأوا مصـنعا للنسيج ، وكان يعمل فيه الفرنسيون فقط خوفا من تسرب أسرار الصناعة الفرنسية الى المصريين ـ كما رأينا ـ كما أنهم عملوا فى حالة رجوع مصر الى الدولة العثمانية مرة ثانية أن يحطموا آلات المصنع ، وترجع الآلات الى فرنسا ثانية . وكان الهدف من انشـاء هذا المصنع هو مد الجيش الفرنسى بالاقمشـة اللازمة ، وبالاضافة الى هذا المصنع قاموا بأنشاء بعض الصناعات الاخرى مثـل الصـابون من الزيوت المصرية ، والبيرة ، واستقدموا من فرنسـا عددا من النساجين وصـانعى الأقمشة ، والحدادين وصانعى الساعات ، وصانعى حروف الطباعة وغير

---

(٢٥٨) محمد فؤاد شكرى ، عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢٥٩) على لطفى : التطور الاقتصـادى فى أوربا ومصر ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

هؤلاء من الصناع ، وبذلوا الجهود لاتقان الدباغة(٢٦٠) واذا كانت هـذه الصناعة قد اندثرت على اثر مغادرة الفرنسيين للاراضى المصرية ، فانهـا — ولا شك — كانت مدرسـة هامة كسبت منها الصـناعة المصرية خبرة واسعة وتعاليم جديدة .

وحاولت الحملة الفرنسية الاستفادة من موقع مصر الجغرافى ، وكان أهم المشروعات التى فكروا فيها توصيل البحرين الأبيض والاحمر ، وذلك بشق قناة عبر برزخ السويس . وكان الهدف من ذلك أن تعود لمصر أهميتها التجارية السابقة ، حتى تستطيع فرنسا أن تنافس تجارة الهند الانجليزية، ومن ثم تحرم بريطانيا من أهم عوامل تفوقها السياسى فى القارة الاوربية فى هذه الحقبة من التاريخ (٢٦١) .

كما اتخذت الحملة الفرنسية خطوات هامة ، وكان الهدف منها حماية القوافل من اعمال القرصنة والسلب والنهب ، وتنظيم الجمارك وتخليصها من فوضى الرشوة والمحسوبية ، وتشجيع التجارة بين مصر والبلاد المجاورة بتسيير النقل فى النيل ، وذلك لانشاء علاقات تجارية مع سنار ودارفور ، أى شطر الوادى الجنوبى ومع الحبشة من جهة ، ثم مع البلاد الاسلامية فى أفريقيا الشمالية الغربية من جهة أخرى (٢٦٢) .

كما وضع الفرنسيون مشروعات للاصلاح الاقتصـادى فى مصر ، لم يتمكنوا من تنفيذها لجلائهم عن البلاد ، ومع ذلك فقد مهدت تلك المشروعات الطريق للاصلاح ووجهت الانظار اليه ، حتى نفذت فعلا فى أثناء القـرن

(٢٦٠) محمد فؤاد شكرى ، عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر ، ص ٢٤٩ — ٢٥٢ .
(٢٦١) على لطفى ، التطور الاقتصادى فى أوربا ومصر ، ص ٢٧٥ .
(٢٦٢) محمد فؤاد شكرى ، عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر ، ص ٢٥٦ .

التاسع عشر ، ونتج عنها تقدم مصر الاقتصادى ومن تلك المشروعات المشروع الذى أعده منو فى ٢٠ يناير عام ١٨٠١م ، لاصلاح نظام الضرائب ونظام ملكية الاطيان وعرف باسم المشروع العظيم(٢٦٣) وكان مشروعا عظيما حقا ، لا جدال فى أنه لو أمكن تنفيذه لاستطاع أهل تلك البلاد أن يخلصوا من كثير من المساوىء التى أقترنت بنظم فرض الضرائب وتحصيلها ، ولكن تعذر تنفيذ هذا المشروع ، وذلك لجلاء الحملة الفرنسية .

حالة الصناعة فى عهد محمد على :

قبل التحدث عن حالة الصناعة فى عهد محمد على لابد من التعرض لموقف محمد على من الحرف التى كانت ،وجودة فى عهده وموقفه منها . لذلك لم تكن الظروف الموضوعية التى خلقها لاحتكار الانتاج الصناعى فى صالح نظام الطوائف أو يمكن أن تسهم فى اضمحلالها بل على العكس ، فقد كان الاحتكار الصناعى ضربة قاصمة للطوائف ، شلت حركتها وفاعليتها طوال حكم محمد على ، وذلك لعدة عوامل ، فمن ناحية احتكرت الحكومة توزيع السلع بالسعر الذى تحدده هى لتبيعها للتجار أو المستهلكين ، واذا كان الصناع قد احتفظوا بدكاكينهم ومعداتهم فان النظام الاحتكارى افقدهم حريتهم فى شراء المواد الأولية وتسويق منتجاتهم .

ومن ناحية ثانية حتم انشاء الصناعات الكبيرة التى أقامها محمد على لخدمة الجيش والأسطول استخدام اعداد ضخمة من أعضاء الطوائف ، وخاصة من طبقة الصبيان والعرفاء ، الامر الذى هدم جانبا هاما من بناء الطوائف ، ولما كان هذا الاستخدام يتم بصورة جبرية تعسفية فى أغلب الاحيان فقد عمد كثير من الرؤساء والشيوخ الى الهروب من القاهرة نحو الريف وترك مسئولياتهم نحو طوائفهم .

---

(٢٦٣) محمد فؤاد شكرى ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

ومن ناحية ثالثة درج محمد على أحيانا كثيرة على جمع الاطفال والصبيان من القرى والاحياء الوطنية بالمدن وادخالهم عنوة فى بعض المصانع للتدريب على العمل بالصناعات الكبيرة ، وقد أدى ذلك الى تقويض « نظام الصبية » الذى كان الضمان لاستمرار نمو الطائفة والحفاظ على تقاليدها المرعية (٢٦٤) وكانت الحرف الرئيسية مركزة فى بعض أحياء القاهرة ، وظلت هكذا حتى انتقلت مقاليد الحكم الى محمد على ، فقد جمع أربابها فى صعيد واحد ، حتى يسهل مراقبتها ، وأنشأ أماكن خاصة بهم ، وخاصة للحرفيين الذين استقدمهم من بلاد الافرنج للاستعانة بهم فى النهضة الصناعية وخصص أيضا لكل حرفة وصناعة مكانا لاستخدام آلاتهم فى بعض الصناعات كصناعة الحرير والقطن والأقمشة والمقصبات (٢٦٥) . كما انه أمر أصحاب الأعمال والحرفيين السابقين بدخول الورش التى انشاها لصناعة الغزل والنسيج ، بعد أن اغلق ورش الأهالى ، باعتبارهم عمالا مأجورين ، وقد حاول دروفتى عبثا أن يقنع محمد على عن ذلك ، لأن مثل هذا النظام ، قضى على طبقة كاملة من العمال الراسخين ذوى التراث .

وكان يقول — أى دروفتى — أن فرض الضرائب على الحرفيين بدلا من اجبارهم على العمل لصالح الحكومة لا يتمشى فقط مع الدولة ، بل يعود بالربح على المدى الطويل ، ولكن محمد على لم يأخذ بذلك (٢٦٦) .

---

(٢٦٤) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٩ ص ٣٥ .

(٢٦٥) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج٤ ، ص ١٥٦ .

(٢٦٦) هيلن آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مصر مستهل القرن التاسع عشر ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصطفى الحسينى ، ص ٢٧٩ .

هكذا قضى محمد على على الحرفيين ، فعندما تولى حكم مصر لم تقف جهوده عنـد النهوض بالزراعة بأساليبه الخاصـة بل عمـل على ادخال الصناعة الحديثة فى مصر . وكانت الصـناعة الموجودة فى مصر قبـل ذلك صناعة يدوية متأخرة (٢٦٧) ولذلك فكر فى تنظيم بعض الصناعات الصغيرة وزيادة انتاجها لتزويد الجيش ببعض حاجاته .

وبدأ محمد على بالتحجير (الاحتكار) (٢٦٨) على صناعة النشوق وفرض ضرائب على المشتغلين بصناعته وتجارته ، وجمعهم فى مكان واحد خصص لهم وحدد سعرا معلوما له ، كما انه عين ناظرا للاشراف عليهـا (٢٦٩) ، وحدد سعر أعلى فى الحصول على أرباح كثيرة من تطبيق نظام التحجير على بعض السـلع الشائعة الاسـتعمال وقد أغراه ذلك بتعميمه على سـائر الصناعات الصغيرة ، وشمل صناعة الاقمشة القطنية وسائر المنسوجات ، وعين « ديوانا » للاشراف على صناعة النسيج وارسل الوكلاء الى القرى

---

(٢٦٧) عبد المنعم فوزى ، مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٤٨ .

(٢٦٨) الاحتكار : وهى أن يجبر محمـد على المزارعين على أن يبيعـوا محصولات الاراضى التى يزرعونها للحكومة بالأثمان التى تحددها ، فكانت الحكومة تجمع تلك المحصولات فى مخازنها لتصـديرها الى الخارج ، أما إذا احتاج الفلاح الى شىء منها لغذائه أو للاستهلاك المحلى ، ففى استطاعته أن يشتريه بالأثمان التى تعينها الحكومة على أن هذا الأمر لم يقف عند هذا الحد فقد كان الباشا يستقطع من الاثمان التى تشترى بها الحكومة محصول الفلاح يقبض الثمن نقدا وانما كان يأخذ بقيمة «رجعة» أى «تذكرة» قد يجد صعوبة فى صرفها من القسم أو المديرية ، فيضطر الى بيعها بنقص قد يزيد على ربع قيمتها حتى يستطيع شراء ما يلزمه من نفس محصولاته التى قدمها الى مخازن الحكومة ويدفع ثمن ما يشتريه نقدا . وقد جنت الحكومة أرباحا هائلة من عملية الاحتكار .

(٢٦٩) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبـار ، جـ٤ ، ص ١٥٨ .

ليشتروا لحساب الحكومة الخيوط التى تغزلها النساء وعين مشايخ فى كل قرية ، ليقوموا باحصاء مغازل القرية ، وليضمنوا استمرار تشغيل نساجى القـــرية ، وكان يرســـل الموظفين الحكوميين الى القـــرى والمـــدن لشراء المنسوجات المجهزة بأسعار حددتها الحكومة (٢٧٠) ، كما أن حكومة محمد على استولت عام ١٨٢١ على صناعة الخيش والقصب والتلى الذى يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها (٢٧١) .

كما كانت معاصر الزيوت تحت اشراف الحكومة اعتبارا من عام ١٨٣٣، ولا يصرح بانشاء مصنع جديد الا بعد الحصول على موافقة الحكومة ، كما منع الفلاحون من صناعة الحصر لحسابهم الخاص (٢٧٢) ، وان الحكومة لم تكن تسمح للافراد بتقطير ماء الورد لحسابهم ، وانها الزمت منتجى الورد ببيعه للحكومة بسعرا محددا (٢٧٣) .

وقامت النساء فى القرى بغزل الكتان الخام تحت اشراف وكيل يتكفل باحضار ما يلزمهم (٢٧٤) .

هكذا طبق محمد على نظام التحجير على عدد من الصناعات التى كانت قائمة فى ذلك الوقت وأثبتت التجارب أن هذا قليل الجدوى نظرا لســـهولة التهرب منه ، ولذلك أدى التقدير الجزافى من جانب الموظفين الحكوميين الى ايقاع الضرر بالصناع ، كما كانت تشترى السلع التامة الصنع بثمن يقـــل

---

(٢٧٠) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٢٩٠.
(٢٧١) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٢٩٠.
272) F. Mengen, Historie de L'Egypté sous M. Ali, T. 2., P.P. 375-377.
(٢٧٣) محمد فؤاد شـــكرى ، بناء دولة مصر محمد على — الســـياسة الداخلية ، ص ٤٢٣ .
(٢٧٤) هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القـــرن التاسع عشر ص ٢٨٠ .

كثيرا عن سعرها فى السوق ، واذا ما رغب الصانع فى شراء بعض المنتجات عليه أن يشتريها بسعر السوق (٢٧٥) . ووضعت الحكومة « معدلا » للحرف المختلفة ، تتم على أساسه المحاسبة ، ومن ذلك تحديد مقدار الغزل الذى ينتج من رطل القطن ، ومقدار النيلة اللازمة لصباغة المتر القماش ، كما أن معاصر الزيوت تأخذ البذور وتعصرها وتحاسب بعد ذلك الذين قاموا بالعصر (٢٧٦) . وفضلا عن تدخل الحكومة ، فقد كانت تفرض ٧١ نوعا من الضرائب على أرباب الصنائع وغير ذلك (٢٧٧) ، وكانت النقابات القائمة وعددها ١٦٤ تقريبا هى التى تتولى توزيع الضرائب بين الأعضاء تبعا للمقدرة على الدفع ، كما أن محمد على كان يستعين بالنقابات لتحقيق أهداف الحكومة ، وزيادة الانتاج من السلع اللازمة للقوات المتحاربة كما حدث فى صناعة كميات من البقسماط لحساب الحكومة من مخابز القاهرة ، وعاقب محمد على الخبازين الذين عجزوا عن الوفاء بديونهم بالسياط (٢٧٨) .

وقد تعرض أرباب الحرف الصغيرة للاضطهاد وعلم محمد على بذلك فأمر مفتش المصانع بمنع الظلم الواقع عليهم (٢٧٩) ونتيجة لاحتكار الحكومة للصناعات الصغيرة لم تحقق الارباح الطائلة التى كانت تنشدها ، وبذلك أضر نظام الاحتكار بصالح الشعب ، وحرم الصانع ثمرة عمله ، وقضى على مصدر الثروة (٢٨٠) كما أن تعرض أرباب الحرف للاضطهاد وحرمانهم من

(٢٧٥) الوقائع المصرية : العدد رقم ٥ بتاريخ ٢٦ رجب عام ١٢٤٤هـ .
(٢٧٦) الوقائع المصرية : العدد رقم ٧٨ بتاريخ ٧ جمادى الآخرة عام ١٢٤٥هـ .
(٢٧٧) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٣٠٥ .
(٢٧٨) دفتر ٧٧٧ تركى ، وثيقة ٨٩ ، بتاريخ ٩ ربيع الآخر عام ١٢٤٩هـ . من الجناب العالى الى ناظر الشونة الكبرى .
(٢٧٩) دفتر ٦٩ ، وثيقة رقم ٣٢٥ ، بتاريخ ١٨ شوال عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى مفتش المصانع .
280) F. Mengin, Histoire Sommaire de L'Egypté sous M. Ali, P. 214.

أرباحهم المشروعة لم يشجعهم على الانتاج والتوسـع مما جعلهم يتركون صناعاتهم هربا من اضطهاد مندوب الحكومة . فقد هرب كثير من النساجين والصباغين (٢٨١) كما أن تحديد الاسعار بطريقة تضر بالمنتج أضر بالصناعة مثلما حدث عندما خفضت الحكومة أسعار الورد ، الأمر الذى جعل المنتجين يحجمون عن زراعته ، وأدى ذلك الى اضمحلال هذه الصناعة (٢٨٢) كما أنه أضر بالصناعات الأخرى مثل النسيج والنيلة .

وكان من الطبيعى أن يؤدى التدخل الحكومى فى صورة الاحتكار الى قتل روح الابتكار لدى الصناع (٢٨٣) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يكن لدى الصناع حافز لزيادة الانتاج ، كما أنه لم يحدث أى تغيير يذكر فى طرائقه الانتاجية البدائية فى الصناعات الصغيرة بل بقيت الطريقة القديمة البدائية على ما هى عليه (٢٨٤) .

وفضـلا عن الضرر الذى لحق بالصناعات الصـغيرة من جراء نظام الاحتكار فان التوسع فى انتاج المصانع الحكومية حرم صغار الصـناع من المواد الأولية ومن الأسواق وكان ذلك التوسع الى حد كبير على حساب الصناعات الصغيرة ، كما ان الطلب من منتجات الصناعات تقص بسبب المنافسة الأجنبية ، وظهور سـلع أجنبية حديثة رخيصـة الثمن ، فأقبـل المستهلكون على تلك المنتجات الحديثة وأعرضـوا عن منتجات الصناعات الصغيرة (٢٨٥) .

---

281) Mouriez, Histoire de M. Ali, P. 106.

(٢٨٢) محمد فؤاد شـكرى ، بنـاء دولة مصر محمد على ، السـياسة الداخلية ، ص ٤٢٣ « تقرير بورنج » .

283) F. Mengin, Histoire de L'Egypté sous M. Ali, P. 376

284) P. N. Hamont, L'Egypté sous M. Ali, P. 178.

(٢٨٥) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٥٨ .

وقد أدرك محمد على فى أواخر حكمه عاقبة الافراط فى فرض الرقابة على الصناعة الصغيرة ، فعدل عن ذلك واكتفى بفرض ضرائب عليها ، ولذلك عادت صناعة الأحذية والأدوات المنزلية الى أربابها لعدم حصوله على ربح منها (٢٨٦) وصرح لعمال الحصر بعمل حصر لحسابهم الخاص بعد دفع حسابها (٢٨٧) ، وعادت صناعة الحرير الى أيدى الأفراد (٢٨٨) .

وصرح بالاشتغال بصناعة النسيج لمن يشاء من الأفراد لقاء ضريبة شهرية معينة ، وكان ذلك فى عام ١٨٣٧م (٢٨٩) ، ومع هذا فقد استمر تدهور الصناعات الصغيرة نتيجة لصعوبات التمويل وازدياد المنافسة الأجنبية .

وبعد أن تم لمحمد على احتكار الصناعات الصغيرة بدأ فى ادخال نظام المصانع الكبيرة (Factory System) وانشأ المصانع الكبرى برؤوس أموال حكومية وعينت الحكومة الصناع للعمل فى المصانع الحكومية الجديدة بالأجور التى تقررها ، وكانت معظم المصانع تدار بالثيران وذلك لغلاء الفحم المستورد من الخارج (٢٩٠) ، ولقد بحث عن الفحم فى منطقة « المجال الحيوى » وبخاصة فى بلاد الشام ، كما أمر باجراء تجارب باستخدام بعض أصناف الوقود المحلية ، كما أنه استخدم كسب الكتان فى ادارة مصنع النحاس (٢٩١) .

---

286) P.N. Hamont, L'Egypté sous M. Ali, P. 39.

(٢٨٧) دفتر ٨١ معية تركى وثيقة ١٣١ بتاريخ ٧ ربيع الثانى عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العالى الى مختار بك .

288) P.N. Hamont, L'Egypté sous M. Ali, P. 38.

(٢٨٩) الوقائع المصرية ، العدد رقم ٣٠٥ بتاريخ ٥ ذى الحجة عام ١٢٤٤هـ .

(٢٩٠) عبد المنعم فوزى ، مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٤٩ .

(٢٩١) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٤٧٠ .

ولم يقنع محمد على بما استورده لشعبه من العلوم والفنون الحربية فأدت نصيحة بعض الأوربيين له الى محاولة لادخال نظام التصنيع الى مصر عام ١٨١٩م ، وعند تنفيذ هذا خدعته حسابات خاطئة ، واقتنع محمد على أنه يستطيع — مستعينا بما حدث فى فرنسا وسويسرا — أن يجعل من القاهرة مانشستر الثانية ، فشرع فى العمل بسرعته المعهودة ، واستخدم عمالا وحرفيين من ايطاليا وفريسا ومالطة ، وأغراهم بالمرتبات العالية واستورد الآلات الحديثة من الدول الأوروبية التى عرفت الثورة الصناعية (٢٩٢) .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد أمر محمد على بجمع الآلاف من الصبيان والحاقهم بالمصانع ، ليتعلموا فنون الصناعة على أيدى الخبراء الأجانب الذين استقدمهم (٢٩٣) ، وبذلك لم تكن المصانع التى انشأها محمد على مصانع للانتاج فقط ، وانما كانت كذلك مدارس صناعية تلقن فيها العمال أسلوب الصناعة الحديثة ، ولم يكتف بذلك ، بل قام بارسال البعوث العلمية والعملية الى الخارج ، ليقفوا على أحدث ما وصلت اليه أساليب الانتاج الصناعى (٢٩٤) .

وكان محمد على يهتم بالعمال والفلاحين على أعتبار أن الاثنين يجندان لخدمة الجيش ، وسد احتياجاته ، والشعب بانتاجهما الزراعى والصناعى. بل كان يجند الفلاحين فى الجيش ، وكان لهذه السياسة الجديدة الخاصة بالتجنيد اثر عميق على حياة الفلاحين المصريين بحيث استنزفت فى النهاية

---

292) J. Augustus, Egypt and M. Ali or travels in the vally Nile Vol. 2., P. 409.

(٢٩٣) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج٤ ، ص ٣١٢ .

293) J. Augustus, Egypt and M. Ali or travels in the vally Nile, Vol. 2., P. 403.

أمكانيات البلاد من أفضل عمالها الزراعيين (٢٩٥) ، ولكن الفلاحين عارضوا هذه السياسة ، ولذلك نجـدهم يعلنون الثورة فى مديرية المنوفية ضـد التجنيد والضرائب الباهظة فى عامى ١٨٢٣ ، ١٨٢٤م (٢٩٦) وعلى أى حال فان الفلاحين المصريين لم يرضوا – على الاطلاق – عن سياسة التجنيد وذلك لنفورهم من الخدمة العسكرية لارتباطهم الوثيق بنيلهم المحبوب وقراهم وارضـهم ٠

ولقد كان التجنيد سخرة حقيقية ، تتبع فيها أساليب وحشية لتجنيد الفلاحين الذين لم يكونوا يقبلون على التجنيد ، فكان الأمر يصدر الى موظفى الحكومة فى المدن والقرى لجلب العدد اللازم من الرجال وكانت الرشـوة والمحسوبية توفر للأثرياء او ذوى النفوذ فرصة لاعفائهم من التجنيد ويلاحظ أن التجنيد لم يكن مقصورا على الفلاحين ، وانما شمل التجار أيضا ، وكان للفلاحين أساليب خاصة للتهرب منه كهجر بيوتهم الى عكا والصحراء وفى بعض الأحيان كانوا يشوهون أنفسهم ، ولكن حكومتهم كانت تلحقهم للعمل بالمصانع (٢٩٧) ٠

ولا شك أن محمد على أراد بذلك احداث انقلاب صناعى شامل ، يكمل اقتصاديات البلاد ، ليكسب الامة حرفة جديدة بجوار حرفة الزراعة فتصبح الصناعة زاوية من الزوايا الهـامة التى يشـاد عليها البناء الاقتصـادى القومى ٠

ويدأ محمد على تجربته الصناعية فى حى الخرنفش الواقع فى وسط القاهرة وكان هذا الحى عبارة عن بيوت حقيرة ، وأزقة ضيقة ومشـهورة

(٢٩٥) على لطفى ، التطور الاقتصادى فى أوربا ومصر ، ص ٢٢٤ ٠

(٢٩٦) هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٩١ ٠

(٢٩٧) المرجع السابق ، ص ٢٩٣ – ٢٩٥ ٠

بأنواع القتل والجـرائم المروعة ، وأخلى من السـكان وتحـول الى وكر للصوص والسفاحين ، وتغير الى مصانع وجلبت له الماكينات من أوربا دون اعتبار لما تكلفت من نفقات ، ثم بنيت بعد ذلك المخازن والطواحين وركبت الماكينات الفرنسية والايطالية ، فأصبح مسيو موريل مديرا لهذه المؤسسة الضخمة كما عين مسيو جومويل الفرنسى مديرا آخر فى بولاق . وقد بلغ عدد العاملين بهذه المصانع ثمانمائة مواطن (٢٩٨) وأول المصانع التى انشئت بحى الخرنفش هو مصنع الحرير (٢٩٩) ، وبدأ بعد ذلك بالصناعات الأخرى مثل صناعة الصوف والأقطان والحراير ، ودبغ الجلود ، وتقطير ماء الورد ... الخ وبدأت مختلف فروع الصناعة تلعب دورا هاما فى حياة الشـعب المصرى وسعدت كل أسرة لأن أبناءها ونساءها التحقوا للعمل بهذه المصانع بالاضافة الى المديرين والمحاسبين والموظفين والمراقبين (٣٠٠) .

ويلاحظ ان محمد على وجه الشطر الأكبر من عنايته الى الصناعات التى تمت الى الحرب بصلة وثيقة ، كما أن كثرة عدد المجندين والمشتغلين بالصناعات الحربية كانت تحرم ضرورب الانتاج الاخرى من موارد كانت فى مسيس الحاجة اليها ، ولذلك كان انشاء مصـانع الأسـلحة والذخيرة فى القاهرة سببا فى انشاء المسابك وانشاء الترسانة لتزويد الأسطول بالسفن وقام حولها عدد كبير من الصناعات الفرعية الملحقة ، وتوسعت صناعة الحديد لسد حاجة الجيش والاسطول ، وكان توسع صناعة الغزل والنسيج

---

298) J. Augustus, Egypt and M. Ali or Travels in the vally of the Mile, Vol. 2., P. 409.

(٢٩٩) حليم عبد الملك ، السياسة الاقتصـادية فى عهـد محمد على بك الكبير ، ص ٢٧ .

300) F. Mengin, Histoire sommaire de L'Egypté sous M. Ali, P.P. 375-376.

نتيجـة لازدياد حاجة القوات المتحـاربة الى الملابس القطنية والصـوفية والأغطية والسجاجيد ، وخصص الجزء الأكبر من انتاج مصنع الطرابيش للاستعمال العسكرى كما الحق بها مصنع ومصبغة . وكانت هذه المصانع تزود القوات المتحاربة بالاضافة للمدابغ ، وكان الانتـاج الحربى يزداد فى فترات الحروب ويتناقص عندما تنتهى الحروب ، كما كانت المصانع تابعـة لاشراف الدواوين الحربية مثل مصنع المدافع ، ومصانع الأسلحة الصغيرة ومصنع الجوخ ، وفى أواخر عهد محمد على تناقص عدد القوات المحاربة تناقصا كثيرا واختفى الطلب الحربى فجاة ومن ثم سـارت الصـناعة الى الاضمحلال بخطى سريعة كما سنرى فيما بعد .

الصعوبات التى واجهت محمد على فى الصناعة وكيفية التغلب عليها :

واجه محمد على صعوبات كثيرة لقيام الصناعة فى مصر مثال ذلك كره الفلاحين على انتظامهم للعمل كعسكر للجهادية بالقوة كما رأينا وكان التعليق الذى أدلى به بورنج صادقا اذ يقول : « ان الباشا يأخذ الأيدى العاملة من الحقول حيث يخلقون الثروة ليستخدمهم فى المصانع حيث يضيعونها » وقد قيل انه انفق ١٢ مليون جنيه استرلينى على هذه المصانع وما زودت به من آلات هباء دون هدف (٣٠١) .

١ ــ العمــال :

كما أن محمدا عليا واجه صعوبة فى ارسال العمال الى المصانع ومما يوضح ذلك ما قاله أحد ضباط محمد على من أن المشايخ عجزوا عن توفير العمال من الفلاحين ، ويرجع هذا الى تكاسلهم وتباطئهم ، الأمر الذى جعل هذا الضابط يقوم بعملية جمع العمال بنفسه ومعه ستة من «البلطجية» وأنه أثناء سيره فى الطريق لجمع العمال رأى شابا قويا سـليم الصـحة يعيش على التسول ، وتقدم يطلب الاحسان منه ولكنه أخذه بالقوة الى العمل فى

301) H. Dodwel; The Founder of Modern Egypt, P. 171.

المصانع (٣٠٢) وكان محمد على يعين لهم أجرا نظير عملهم فى المصانع ، فيدفع للعامل الكبير ٢٥ فضة وللصغير ٢٠ فضة وللأصغر ١٥ فضة ، وبعد أن يتعلموا الصنعة يرتب لهم الأجر باليومية (٣٠٣) وكان مديرو المصانع يقبلون المتسولين مرغمين(٣٠٤) ، كما أن محمد على كان يستخدم المساجين والمشوهين الذين أصيبوا فى الحرب كما حدث بالنسبة لاستخدامهم فى مصانع السكر بالوجه القبلى ، بالاضافة الى استخدام النساء فى المصانع ، وكان يفرض عليهم رقابة شديدة خوفا من وقوع أحداث أخلاقية (٣٠٥) ، واستخدم العبيد السود فى الصناعة بجانب استخدامهم فى الزراعة (٣٠٦) ، وكان لحرصه الشديد على اجابة مطالب المصانع من العمال اللازمين لتشغيلها حظر استخدام بعض العمال مثل البنائين والحجارين والفعلة والنجارين والنشارين الا بتصريح خاص منه (٣٠٧) .

ويمكن القول بأن أفراد الشعب المصرى كانوا يعملون مكرهين لأنهم يعلمون بأن الناتج والفائدة تكون للباشا وليس لهم ، بالاضافة الى منافسة البضائع الاوربية للبضائع المصرية ، من حيث الجودة ورخص أسعارها (٣٠٨) .

---

302) J. Augustus, Egypt and M. Ali or travels in the vally of the Nile, Vol. 2., P. 246.

(٣٠٣) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، ج٢ ، ص ٣٧٤ .

(٣٠٤) الوقائع المصرية العدد رقم ١٠٠ بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٢٤٥هـ.

(٣٠٥) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن (١٩) ، ص ١١٠ .

306) G. Douin, La missio1 du Baron de Bois le comte, P. 91.

(٣٠٧) الوقائع المصرية العدد رقم ٦٤ بتاريخ ٨ ربيع الثانى عام ١٤٢٥هـ.

308) J. Augustus, Egypt and M. Ali or travels in the vally of the Nile, Vol, 2., P. 422.

كما كان الفلاحون المشتغلون بالحرف المختلفة يكرهون العمل بدرجة كبيرة ولما كانوا مساقين الى المصانع ، فقد اضطروا الى تأدية العمل كرها. وكان هؤلاء عند بدء دخولهم المصنع أصحاء ، الا أن طبيعة عملهم وما بها من قيود السجن ، مع ضآلة الأجر وقلة ما لديهم من امكانيات بجانب الرذائل البشعة التى يتعلمونها من كبارهم بسرعة ، هذا كله كان سببا فى انحلال صحتهم وتدهورها ، فهم لا يزورون زوجاتهم وأولادهم وليس لديهم وقت حتى لتناول الطعام ، أو الوضوء أو القيام بالواجبات الدينية (٣٠٩) .

وكان الاهمال وسوء التصرف فى العمل تتبعه العقوبة المباشرة ، اذ كان الناظر تصاحبه هيئة تنفيذ أحكام الجلد بالكرباج ، وكان أمرا عاديا أن يجلد المخالف من مائتى جلدة حتى خمسمائة ، وكانت عقوبة بشعة تفوق التى تطبق على العبيد بالهند الغربية (٣١٠) .

وكان العمال يتحينون الفرص للفرار من العمل فى هذه المصانع ، وقد حدث أن فر الكثير من عمال ورشة القليوبية(٣١١) ، كما هرب الكثير من مسابك الحديد (٣١٢) ، وكان المشايخ يتسترون على الهاربين لقاء رشوة وكانوا بدلاء لهم غير صالحين للعمل (٣١٣) ، وقد كان الباشا يغرى العمال

309) J. Augusts, Op. Cit., V. 2. P. 412.
310) Ibid., P. 412.
(٣١١) دفتر ٧٦٦ ديوان خديون تركى ص ١٧١ مكاتبة رقم ٤٠٨ بتاريخ ٢٥ شوال عام ١٢٤٥هـ . من المجلس العالى الى الديوان الخديوى .
(٣١٢) دفتر ٧٨٤ ديوان خديوى تركى ص ١٣٧ مكاتبة رقم ٢٨٣ بتارنخ ٢٩ رمضان عام ب١٢٤هـ : من المجلس العالى الى الديوان الخديوى .
(٣١٣) الوقائع المصرية العدد رقم ١٥٣ بتاريخ ٢٢ ذى الحجة عام ١٢٤٧هـ .

على الالتحاق بالمصانع نظير اعفائهم من الضرائب وأعمال السخرة (٣١٤) ، ويطلب من مديرى المصانع معاملة العمال معاملة طيبة (٣١٥) .

٢ — الأيدى العاملة المدربة :

كما أنه واجه مشكلة الأيدى العاملة المدربة تدريبا حديثا على الآلات التى استخدمها واستوردها من أوربا ، وكان ذلك يستغرق وقتا طويلا لتدريب العمال واستقدام الخبراء الأجانب لهذا الغرض وأدى ذلك الى توقف بعض المصانع فترة طويلة ، وترتب على ذلك خسارة فادحة ، ولكن هذه المشكلة قد تمكن من حلها ، وخاصة بعد انشاء مدرسة الصنائع عام ١٨٣٠م، والمدارس التكميلية للكيمياء والمعادن والعمليات الهندسية عام ١٨٣١م وكان يستعين ببعض الأجانب لتدريب التلاميذ (٣١٦) .

وبالاضافة الى ذلك أرسل العديد من البعثات الى مصانع انجلترا وفرنسا لكى يتعلموا احدث طرق الصناعة المستخدمة فى هذه البلاد وادارة المصانع (٣١٧) . كما أرسل بعثات أخرى الى ايطاليا وخصوصا الى ليجهورن وميلان وفلورنسا لتعلم صناعة بناء السفن والطباعة (٣١٨) ، أرسل أيضا العديد من البعثات العلمية للحصول على درجات علمية من جامعات أوربا ، ولكن جهل المبعوثين باللغة كان يؤدى الى طول مدة البعثة ، ومع ذلك فان

---

(٣١٤) دفتر ٣ معية تركى وثيقة ٧٦٤ بتاريخ ٢٥ ذى الحجة عام ١٢٤٧هـ : أمر من الجناب العالى الى مأموريات وميت غمرة ومأمور أشغال المحروسة .

(٣١٥) دفتر معية تركى وثيقة رقم ١٤٠ بتاريخ ٢١ جمادى الأولى عام ١٢٤٠هـ : أمر كريم الى مأمورى الادارة .

(٣١٦) أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عهد محمد على ، ص ٣٧٧ — ٣٨٠ .

317) J. Heyworth — Dunne, An introduction to the history of education in Modern Egypt, P.P. 221-222.

318) J. Heworth Dunne, Op. Cit., PP. 105-106.

الافراد العائدين من البعثات لم يستخدموا فى المكان المناسب على حسب تخصصهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانوا يتعرضون لاضطهاد رؤسائهم (٣١٩) .

ولم يكتف محمد على بذلك ، بل استعان بالخبراء والمهندسين والكيميائيين من الخارج ، وكان يطلب منهم جلب الآلات والمعدات حتى يسهل البدء فى انشاء المصانع ، مثال ذلك استعانته بخبير صناعة الطرابيش من تونس (٣٢٠) ، كما أنه كان يشجع الحرفيين الأجانب على الاقامة فى مصر ونشر اعلانا فى مالطة بأنه سيقدم شروطا طيبة للصناع والحرفيين الذين يقبلون الاقامة بمصر ، ويمارسون مهنتهم وحرفهم ، وأرسل وكلاءه الى أوربا لاستقدام طبقة من العمال من ذوى الخبرة ، الا أن الحكومة البريطانية رفضت مساعدته فى استخدام عمال بريطانيين ، وحظرت الهجرة ، كما حاولت الحكومة الفرنسية منع هجرة عمالها ، لكن الوكلاء المصريين نجحوا فى اقناع عمال فرنسيين ذوى الخبرة دون موافقة حكومتهم ، وكان استقدامه للعمال الأجانب أكثر نجاحا فى جنوبى أوربا حيث كانت الاحوال الاقتصادية سيئة(٣٢١) بالاضافة الى ذلك استعان بحوالى ٦٠٠ عامل من الآستانة عام ١٨١٢م ، و ٢٠٠ عامل أرمنى (٣٢٢) ، كما أنه كان يستعين بالأسرى فى مختلف الصناعات بالترسانة (٣٢٣) ، وكان نتيجة استعانته بالعمال الأجانب

(٣١٩) دفتر معية تركى وثيقة ٣٣٠ بتاريخ شعبان عام ١٢٥٠هـ : أمر كريم الى ناظر الجوخ .

(٣٢٠) دفتر ١١ معية تركى وثيقة رقم ٢٧٠ بتاريخ ٢٥ ربيع الثانى عام ١٢٣٨هـ من الجناب العالى الى الخواجه بوغوص .

(٣٢١) هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٨٤ .

322) Clerget, Le Caire, P. 231.

(٣٢٣) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٢٤٩ بتاريخ ٤ شعبان عام ١٢٥٠هـ ، من الجناب العالى الى مختار بك .

تكلفه نفقات باهظة من اجور عالية ، وبدلات انتقال وغيرها ، لتشجيعهم على الاقامة فى مصر (٣٢٤) ، وكان يجهز للعمال الاجانب العمال المصريين ليتدربوا على أيديهم ، ويصدر الأوامر بذلك كما حدث فى عام ١٨١٨م (٣٢٥) .

وقد أعطى محمد على هؤلاء العمال سلطات واسعة وأصدر أوامره الى مديرى المصانع أن يستجيبوا لطلباتهم ، ونجح بعضهم فى تقديم الخدمات الجليلة لمصر ولمحمد على ، مثال ذلك سيريزى ومعاونوه الذين أدخلوا أحدث الطرق الحديثة فى بناء السفن فى ترسانة الاسكندرية (٣٢٦) .

ولكن اذا كان بعض الخبراء الذين استقدمهم محمد على قد نجحوا فى بعض المجالات ، الا أن بعضهم لم يكن يعرف شيئا عن التخصص الذى من أجله قدم الى مصر ، فعندما عمل أحد الاتراك بنظارة صناعة الحبال ، لم يكن يعرف شيئا عن هذه الصناعة (٣٢٧) ، كما أن ابرام اسطى مصنع السكر لم يكن على خبرة تامة بصناعة السكر وأن مساعده المصرى هو الذى كان يقوم بعمل كل شيء (٣٢٨) ، بالاضافة الى ذلك كان بعض هؤلاء الأجانب يسرقون بعض أجزاء الآلات من النحاس ومن المفروض أن يوقع عليهم غرامة تعادل ثلاثة أضعاف الثمن ، ولكنه كان يتسامح معهم لكونهم

---

(٣٢٤) محمد فؤاد شكرى وآخرون ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٧٣٤ .

(٣٢٥) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٤ ، ص ٢٩٢ .

326) Mouriez, Histoire de M. Ali, Vice Roie d'Egypté T. 3. P.P. 126-127.

(٣٢٧) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٩١ بتاريخ ٢٤ شوال عام ١٢٤٨هـ : من الجناب العالى الى المأمور .

(٣٢٨) دفتر ٦٨ معية تركى وثيقة رقم ٩٣ بتاريخ ٢١ محرم عام ١٢٢٧هـ : أمر الى الكتمد أريك .

من الأجانب (٣٢٩) ، كما كان يصرف لهم أجـورا ، وهم فى بيوتهم ، نتيجة لانتشار بعض الأمراض (٣٣٠) .

وكان محمد على حريصا على تعليم المصريين أصـول الصـناعة من الأجانب فكان يعدهم بالمرتبات والمناصب ، حتى يسـتغنى عن الأجانب ، مثلما حدث فى صناعة الطرابيش (٣٣١) ، ولكن هؤلاء الأجانب قد تباطؤا فى تعليم المصريين الصناعة أو سر الآلة التى يعملون عليها ، وقد اضـطره ذلك الى فصل الأجنبى كما حدث فى « فابريقة رشيد » (٣٣٢) .

وننوه هنا الى أن بعض الأجانب كانوا عرضة للدسائس والوشـاية ضدهم مثال ذلك سريزى الذى كان يلقى الدسائس ضـده ومعارضة من مرؤوسيه ، كما لقى أدهم بك الكثير من الاضطهاد فى ترسانة القاهرة (٣٣٣)، وكان محمـد على يتوقع نتـائج باهرة من هؤلاء الخبراء ، وكان يتخبط فى سياسته عندما ترامى اليه أن صناعة السكر فى الولايات المتحدة متقدمة عنها فى أنجلتـرا فيسـتبدل المهندسـين والآلات الانجليزية بآلات ومهندسـين أمريكيين (٣٣٤) .

ولنا أن نتصـور مدى النفقات الباهظة نظير ذلك التغيير ، هذا من ناحية الوقت ، وطول مدة تدريب العمال ، وتشغيل الماكينات ، واستبدل

---

(٣٢٩) دفتر ٥١ معية تركى وثيقية رقم ٥ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول عام ١٢٥٠هـ : من الجناب العالى الى مختار بك .
(٣٣٠) دفتر معية تركى وثبقة رقم ٤٣٣ بتـاريخ ٢١ ذى القعـدة عام ١٢٥٠هـ : من الجناب العالى الى مختار بك .
(٣٣١) دفتر ٤٩ معية تركى وثيقـة رقم ١٥٥ بتاريخ ٣ ذى الحجة عام ١٢٥١هـ : من الجناب العالى الى محمد افندى وكيل المجلس .
(٣٣٢) دفتر ١٨ معية تركى وثيقة ٤٤ بتاريخ ٤ شعبان عام ١٢٣٩هـ : أمر الى ناظر الفابريقات .
333) Hamnt, L'Egypté sous Mehemet Ali, Vol. 2., P. 74.
334) Hamont, Op. Cit., Vol. I. P. 182.

الأمريكيين بعد ذلك بمالطيين جهلاء ، بل أن بعضهم كان يرعى الخنازير أو يشتغل ببيع الكحول والسجاير (٣٣٥) .

٣ — الأجـور :

وكانت معدلات الأجور بالقطعة فى مصانع الغزل والنسيج ٧ بارات لعمليتى التنظيف والتمشيط و ٤ بارات عن الرطل من الغزل السميك ، ١٠ بارات للرطل من الغزل الرفيع (٣٣٦) ، وكان هذا الأجر بالنسبة للاجور التى كانت تدفع للعمـال الأجانب حتى أن الزيادة كانت ضئيلة ، وكانت الأوامر بزيادة قرش واحد كما حدث فى مصانع النيلة (٣٣٧) ، وكان نظام الأجور فى بعض المصانع غير مقيد بما ينتجه العمال ، بل أنهم — على اختلاف طوائفهم ، يقيدون بفئات ثابتة ، يحددها الناظر أو من يليه فى المرتبة ، وقلما تقوم المنافسة بين العمال ، لأن المتفوق لا يلقى على تفوقه جزاء ، أما العقوبة البدنية والسجن فهى توقع طبقا لنظام المصـنع ، وتتراوح أجور العمال فى مسابك الحديد من قرش وثمانية قروش فى اليوم (٣٣٨) ، كما أن مرتبات نظار (المديرين) المصانع تتراوح بين مائتى قرش وثلاثمائة قرش شهريا لناظر مصنع الحرير (٣٣٩) .

ومن هذا يتضح أن مستوى الأجور فى مصانع محمد على كان منخفضا بالنسبة الى مستوى المعيشة فى ذلك الوقت ، مع أنه كان يراعى عند تحديد الأجر للعامل مقدار ما يعولهم من أولاد ، مثلما حدث مع عمـال مصـانع

---

335) Hamont, Op. Cit., Vol. I., P. 183.
336) F. Mengin, Histoirs sommaire, P. 196.
(٣٣٧) دفتر ٦٤ معية تركى وثيقة رقم ٣٧ بتاريخ ٨ ربيع الاول عام ١٢٤٥هـ : أمر كريم .
(٣٣٨) محمد فؤاد شكرى : بنـاء دولة مصر محمد على ، السياسة الداخلية ، تقرير بورنج ص ٤٥٩ .
(٣٣٩) الوقائع المصرية العدد رقم ١٣ بتاريخ ١٠ رمضان عام ١٢٤٤هـ .

الترسانة بالاسكندرية ، فقد كانت زوجاتهم تحصل على جرايات وأيضا أطفالهم (٣٤٠) وكان العمال فى هذه الترسانة يحصلون على أجور تفوق المتوسط العام ، وهذا يرجع لعظم نفوذ سريزى وحظوته لدى الباشا(٣٤١).

وكان نظار (مديرو) المصانع يجدون الوسيلة الوحيدة لضغط النفقات تحت الحاح الباشا وهى تخفيض أجور العمال ، كما أن العمال تعرضوا للقسوة والاضطهاد من جانب الرؤساء ، بالرغم من أن أوامره كانت بمعاملتهم معاملة حسنة ، كما أن العامل ذا الحظوة يتقاضى مرتبا أعلى من رئيسه (٣٤٢) ، وكانت الترقية فى الترسانة على أساس الجدارة (٣٤٣) .

ويلاحظ أن العمال كانوا يتقاضون جزءا من أجورهم عينا ، سواء كانت زراعية أم صناعية من المنتجات الصناعية التى يصعب تصريفها الأمر الذى يؤدى الى بيع هذه السلع بثمن بخس (٣٤٤) .

وبالرغم من هذا فان العمال لم يكونوا يحصلون على اجورهم النقدية فى مواعيدها المحددة وكثيرا ما تراكمت أجورهم (٣٤٥) ، وقد كان العمال يضطرون أحيانا للتنازل عن جزء من مرتباتهم يصل الى الربع أحيانا فى نظير أن يحصلوا على المبالغ الباقية لهم (٣٤٦) ، ولا شك أن هذا التأخير كان يثير ثائرة العمال ويقلل من اقبالهم على العمل فى المصانع .

---

(٣٤٠) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، تقرير بورنج ، ص ٤٨٤ .

341) Mouriez, Histoire de M. Ali, Vice Roie d'Egypté, P. 124.

342) F. Mengin, Histoire sommaire, T. 2., P. 379.

343) Mouriez, Histoirs de M. Ali, Vice Roie d'Egypte P.125

(٣٤٤) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٣٣٣.

(٣٤٥) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٣٣٥.

(٣٤٦) محمد فؤاد شكرى . بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٧٣٥ .

ولجأ محمد على الى تحديد الأجر على أساس الانتاج ، أى أن يأخذ العامل أجره على أساس ما ينتجه من قطع ، وشجع ذلك العمال على انتاج الكثير ورقى الانتاج ، واصدر أوامره بصرف مرتبات شهريا ، وعدم التكاسل وسوف يعاقب من يتباطأ فى صرف مرتبات العمال شهريا (٣٤٧) ، وطبق هذا النظام أيضا على رساء وبحارة التوارب الذين ينقلون الغلال والأقطان من شون الحكومة وموانىء التصدير ، وقد طبق هذا النظام مع الاشتراك فى الأرباح للعمال الاجانب فى مصانع القطن (٣٤٨) .

٤ — الاضاءة فى المصانع :

وقد قابلت محمد على مشكلة أخرى وهى مشكلة الاضاءة فى المصانع وعلى هذا فان المصانع لم تكن تعمل ليلا ، نظرا للتكاليف الباهظة وعلى هذا فقد كانت المصانع تعمل ثمانى ساعات فى الشتاء ، وعشر ساعات فى الصيف (٣٤٩) ولذلك لم يستطع التغلب على مشكلة الاضاءة وبخاصة فى فصل الشتاء .

وكان سكن العمال البعيد عن المصانع يترتب عليه اضاعة الوقت بالاضافة الى تحول الطرقات فى الشتاء الى مستنقعات .

ولم يخل الأمر من حدوث الشغب والاضطرابات فى المصانع وغيرها مثلما حدث بين العمال الوطنيين والعمال الأوربيين فى الترسانة ، نتيجة لدسائس التجار الأوربيين بعد انتظام العمل فى الترسانة الذين فقدوا الربح

(٣٤٧) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٦٨ بتاريخ ١٨ جمادى الاولى عام ١٢٥٣هـ : من الجناب العالى الى مفتش الأنوال بالوجه القبلى .
(٣٤٨) دفتر ١١ أوامر وثيقة رقم ١ بتاريخ ١٠ ربيع الاول عام ١٢٥٢هـ: أمر كريم الى عموم الفابريقات .
(٣٤٩) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ج٣ ، ص ٤١١ .

الوفير بعد انشاء هذه الترسانة (٣٥٠) . وحدثت أيضـــا ثورات فى معمل الحديد فى رشيد ولكن محمد على كان حريصا على البحث عن مدبرى هـــذه الفتن (٣٥١) كما كانت المصانع الصغيرة تتعرض للشغب وكانت الحكومة تتدخل لفض المنازعات بين العمال ومشايخ الحرف حول الاجور (٣٥٢) .

بالاضافة الى ذلك لم يفلت مصنع واحد من مصانع غزل القطن البالغ عددها ثلاثة وعشرين من الحـــريق المدبر أو محض الصـــدفة ، وكان الذى يشرع فى حرق مصنع يحكم عليه بالسجن المؤبد ويرسل الى الليمان ، وقد أحرق مصنع أسيوط وكان ذلك عن عمد ، وفى أواخر عام ١٨٣٢م اشتعلت النار فى مصنع نسج النول الآلى بخان المرود ، وكان الحريق متعمدا وقدرت الخسائر فى هذا المصنع بـــ ٣٥ الف جنيه ، وفى اليوم التالى لهذا الحادث طعن أحد الفلاحين نفسه فى ثلاث مواضع مختلفة من جسمه ، مات على اثرها ، بينما هو مساق الى حبل المشنقة (٣٥٣) .

وبمجرد ادخال الصناعات الاوربية الى مصر أبدى حاشيته من الاتراك كما أبدى عامة الشعب استياءهم فى أحاديثهم المتبادلة ، وكان الاتراك من الجرأة بحيث أنهم واجهوا الباشا علنـــا فى الديوان ، ولذلك فقـــد احتقر الباشا آراءهم وهى آراء لم تصدر عن بعد النظر ، وانما هى نزعة الاعتراض على كل جديد ، وكان ضروريا أن تسود ارادته وتتحقق رغبته ، وشجعته

---

(٣٥٠) المرجع السابق ، جـ٣ ص ٤١١ .

(٣٥١) دفتر ٨٢ معية تركى وثيقة رقم ٦ بتاريخ ١٥ ربيـــع الثـــانى عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العالى الى محافظ رشيد .

(٣٥٢) دفتر ٨٣٧ ديوان خديوى وثيقة رقم ١٨٣ بتاريخ ١٣ جمادى الاولى عام ١٢٤٣هـ : أمـــر كـــريم الى ناظـــر الفابريقـــات والعمليـــات والوابورات .

353) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2, P. 412.

طلائع الانتاج الاولى لمصبغ الخرنفش على انشاء مصانع فى المحلة الكبرى والمنصورة (٣٥٤) .

كما أن بعض آلات الغزل والنسيج التى استوردت من أوربا لم يكن لها جهاز واحد مستورد لغزل القطن ، وفى الوقت نفسه وجد فى المخازن العديد من العدد والآلات والمخارط ، منها مخارط سن القلاووظ ، وآلات لقطع «مجرة» وفتح تروس انعجلات ، وآلات التجهيز ، وكلها وارد فرنسا وانجلترا بأثمان باهظة ، وعلى هـــذه النمـــاذج قام النجارون والحدادون والخراطون والبرادون بعمل آلات التجهيز تحت اشراف « جوميل » الذى كان محترفا لصناعة الغزل والنسيج .

وقد كان محمد على ينظر الى هذه المصانع بعين الاعتبار ، بحيث انه ــ حرصا منه على سير المنافسة فى طريق التقدم واحتراما لرجال الفن من الاسطوات والمعلمين ــ كرم النظار بمقعد فى مجلس المشـــاورة بل ميزهم بنناشين ماسية يلبسونها على صدورهم ، وأصبح لكل واحد من النظـــار العلميين على السواء يقوم بالاشراف على أحد المصانع شارة الشرف(٣٥٥) .

354) J. Augustus, Op. Cit., Vol. 2, P. 410.
355) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 211.

الفصل الثالث

الصناعات الحربية والبحرية فى
عهد محمد على

قبل التعرض للصناعات الحربية والبحرية فى عهد محمد على لابد من القاء الضوء على مصادر ايراد محمد على ، لكى يستطيع الانفاق على جيشه وأسطوله وما يرتبط بهما من اقامة صناعات متعددة ، فعندما تولى محمد على الحكم فى عام ١٨٠٥م ، لم تتدخل الحكومة فى أعمال الزراع ، أو الصناع ، أو التجار تاركة للزارع أن يزرع ما يريد ، وأن يصنع الصانع ما يريد صنعه، وللتاجر الحرية فى تصريف تجارته ، أى أنه كان يتبع فى مصر سياسة التخصص الاقتصادى ومبدأ الحرية الاقتصادية ، وسار محمد على على هذه السياسة فى أول الأمر ثم تركها واتبع سياسة أخرى قائمة على مبدأين هما الاستقلال الاقتصادى والثانى الاحتكار والتوجيه (١) .

أما عن الاستقلال الاقتصادى ، فقد صار محمد على يعتمد فى انماء ثروته على ثلاثة مصادر أساسية هى (٢) :

أولا : الأرض وما يتصل بها من شئون الملكية والاحتكار الزراعى والعناية بالرى .

ثانيا : الاحتكار التجارى ، وما ارتبط به من ضرورة الهيمنة على وسائل النقل وطرق التجارة .

ثالثا : الضرائب ، ويدخل فى هذا الباب ما جمعه محمد على من احتكاراته المتعددة وبخاصة احتكار البن والنيلة .

ولما كان محمد على يهدف أساسا من احتكاره للصناعة سد حاجة الجيش والأسطول بمطالبهما ورغبته فى امداد البلاد بحاجتها من المنتجات

---

(١) احمد احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ٤٢ .

(٢) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر — محمد على ، ص ٢٧ .

الصناعية وعدم الاعتماد على البلاد الاجنبية ، فقد كان يعلم فى الوقت نفسه أنه فى حاجة الى المال الكثير للانفاق على المطالب المتعددة .

ولذلك اعتنى بادخال محاصيل زراعية جديدة ذات هدف تجارى مثل زراعة القطن ، الذى كان يستخدم قبل ذلك لأغراض الزينة فى احدى حدائق القاهرة.ولكن المهندس « جوميل » قام بعمل تجارب على بعض أنواع القطن حتى استنبت نوع القطن طويل التيلة الذى يصلح لأنوال القطن الميكانيكية الجديدة فى أوربا الغربية بصفة خاصة (٣) ، وبعد سنوات قلائل أصبح القطن من أهم الحاصلات الزراعية للتصدير ، وتراوح انتاجه السنوى بين ٠٠٠ر١٠٠ ، ٠٠٠ر١٥٠ سنويا (٤) ، وكان ايراد محمد على السنوى منه يبلغ ثلاثين مليونا من الفرنكات ، غير أن المحصول لم يلبث أن قل فى الأعوام التالية نتيجة من اكثار محمد على فى تجنيد الفلاحين وقلت الأيدى العاملة فى الزراعة (٥) ، واستقدم خبراء فى زراعة القطن من سوريا وآسيا الصغرى للاشراف على زراعته (٦) ، وتم استقاء المعلومات من أمريكا بشأن اساليب زراعة وتخزين القطن (٧) ، واحتكر الأرز عام ١٨١٢(٨) ، واحتكر صناعة السكر عام ١٨١٢ ، وبدأ يكثر من زراعة قصب السكر ، وخاصة بعد انشاء العديد من المصانع لصناعة السكر وتكريره (٩) ، كما احتكر

(٣) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر عام ١٧٩٧ الى ١٨٨٢م، ترجمة عبد العظيم رمضان ص ٢٤ .
(٤) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤١٢ (تقرير بورنغ) .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٨ .
(٦) هيلين ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٠٣ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٢١١ .
(٩) هيلين ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢١١ .

الكتـــان عام ١٨١٦ (١٠) ، وتوســـع فى زراعة النيلة ، واحتكرها عـــام ١٨١٦ (١١) ، واستقدم لها الخبراء من جزائر الهند الشرقية (١٢) ، أما بالنسبة للحرير فقد أختار وادى الطميلات بالشرقية ، وأحضر الخبراء من سوريا ولبنان ، واصدر أوامره لحاكم الشرقية باحضـــار الفلاحين لتعليمهم تربية ديدان الحرير (١٣) .

وبالرغم من التوسع فى انتاج الحرير الخام الا أن مصر كانت تستورده من سوريا (١٤) ، ولكن يبدو أن السوريين الذين استعان بهم محمد على فى تعليم المصريين كانوا لا يعرفون أكثر مما يعرفه المصريون (١٥) .

وتعرض محمد على للضغط فى عام ١٨٣٥م لكى يلغى احتكار الحرير ويسمح بتصدير الحرير الخام ، وبخاصة من سوريا ، فانتهى احتكاره فى مصر عام ١٨٣٥م كما الغى احتكاره من ســـوريا ـــ بعـــد ذلك ـــ بوقت قصير (١٦) .

واهتم بزراعة القرطم واحتكره عام ١٨١٦ ، وكان يستخدم فى الصباغة ويصدر الى الخارج (١٧) ، وتوسع فى زراعة الخشخاش (الحشيش) وخاصة

---

(١٠) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبـــار ، جـ٤ ، ص ١٥٧ .

(١١) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القـــرن التاسع عشر ، ص ٢١١ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(١٣) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ـــ محمد على ، ص ٤١٢ .

(١٤) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبـــار ، جـ٤ ، ص ٢٧٤ .

15) Hamont, L'Egypté sous Mehemet Ali, Vol. 2. P. 310.

(١٦) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القـــرن التاسع عشر ، ص ٢٤٣ .

(١٧) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القـــرن التاسع عشر ، ص ٢٣٦ .

بعد عام ١٨٢٧م ، عندما زرع ليستخدم فى صناعة الحبال (١٨) ، كما اهتم بزراعة الفواكه كالأناناس ، والمانجو ، والموز ، كما عنى بزراعة النخيل والفول والذرة والعدس وما الى ذلك (١٩) ، كما أدخل الفوه الى مصر عام ١٨٢٥م لتوفير الصباغة المطلوبة فى صناعة الطرابيش فى ذلك الوقت . وكانت مادة الصباغة الحمراء التى تستخدم من النوه ودودة القرمز تصدران عام ١٨٣٢ (٢٠) ، وقرر زيادة المساحة المزروعة عنبا لصناعة البراندى (٢١) ، وبذلت محاولات عديدة ، وخاصة من جانب ابراهيم باشا لادخال هذه الصناعة ، وأمكن الحصول على أنواع من النبيذ (٢٢) .

أما عطر الورد فانه احتكره أيضا وكان من نتيجة ذلك أن أخذت زراعته تتضاءل وخصوصا فى الفيوم (٢٣) .

تلك هى بعض المحاصيل الزراعية التى تتعلق بصفة خاصة بالصناعة والتى أسهم فيها محمد على وعمل على الاعتناء بها ، وتطورها ، كما اعتنى بالتجارة والمواصلات والأرض وأقام الكثير من مشروعات الرى وغير ذلك .

وبدأ محمد على يعمل على تسليح جيشه وأسطوله ومن أجل ذلك شيد المصانع والترسانات ، واستقدم الخبراء وأرسل البعثات الى الخارج بالاضافة الى ذلك كان يستورد ما لم يستطع صناعته فى مصر ، وكان يريد أن يعتمد اعتمادا كليا على الصناعة المحلية ، بدلا من الاعتماد على الدول

---

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .
(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .
(٢٠) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٠ ، وهيلين ريفلين ، ص ٢٤١ .
(٢١) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٤١ .
(٢٢) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٢٤ .
(٢٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

الأوربية وحتى لا يقع تحت سيطرتهم ، لأنه كان يدرك انه لو اعتمد على الدول الاوربية فى ذلك الوقت لحاربته وقضت عليه عن طريق منع توريد بعض الاجزاء الضرورية لبعض الأسلحة أو السفن الحربية ، واعتمد اعتمادا كليا على تصنيع جميع ما يحتاجه جيشه واسطوله واستيراد مايستطيع استيراده من الخارج .

ولكن كيف استطاع محمد على أن ينظم جيشا كبيرا بل جيوشا كبيرة وأساطيل ضخمة سواء أكانت حربية أم تجارية ؟ لقد أقام الكثير من الصناعات الحربية واستمر فى ذلك دهرا دون الاقتراض من الخارج ، معتمدا على مرافق البلاد وقواها الاقتصادية دون سواها بالاساليب التى تعرضنا اليها سابقا .

ويبدو أن هذه السياسة يرجع تاريخها الى عام ١٨٢٠م وهى بداية اصلاح الجيش ، ومن الواضح أن ادخال أساليب التنظيم والتدريب الأوربية احتاج الى ضباط أكفاء لتدريس العلوم العسكرية الأوربية ، والهندسة والرياضيات ، وأول ما يشير الى تنفيذ هذه السياسة هو تعيين كوستى الايطالى لتدريس الرسم والرياضة بالقلعة ، يجيء الامر بعد ذلك بتدريس اللغة الايطالية ، واللغات الأجنبية مما يدعو الى طلب مدرسين للغة التركية بالاضافة الى مهندس من الأكفاء (٢٤) .

كما أن محمد على أنشأ فى عام ١٨٣٧ مدرسة للعمليات أو الفنون والصناعات ، وأصبح يدرس فيها كثير من الصناعات كالخراطة والبرادة والحدادة والنجارة واشغال البواخر وغيرها ، وبعض العلوم كالكيمياء

---

24) H. Dodwell, The founder of Modern Egypt; A study of Muhammed Ali, P. 238.

والميكانيكا (٢٥)، وكان محمد على يتـابع بنفسـه الذين يدرسـون اللغـة التركية (٢٦) .

وكان العمال لا يعرفون الآلات التى يستخدمونها ، ولا المواد التى تستخدم معها ، فهم — فى الأصل — عمال زراعيون عاديون ، ولكن كان محمد على يستعين بعدد من الصناع الفرنسيين والايطاليين والمالطيين فى تعليم الوطنيين مختلف الصناعات مثال ذلك ما حدث عند انشاء ترسانة الاسكندرية (٢٧) ولكن عندما يتعلم هؤلاء العمال ، فانهم يأتون بالعجائب وبخاصة من يشتغلون بصناعة السفن ، فأصبحوا يضاهون العمال الاوربيين (٢٨) كما حدث فى ترسانة الاسكندرية .

وسوف نتعرض للصناعات الحربية بالتفصيل وللأجور ، ومهارة العمال والكميات التى تنتجها ومدى جودتها وغير ذلك .

المصانع الحربية والأسلحة :

١ — مصانع القلعة :

وقد بنيت عام ١٨٢٠م لصناعة الأسلحة ، وسبك المدافع تحت اشراف المسيو «جونون» Gonon ، وكان يعمل بها ٦٠٠ عامل (٢٩) ، وبدأت بداية متواضعة ، ثم ازداد انتاجها الحربى بعد تعيين «جيمان» (Guillemen)

---

(٢٥) أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣٨٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

(٢٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، (تقرير بورنج) ص ٤٨٤ .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٤٨٥ .

29) F. Mengin, Histoire de L'Egypté sous le government du Mohammed Ali; Vol. 2., P. 379.

ـ من مراقبى مصنع سلاح فرساى سابقا ـ بادارتها عام ١٨٢٣م وأنتجت عددا وفيرا من البنادق ، ذات الابرة العادى كالتى كانت مستعملة فى المشاة الفرنسية (٣٠) .

وكانت تنتج ثلاثة أنواع من الأسلحة وهى البنادق ، والمدافع والاسلحة وكان لكل نوع من هذه الانواع قسم خاص يجهز بالآلات والصناع والمهندسين وقد استعانت حكومة محمد على بخبراء فى الاسلحة من فرنسا أمثال « رى » Rey والبارون « بوانيه » والكولونيل « جودان » و «بارون» (Parron) و « كانتريك » Cantrelle « وكاديه » Cadet «ودى فو » De Vaux وغيرهم (٣١) .

٢ ـ معمل البنادق فى الحوض المرصود :

وقد تأسس هذا المعمل عقب تأسيس معامل القلعة فى عام ١٨٣١م ، وكان هذا المكان معدا ليكون مصنع نسيج ، وقد اشرف على ادارته المسيو «مارنجو» الايطالى الاصل ، والذى سمى ـ بعد ذلك ـ بعلى افندى ـ وقد عمل بجد وعزم ، كما تخرج على يديه طائفة من الصناع المهرة فى صنع البنادق على اختلاف طرازها (٣٢) ، وعمل محمد على على توفير الآلات اللازمة لهذا المصنع (٣٣) .

وقد بلغ عدد العمال فى المصنع ١٢٠٠ عامل ، ويشتمل هذا العدد على الرئيس ، والعمال والصبيان وانتاجه فى الشهر ٩٠٠ بندقية ، وتبلغ

---

(٣٠) محمد محمود السروجى ، الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ، ص ٢٥٣ .

(٣١) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

32) Mengin, Histoire de L'Egypté sous le government du M. Ali, Vol. 2., P. 133.

(٣٣) محفظة ٤ معية تركى وثيقة رقم ٢٩ ربيع الأول عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العالى الى مختار بك .

تكلفة البندقية الواحدة ١٤٠ قرشا (٣٤) .

ويلاحظ أنه فى عام ١٨٣٣ زاد عـدد العمـال الى ١٥٠٠ عامل تحت اشراف أحد الضباط الفرنسيين الذى كان يدعى أدهم باشا ، وقد كان هناك مصنع اخر يصنع زنادات البندقيات ، وسـيوف الفرسـان ، ورماحهم ، وحمائل السيوف ، والسروج ، وملحقاتها من صناديق المفرقعات ومواسـير البندقيات ومصنع آخر لصنع الواح النحاس التى تستخدم لوقاية السـفن الحربيـة (٣٥) .

وقابل محمد على عقبات فى سبيل ايجاد العمال المهرة ، فأرسل البعثات الى كل من ايطاليا ، وفرنسا ، وانجلترا ، ليتعلموا صناعة الاسلحة هناك، وصب المدافع (٣٦) ، كما انه كان يدرب العمال فى مصنع القلعة ، ويوزعهم على المصانع الحربية الأخرى ، كما كان يجمعهم عن طريق مشايخ الحارات ويدربهم على الصناعات ، وبعد تدريبهم يسجل عناوين اقامتهم حتى يسهل معرفتهم للرجوع اليهم عند الحاجة (٣٧) .

وكان أهم مصانع الترسانة هو مصنع صب المدافع ، وكان انتـاجه ثلاثة أو أربعة مدافع شهريا ، من عيار أربعة وثمانية أرطال ، وتنتج مدافع الهاون ذات الثمانى بوصات ، ومدافع قطرها ٢٤ بوصة (٣٨) ، وقد كان

---

34) F. Mengin, de L'Egypté sous le government du M. Ali, Vol. 2., P. 133.

(٣٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٦٠ .

(٣٦) أحمد عزت عبـد الكريم ، تاريـخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٤٣٩ .

(٣٧) دفتر ٧٧٦ خديوى تركى وثيقة رقم ٢٠ بتـاريخ ٣ شـعبان عام ١٢٤٧هـ : من الجناب العالى الى ناظر الجهادية .

38) F. Mengin, Histoire de L'Egypte sous le government du M. Ali, Vol. 2., P. 133.

محمد على على متابعة صرف المهمات اللازمة لهذا المصنع (٣٩) .

اما انتاج الترسانة من الأسلحة ، فقد كانت على درجة كبيرة من الجودة وتضاهى الانتاج الفرنسى ، كما يشهد بذلك الخبراء الأجانب الذين زاروها فى عام ١٨٣٤ (٤٠) .

أما عن أجور العمال ، فقد كانت تتراوح ما بين قرشين ونصف وستة قروش (٤١) وكان يعتنى بالعمال ، ويعمل على ترضيتهم حتى الذين يصابون يصرف لهم تعويضا مناسبا سواء كان للمصريين أم الأجانب (٤٢) .

وكانت تجرى تجارب أسبوعية للمدافع المنتجة ، وعندما يكون الحديد المستخدم من النوع الردىء يستغنى عن خمس المدافع ، أما البنادق بصفة عامة فقد كانت جيدة الصنع . كما رأينا ، كما أن رداءة الانتاج لا ترجع الى مهارة العامل المصرى ، ولكنها ترجع الى رداءة المواد المستخدمة فى الصناعة .

كما أنه وجد مصنع آخر فى ضواحى القاهرة تنتج بنادق . وتنتج المعامل الثلاثة حوالى ٣٦٫٠٠٠ بندقية فى السنة ، بالاضافة الى السلاح الأبيض والطبنجات (٤٣) .

---

(٣٩) دفتر ٧٢٩ تركى ديوان خديوى وثيقة رقم ٤٤٣ بتاريخ ٣٠ محرم عام ١٢٤٢هـ : من الديوان الخديوى الى سعيد أفندى ناظر معمل الحديد .

(٤٠) عبد الرحمن زكى ، التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير ، ص ٣٥٣ .

(٤١) محمد فؤاد شكرى . بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٦٠ .

(٤٢) دفتر ٧٢٩ تركى ديوان خديوى وثيقة رقم ٤٨٤ بتاريخ ٧ محرم عام ٢٤٢هـ : من الديوان الخديوى الى مدير الخزينة .

(٤٣) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٦٠ .

وكما كان محمد على يعتنى باعـــداد العمال الفنيين وتدريبهم كان فى الوقت نفسه يعمل على تجهيز كل شىء للمعامل مثل احضار الثيران ومعاقبة كل من يتهاون فى عدم ارسال هذه الثيران مهما كانت وظيفته (٤٤) ، ولم يكتف بما تنتجه هذه المعامل من البنادق من حيث جودتها ودقتها ، بل كان يستورد من الخارج مثل بلجيكا ، ويقارن بينها وبين الانتاج المصرى ، وكان يعمل كل ما فى وسعه على أن تصـــل هذه الصـــناعة الى درجة تضـــاهى الصناعة البلجيكية ويعمل على تحسين هذه الصناعة (٤٥) .

٣ ــ معامل البارود :

بدأ محمد على صناعة البارود فى عام ١٨١٦م بجزيرة الروضة وبلغ انتاجه من الجودة ، حتى أصبح يضاهى ملح البارود الذى كان يستورد من انجلترا فى ذلك الوقت (٤٦) ، وكان يستعين بالكيميائيين الاوربيين (٤٧) ، وقد ادخل كثيرا من التحسينات عليها . وانشأ معملا آخر للبارود فى القلعة فى عام ١٨٢٤م (٤٨) . وقد أشرف عليه أحد الفرنسيين ويدعى « المسيو مارتل » من مصنع ســـان شـــامون (ST. Chammond) وتحت اشرافه تسعون عاملا موزعين على عدة أقسام كالآتى (٤٩) :

عـــدد

١٨ عاملا يعملون بأيديهم فى مركبات الكبريت والفحم النباتى .

---

(٤٤) دفتر معية تركى الوثيقة رقم ٣٢٣ بتاريخ ٩ رمضان عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العـــالى الى مدير المنوفية وصـــورة منه الى الملاحظ عبد الله .

(٤٥) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على جـ٢ ص ٤١٦ .

(٤٦) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبـــار ، جـ٤ ، ص ٢٥٦ .

(٤٧) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٣٠ .

(٤٨) محمد محمود السروجى : الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ، ص ٢٥٥ .

49) F. Mengin, Histoire d L'Egypt, P. 224.

٢٢ عاملا يشتغلون بتحريك المسحوق فى المطاحن .

١٠ عمال يشرفون على البغال التى تدير الآلات .

٤٠ عاملا يشتغلون فى تحويل المسحوق الى حباب .

وبذلك يكون مجموعهم تسعين عاملا .

وقد تعددت معامل البارود فى مصر وبلغ انتاجها فى عام ١٨٣٣م من البارود ١٥ر٧٨٤ قنطارا ، وكانت موزعة كالآتى (٥٠) :

القاهرة	٩ر٦٢١	قنطارا
البدرشين	١ر٦٨٩	»
الاشمونين	١ر٥٣٣	»
الفيــوم	١ر٢٧٩	»
أهنـــاس	١ر٢٥٠	»
الطرانة	٤١٢ر—	»

وبذلك تكون الكمية المنتجة = ١٥ر٧٨٤ قنطارا

وكان محمد على حريصا كل الحرص على زيادة انتاج البارود ويكرم المشرفين عليه بمكافآت سخية اذا أنتجوا الكمية المطلوبة ، أما اذا لم ينتجوا المطلوب ، فانه لا يكافئهم كما حدث مع المشرف على معمل البدرشين (٥١) وقد عمل فى الوقت نفسه على احضار المواد الخام لمصانع البارود والمواد المستخدمة فيه (٥٢) .

50) F. Mengin, Histoirs de L'Egypté, P. 221.

(٥١) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٣٤٨ — محفظة أبحـاث رقم ١٠١ — بتاريخ ١٣ شوال عام ١٢٣٤هـ : من الجناب العالى الى أوسطى فابريقة البدرشين .

(٥٢) دفتر ١٥٨ شورى المعاونة ص ١٠٧ وثيقة رقم ٥٠٧ بتـاريخ ٢٧ رمضـان عام ١٢٥٣هـ : أمر عالى الى مديرى الوجهين القبـلى والبحرى .

٤ — مصانع سبك الحديد :

أنشأ محمد على مسبكا للحديد فى بولاق وتكلف أنشاؤه ٥٠٠ر٠٠٠ر١ فرنك أى ستة آلاف من الجنيهات الاسترلينية . والذى وضع تصميم هذا المسبك مهندس انجليزى يدعى جالوية ، ويعاونه معلم وخمسة عمال من الانجليز ، وثلاثة من المالطيين وأربعون عاملا من المصريين ، ويساعده ناظر (مدير) مصرى وله نفس سلطات المهندس الانجليزى ان لم تزد عليه (٥٣). ونظام الأجور غير مقيد بما بنتجه العمال بل أنهم على اختلاف طوائفهم يقيدون فى المصنع بفئات ثابتة وقلما تقوم المنافسة بين العمال ، لأن المتفوق لا ينال مكافأة لتفوقه ، أما المهمل فقد قضى نظام المصنع أن يعاقب بدنيا ، وبالسجن أيضا ، وبلغ انتاج المصنع ٥٠ قنطارا من الحديد المصهور ويستخدم ٥٠ قنطارا (٥٤) .

وكان محمد على يعمل بكل السبل لتوفير العمال الفنيين لهذه الصناعات ويكثر منهم ، وخاصة النجارين ، والنشارين ، والخراطين ، والحدادين ، والسباكين المرتبطين بعمل الحديد وبفن الصناعات الأخرى (٥٥) ، كما كان يرسل البعثات المختلفة لتعلم هذه الصناعة الى اوربا ، وخاصة الى انجلترا (٥٦) . وقد استطاع عمال هذا المصنع تقليد صناعة بعض الآلات المستوردة ، فصنعوا آلات لكبس القطن ، وآلات بخارية لأحد المصانع ، وآلات لعصر وتكرير السكر (٥٧) .

---

(٥٣) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٥٣ .

(٥٤) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ـ محمد على ، ص ٤٥١ .

(٥٥) محفظة أبحاث ـ دفتر ٣ معية تركى ، الوثيقة رقم ٣٦٠ بتاريخ ١٨ شوال عام ١٢٣٤هـ : أمر الى الكتخدا بك .

(٥٦) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٥٠٠ .

(٥٧) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٦٥ .

٥ ـ مصنع النحاس بالقلعة :

وانشأ محمد على مصنعا لعمل ألواح النحاس التى كانت تبطن بهـا السفن ويديره أيضا المهندس جالويه ، يعاونه أربعة رؤساء للعمل ، وكان يعمل معه عشرون عاملا .

وعملية السبك تبلغ ٣٥٠ قنطارا من النحاس ، والاسطوانة ، وينتج كل يوم من سبعين الى مائة لوح من النحاس (٥٨) .

وكان يعمل فى هذا المعمل الألواح النحاسية ـ كما قلنا ـ والتى كانت تبطن بها السـفن الحربية ، وقد قابلته عقبات فى هـذا المعمل مثلما قابلته عقبات أخرى فى المصانع المماثلة ، مثل حداثة العمال بالعمل به ، بل كان يستقدم الخبراء له من انجلترا ، ويرسل أيضا العمال الى هناك للتدريب على هذه الصناعة ، كما أنه كان يعمل على اتباع الطريقة الاوربية فى هذا المعمل وتدبير الوقود اللازم والمواد الخام (٥٩) .

وبالاضافة الى ذلك ، فهناك مصانع أخرى كانت تمد الجيش والاسطول بما تحتاج اليه باستثناء الأسلحة ، مثل مصنع الطرابيش ، ومصنع الجوخ اللذين كانا يمدان الجيش والأسطول بالملابس والأغطية الصوفية ، ووجد أيضا مصنع لدباغة الجلود الذى كان يمد الجيش والاسطول بما يحتاجه من أطقم الخيول والسروج ، ومعـامل الحبال وقلاع المراكب ، وغير ذلك من الصناعات الأخرى التى تمد الجيش والاسطول باحتياجاتهما وانا اعتبرناها صناعات حربية لأنها ارتبطت ارتباطا كليا بالجيش والاسطول معا .

---

(٥٨) دفتر ٧٢٩ ، ص ١٣٤ ، ورقة ٦٧ وثيقة رقم ٨٥٨ بتاريخ ٢٣ صفر عام ١٢٤٢هـ : من الديوان الخديوى الى مقام ولى النعم .

(٥٩) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٢٦٣ بتاريخ ١٤ شوال عام ١٢٤٥هـ : من الجناب العالى الى حسن بك مأمور الجيزة .

٦ ــ صناعة الطرابيش :

انشأ محمد على مصنعا للطرابيش بفوه عام ١٨٢٤ لتزويد الجيش بحاجته من اغطية الراس (٦٠) ، وكان هذا المصنع ينتج نوعا ممتازا من الطرابيش يضاهى طرابيش تونس (٦١) ، وقد استعان بالتونسيين لتعليم المصريين هذه الصناعة ، وكان مبنى المصنع مرتبا ومنظفا ، وتستخدم الثيران فى ادارته وتستخدم أجود أنواع الصوف الذى كان يستورد من اسبانيا (٦٢) .

وكان محمد على يرسل اعوانه ــ وخاصة الى تونس ــ لاحضار الخبراء المشهورين من الخارج فى صناعة الطرابيش وكان يحضره بآلاته وعدده ، وكان يعلم أن القائمين بغزل خيوط الطرابيش امرأة ، فيرسل باستدعائها هى وزوجها وأولادها (٦٣) .

وكان يعمل بالمصنع ٢٠٠٠ عامل . ويبدو أنهم كانوا أحسن حالا من العاملين بمحالج القطن ، وكانت تنتج ٥٠٠ طاقية فى الاسبوع . وفى أغلب الأحوال كان محمد على يطلب دائما طلبات تصل الى ٣٠٫٠٠٠ الف أو ٤٠٫٠٠٠ الف غطاء رأس للجيش ، كما أنه يوجد قسم «الزعبوط» أو الصوف الخشن لصنع بلاطى الجيش (٦٤) وكان يحث على تعليم العمال المصريين صناعة الطرابيش ، وخاصة على أيدى الخبراء الذين استقدمهم

---

60) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. I., P. 84.

(٦١) عبد الرحمن زكى ، ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير ، ص ٣٤ .

62) Hamont, L'Egypté sous M. Ali, Vol 2., P. 248.

(٦٣) دفتر ١١ معية تركى وثيقة رقم ٢٨٩ بتاريخ ٥ جمادى الاولى عام ١٢٣٨هـ : من الجناب العالى الى أحمد العزبى وكيل تونس .

64) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. I., P. 24.

من بلاد تونس وفاس بالمغرب الاقصى ، لأنه كان يدرك أهمية هذه الصناعة بالنسبة لجيشه (٦٥) .

وكان يصنع فى فوه أيضا نوعا ناعما من الطرابيش لاسواق القاهرة ، ويصنعها التونسيين ، وكانت قبل ذلك تصدر لاسواق القسطنطينية . وهى مرتفعة وسميكة أكثر من التى ترتدى فى مصر (٦٦) .

وعمل أيضا على توفير المواد الخام سواء الخاصة بالمصنع أم لعمل الانشاءات بها (٦٧) وكان يصدر الاوامر دائما باحضار العمال اللازمين من الرجال والنساء والبنات للعمل فى هذه الفابريقة ويتابع الحاقهم بالعمل هناك (٦٨) . وعندما يشعر أن العمال زائدون عن حاجة أحد المصانع يحوله الى مصنع آخر اجباريا ، حتى لا يتوقف العمل هناك (٦٩) .

ونتيجة لاعتناء محمد على بهذه الصناعة أن تقدمت لدرجة أنه كان يستخدمها ويتفاخر دائما بانتاجها (٧٠) ويهدى منها الى اصدقائه (٧١) ، بالاضافة الى ذلك كان يتابع الانتاج ، ودرجة جودته ، والصبغة المستخدمة فيه .

---

(٦٥) دفتر معية تركى وثيقة رقم ١٥٥ بتاريخ ١٦ ذو القعدة عام ١٢٤٠هـ : من المعية الى محمد العزيى ناظر فابريقة الطرابيش بفوه .

66) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. I., P. 84.

(٦٧) دفتر ٢١ معية تركى وثيقة رقم ١٠١ بتاريخ ٢٠ ذى الحجة عام ١٢٤٠هـ : من المعية الى شاكر أفندى ناظر الترسانات .

(٦٨) دفتر ١٩ معية تركى وثيقة رقم ٣١٦ بتاريخ ١٤ جمادى الاولى عام ١٢٤١هـ : من جناب الخديوى الى أحمد أغا ناظر فوه .

(٦٩) محفظة ٢ ملكية تركى وثيقة رقم ٦٥ بتاريخ ٢٥ صفر عام ١٢٥١هـ: من الجناب العالى الى مختار بك .

(٧٠) دفتر ١٠ أوامر ٧٩ وثيقة رقم ٢٠٤ بتاريخ نهاية ربيع الثانى عام ١٢٥٢هـ : من باشمعاون جناب داورى الى على القرباتى ناظر فابريقة الطربوش بفوه .

(٧١) نفس المصدر السابق .

٧ ـ صناعة الجوخ :

وأنشأ محمد على أيضا صناعة أخرى تتعلق بامداد الجيش باحتياجاته وأغطيته ، الا وهى صناعة الجوخ . وبالرغم من أنه أنشأ مصنعا ضخما لصناعة الجوخ ببولاق ، الا انها لم تأت بالنتيجة المرضية لها ، ولكنه استعان بالعمال الفرنسيين الذين استقدمهم من معامل الجوخ فى مقاطعة لنجدوك بفرنسا ، وتمكنوا من تدريب الغزالين والنساجين والكياسين والقصاصين والصباغين من الأهالى ، ولم يكتف بذلك ، بل ارسل بعض العاملين فى هذه الصناعة الى فرنسا (٧٢) . وقد صنع الجوخ الملون المتعدد الألوان (٧٣) كما أن الجوخ كان ينسج فى مصنع دمنهور ويرسل الى مصنع بولاق لدهنه وكبسه وصبغه (٧٤) .

وكان يعمل كل ما فى وسعه على توفير العمال لهذه الصناعة ، بل أننا نجد أنه فى أحد أوامره اشترط على العمال الذين يعملون فى صناعة الجوخ الا يكون لديهم أطيان (٧٥) ولا ندرى سبب هذا الشرط الغريب . بالاضافة الى ذلك كان يتابع أسماء العمال الأجانب الذين كانوا يعملون فى مصنع الجوخ ويدقق فى اختيارهم (٧٦) وكان يمنح العمال أيضا الكثير من الهايا

---

(٧٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ترجمة محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٧٣) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٤ ، ص ١٦٧ .

(٧٤) أمين عفيفى عبد الله ، تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٩٤ .

(٧٥) دفتر ٧٥٠ تركى ص ١٦١ وثيقة رقم ٣٤٤ بتاريخ ١٩ ذى القعدة عام ١٢٤٤هـ . من الديوان الخديوى الى على برهان أفندى مأمور أشغال مصر .

(٧٦) دفتر ٧٦٩ ديوان خديوى تركى وثيقة رقم ١٢٧ بتاريخ ٢٥ محرم عام ١٢٤٤هـ : من الديوان الخديوى الى المعلم واصف مباشر التجارة .

والرتب وكان يتابع انتـــاج الجوخ أولا بأول (٧٧) ، ربمـــا يرجع ذلك الى أهمية هذه الصناعة بالنسبة للجيش والاسطول معا .

ولم يكتف محمد على بمنح العمال الذين يعملون فى هـــذه الصـــناعة بالداخل بل منح العمال الذين تعلموا نسج الجوخ بالخارج بكافآت عينية ونقدية (٧٨) ، بالاضافة الى ذلك كان يطلب خبراء فى نسج الجوخ من أوربا، ويعمل على توفير المواد الخام لهم (٧٩) .

وقد لقيت هذه الصناعة اهتمام محمد على لأنها — كما قلنا — ارتبطت ارتباطا وثيقا باحتياجات الجيش من أحرمة وسجاجيد ، واغطية ، وغـــير ذلك ، وكان يعمل بكل جهده لتوفير خيوط الصـــوف لهذه الصناعة وتدبير المبالغ اللازمة لتمويلها (٨٠) : كمـــا كان يقارن انتاج كل سنة بأخرى حتى يضمن جودة الصنف ، ويتابع ذلك بنفسه (٨١) .

٨ — دباغة الجـــلود :

وهى أيضا صناعة ترتبط بالجيش ، لأنها تمده بالأحذية والسروج وغير ذلك وقد أنتشرت الدباغة فى مصر واتبعت فيها أساليب خاصة فى دبغ جلود

---

(٧٧) دفتر ١١ أوامر ص ١ بتاريخ ٥ ربيع الاول عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العالى (أمر كريم) الى سعادة ناظر مجلس عالى ملكية مصرية .

(٧٨) محفظة أبحاث (١٠١) ومحفظة ٢٣٩ الوثيقة ١١ جمادى الاولى عام ١٢٤٨هـ : من محمد أمين المعلو الى المعية السنية . وكان هذان الشخصان هما (عبد الرب ومحمد) أرســـلا الى فرنســـا واتقنا الصناعة وكافأهم محمد على بشراء بعض الآلات والكتب وفصـــل لهما بدلتان واعطى كل منهما ٥٠ فرنك .

(٧٩) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٢٧١ بتاريخ ١٦ ذو القعدة عام ١٢٤٤هـ : أمر عالى من المعية الى الخواجة بوغوص .

(٨٠) دفتر ١٥٨ شورى المعاونة تركى ص ١١ وثيقة رقم ٥١٦ بتاريخ أول رمضان عام ١٢٥٣هـ : أمر عالى الى مدير النصف الثـــانى الوسطى .

(٨١) دفتر ٢٨ تركى شورى المعاونة ص ٢٨ وثيقة رقم ١٨٦ بتاريخ ٨ ربيع الاول عام ١٢٥٥هـ : من الجناب العالى الى الباشا الكتخدا .

الماشية والاغنام والماعز (٨٢) ، ويرع الاهالى فى تحضير جلد السخيتان ، والتى كانت لا تستخدم فيها الا جلود الماعز مصبوغة باللون الاحمر أو الأصفر وغيرهما (٨٣) . وكانت الجلود تورد بمعرفة أحد الملتزمين الى المدابغ لتصنع هناك .

ولم يقتصر الانتاج على الأحذية ، وانما كان يصنع أيضا الحقائب الخاصة بعساكر الجهادية (٨٤) ، وحرص محمد على على أن يجعل من الصناعة المصرية تضاهى الصناعة الاوربية ، ومن أجل ذلك أرسل بعض العمال الى فرنسا ليتعلموا صناعة الاحذية هناك (٨٥) ، ويلاحظ أنه كان يمتحن العائدين من أوربا الذين تعلموا هذه الصناعة فى فرنسا (٨٦) ، ولم يكتف بذلك بل انه أرسل الى النمسا يطلب استقدام أحد الخبراء فى صناعة الجلد هناك ، وحضر ومعه ستة من المساعدين وأصدر أوامره بتكريمهم والاعتناء بهم (٨٧) ، وكان يعين بعض الاوربيين فى هذه المدابغ مثل تعيين المسيو « روس » رئيسا للمدابغ (٨٨) ، وكان يهدف من ذلك العمل على تقدم واتقان هذه الصناعة (٨٩) .

---

82) M. Clerget, Le Caire, Etude d'Geographé Urbain, P. 29

(٨٣) ج. دى. شابرول ، دراسة فى عادات وتقاليد المصريين المحدثين « ترجمة زهير الشايب » ، ص ٢٥٧ .

(٨٤) دفتر ٧٦٦ تركى ديوان خديوى ص ١١١ وثيقة رقم ٢٦٠ بتاريخ ٩ شوال عام ١٢٤٥هـ : من المجلس العالى الى الديوان الخديوى.

(٨٥) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٤١٦.

(٨٦) المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

(٨٧) دفتر معية تركى ــ أوثيقة رقم ٨٤٨ بتاريخ ٢١ ذى الحجة عام ١٢٣٨هـ : من جناب الخديوى الى البك الكتخدا .

(٨٨) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٤٠٨.

(٨٩) محفظة ابحاث ١٠١ ــ دفتر ٢٤ معية تركى وثيقة رقم ٣٨١ بتاريخ ٨ ذى القعدة عام ١٢٤١هـ : من الجناب العالى الى بوغوص بك .

ونشير هنا الى أن محمد على كان يستخدم الاساليب الحديثة المتبعة حاليا مثل اعطاء امتياز للاجانب بانشاء المدابغ ومشاركتهم فى الارباح بنسب يتفق عليها على أن يؤول المصنع بعد مدة معينة ــ خمس سنوات مثلا ــ الى الحكومة ، ويصبح ملكا بعد انقضاء المدة المذكورة ، وهذا ما حدث بالفعل عندما تقدم اثنان من الاجانب هما «روس» ، «وروفائيل» لانشاء مدبغ لدباغة الجلود ، اما فى رشيد أو بولاق أو دمياط على ان يتوسعا بعد ذلك ، ووافق محمد على على ذلك (٩٠) .

٩ ــ معامل الحبال وقلاع المراكب :

وبعد أن بنى محمد على ترسانة بولاق بدأ بانشــــاء معامل للحبــال واشرعة المراكب عـــام ١٨٢٠م (٩١) ، وكان يســـتخدم القنب وترســـل مصنوعاته الى ترسانة الاسكندرية (٩٢) كما كان يتابع بنفسه عملية ارسال الحبال الى ترسانة الاسكندرية ، ومتابعة انتاجها أيضا (٩٣) .

وانشأ لأجل هذا الغرض مصنع لانتاج قلاع المراكب ، وبها مصـــانع للحدادة لعمل الحدايد اللازمة للسفن (٩٤) ، وكان محمد على يؤجر بعض الانوال للاهالى لينسجوا قماشا للقلاع وشجعهم على ذلك (٩٥) .

بالاضافة الى هذه الصناعات المتعلقة بالجيش والاسطول كانت تنتج

---

(٩٠) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مســـعود ، جـ٢ ، ص ٤٤٧ .

(٩١) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٤٥٨ .

(٩٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٤٧ .

(٩٣) دفتر ٤٢ معية تركى وثيقة ٣٢١٠ بتاريخ ٢ شعبان عام ١٢٤٦هـ . من الجناب العالى الى على اغا مأمور محلة والى مامورى ميت غمر .

(٩٤) عبد الرحمن الرافعى ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٥٦١ .

(٩٥) دفتر ١٥٥ شورى المعاونة تركى ، ص ١٥٨ وثيقة رقم ٣٩٠ بتاريخ ٢ شعبان عام ١٢٥٣هـ . أمر عالى الى مدير الغربية .

عجلات وعربات للمدافع ، وكذلك صناديق الذخيرة ، وحدوات الخيـل ، والحراب والبلط ، وركائب السرج ، والأبازيم والآلات التى يستخدمها حملة البلط (البلطجية) والنساخون (اللغمجية) ، ويبلغ عددهم حوالى ٨٠٠٠ عامل عندما يكون العمل قائما على قدم وساق .

وثمة قسم آخر لصنع المسامير والاقفال ، والامشاط وعربات النقل ، وحدوات الخيل ، ومحكاتها ، والصفائح وصناديق الأدوية وغيرها ، ويعمل فى ذلك ٦٠٠ عامل ، كما أنه توجد ورشة قائمة بذاتها لصنع المسامير ، ويعمل بها حوالى ٢٠٠ عامل يعملون فى ٦٠ مسبكا للحديد . ويوجد قسم آخر لصنع السرج ، وقرب الماء ، واطقم الخيـل وصناديق الخراطيش وغيرهما ، ويعمل فى هذا القسم ١٠٠٠ عامل ، ويقوم حوالى أربعين عاملا يصنع نحو خمسين زوجا من الاحذية للجيش فى اليوم الواحد .

ولكل قسم مراقب وموظفون ، كما أنه كان يوجد مراقبون ومراجعون للحسابات ويمنحون جميعا رتبا عسكرية وكانت الاجور تدفع عادة بحساب القطعة الواحدة ومتوسط ما يكسبه العامل فى اليوم ثلاثة قروش ، وان الحد الأدنى قرش واحد ، أما الحد الاقصى فستة قروش .

وكان يوجد على تلال المقطم معمل يضم حوالى ٢٠٠ من العسكريين ، ٤٠ من المدنيين وهم من مهرة الصناع يعدون لحساب الحكومة جميع صنوف الاسهم النارية والخراطيش والصواريخ والقذائف وما اليها (٩٦) .

---

(٩٦) محمد فؤاد شكرى ، بنان دولة مصر ، محمد على ، ص٤٨٣ .

الاسطول المصرى والصناعات البحرية (٩٧)

يرتبط انشـــاء الأســـطول المصرى فى عهـد محمد على ، بالدوافع الاقتصادية والسياسية ، والتى ازدادت بمرور الزمن ، وانها كانت فى نظره أمرا جوهريا لا غنى عنه اذا اراد ادخال الحضارة والعمارة الى البـلاد ، واستغلال مواردها ، وأيجاد أسطول قوى يحقق أهدافه مع الباب العالى ، ويدعم صلاته بالأمم المتحضرة ، ويسهل تصدير المنتجات المصرية التى كانت من مصادر أيراد الدولة ، كما أن وجود اسطول قوى يساعد على حمايته من الباب العالى .

ولم يكن أنشاء الاسطول القوى بالشىء اليسير ، فقد كان أمامه الكثير من الصعاب مثل عدم وجود العمال الماهرين من رجال الصـــناعة ، وعدم توافر المواد اللازمة لبناء السفن واصلاحها ، هذا الى جانب أن الاسكندرية وهى اكبر ثغور مصر لم يكن مدخلها يصلح للسفن الكبيرة ، وحتى أن السفن الثقيلة (من نوع الغليون) كانت تضطر الى أنزال ما تحمله من المدافع ، حتى تستطيع الخروج من الميناء الى عرض البحر . واستطاع محمد على ازالة بعض هذه العقبات بعزيمة وقوة صادقتين .

ومن المعروف أن البحـرية المصرية مرت بثـلاث مراحل وهى شراء السفن من البلدان الاوربية ، ثم التوصية على صنعها فى الموانىء الاوربيـة لحسـابه الخـاص ، ثم أنشـاؤها فى دار الصـــناعة التى شـيدت بالاسكندرية (٩٨) .

---

(٩٧) لقد رجعنا فى هذا المجال الى رسالة الماجستير الخاصة بالسيد / محمود عبد العال وعنوانها « أسـطول مصر الحربى فى النصـف الاول من القرن التاسع عشر » وقد أفدنا منها فائدة كبيرة فى هذا الفصـل .

(٩٨) جميل خانكى : تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٢٤ .

ولذلك نجد انه بدأت عنـاية محمد على بادياء البحرية المصرية ، وخاصة فى البحرين الأحمر والابيض المتوسط ، كما أن حاجته الملحة لوجود اسطول فى البحر الأحمر لم تلبث أن ظهرت واضحة عندما طلب اليه السلطان العثمانى ـ بعد توليته بسنتين على مصر ، أى فى أواخر ديسمبر عام ١٩٠٧ ـ أن يرسل حملة لمحاربة الوهابيين فى شبه الجزيرة العربية ، ولكنه كان يعتذر للسلطان بحجة محاربة المماليك ، ولكن السلطان جدد طلبه مرة اخرى فى عامى ١٨٠٨ ، ١٨٠٩ (٩٩) . ولما انتهى من محاربة المماليك أمره السلطان العثمانى ليجهز الحملة الى الجزيرة العربية . ولم يجد محمد على العذر بعد ذلك ، وخاصة أن نجاحه فى مثل هذه الحملة سوف يوطد مركزه بعد فشل الحملات السابقة التى ارسلها السلطان العثمانى (١٠٠) .

١ ـ نشأة الاسطول فى البحر الاحمر :

استرشد محمد على بالفرنسيين ، بخصوص صنع المراكب الحربية فى ترسانة بولاق (١٠١) ، وأرسل يستأذن السلطان فى بناء السفن الحربية فى الترسانة المذكورة (١٠٢) كما أنه ارسل فى الوقت نفسه كشف بالاشياء المطلوبة لصناعة هذه السفن ، والتى لا توجد الا فى الدولة العثمانية(١٠٣) ، وعلى هذا انشأ محمد على بساحل بولاق دارا للصناعة وجمع لها أمهر

---

(١٠٠) المعية السنية رقم ١ وثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٦ ذى الحجة عام ١٢٢٤هـ . من السيد عثمان نائب السلطان الى محمد على .
(١٠١) دفتر ٤٢ معية تركى وثيقة رقم ٣٥٠٠ بتاريخ ١٩ شعبان عام ١٢٢٤هـ . من الجناب العالى الى محافظ دمياط .
(١٠٢) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٤ ، ص ١٠٩ .
(١٠٣) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٦ ذى الحجة عام ١٢٢٤هـ . من محمد على الى الباب العالى .

الصناع والعمال وبخاصة من الاسكندرية وأصدر أوامره بهذا الخصوص لارسالهم الى ترسانة بولاق (١٠٤) ، وجمع الأخشاب لها . وكانت السفن تصنع على هيئة الواح ، وتحمل على ظهور الجمال الى السويس ثم تركب وتنزل الى البحر (١٠٥) ، واستخدم عددا كبيرا من الجمال ويلاحظ أن أعداد السفن المطلوبة لتجهيز الحملة الى بلاد العرب هو عشرون مركبا ، وكذلك ثلاث سفن حربية كبيرة ، كما أمر باحضار الأخشاب لها من الوجهين البحرى والقبلى ، ومن آسيا الصغرى ولا سيما اقليم كرمانيا (١٠٦) .

وقد تم صنع الأخشاب اللازمة لاحدى وعشرين سفينة من السفن اللازم اعدادها بالسويس وأرسلت الى هناك ، وتتراوح أطوالها من ثمانية عشر ذراعا أو تسعة عشر ذراعا الى احدى وثلاثين ذراعا (١٠٧) .

أما بخصوص السفن الحربية الثلاث ، فانه تم صنع سفينة بترسانة بولاق وأرسلت لتجمع فى السويس ، والثانية تم صنعها فى الاسكندرية ، أما الثالثة فقد كان مطلوبا شراؤها من مالطة (١٠٨) ، ولكنه وجد صعوبة فى شراء هذه السفينة ، لأنها كانت تتبع السفن الانجليزية الموجودة هناك وعرضت انجلترا أن تضع تحت تصرف محمد على احدى السفن الانجليزية ولكن السلطان العثمانى ومحمد على رفضا هذا العرض ، لأنه يتنافى مع

---

(١٠٤) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ج٤ ، ص ١٠٢ .

(١٠٥) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة رقم ٢٨ بتاريخ ٧ محرم عام ١٢٢٥هـ : من محمد على الى الباب العالى .

(١٠٦) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ج٤ ، ص ١٠٢ .

(١٠٧) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة ٢٨ بتاريخ ٧ محرم عام ١٢٢٥هـ : من محمد على الى الباب العالى .

(١٠٨) محفظة بحر برا رقم ١ وثيقة ٢٢ بتاريخ ٢٣ محرم عام ١٢٢٥هـ : رسالة من عبده سليمان الصدر الاعظم الى محمد على والى مصر .

مصلحة الدولة العثمانية (١٠٩) ، ولذلك اضطر الى أن يكتفى بما لديه من سفن فى البحر الأحمر فى ميناء السويس (١١٠) ، ومعنى هذا أن يستغنى عن السفينة الثالثة .

ولكن كان دائما ينقصه الكثير من المعدات اللازمة لبناء السفن (١١١) ، وقد أرسل الى الدولة العثمانية قائمة بالمعدات التى يحتاجها مثل الصوارى والأعمدة وغير ذلك (١١٢) .

ولم يكتف محمد على بذلك ، بل أرسـل مندوبه الى رودوس لشراء اللوازم المطلوبة وأيضا نوع من البراميل المشدودة بنطاق من الحديد لكى يوضع فيها البارود اللازم للسفن المذكورة (١١٣) ، كما أنه أرسل كشـفا آخر يحدد فيه المدافع والمهمات اللازمة للسفن التى أنشئت بالسويس(١١٤)، وقد حرص على تعيين مأمورين لتنظيم الأصول الكتابية ، كما أنه كان يعين معاونين ذوى دراية وباشرهم بنفسه يوميا (١١٥) .

وكان من نتيجة انشاء الأسطول فى البحر الأحمـر أن تبين له مزايا

---

(١٠٩) محفظة بحر برا رقم ١ وثيقة رقم ٢٣ بتـاريخ ١٠ صـفر عـام ١٢٢٥هـ : رسالة من السيد عثمان نائب السلطان الى محمد على والى مصر .
(١١٠) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ١٣٢ .
(١١١) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة رقم ٤٨ بتاريخ ٥ شوال عام ١٢٢٥هـ : رسالة من محمد على الى الباب العالى .
(١١٢) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة رقم ٢٨ بتاريخ ٧ محرم عام ١٢٢٥هـ : رسالة من محمد على الى الباب العالى .
(١١٣) المعية السـنية رقم ١ وثيقة رقم ٥١ بتـاريخ ٢٧ شـوال عام ١٢٢٥هـ : صادر من محمد على الى الباب العالى .
(١١٤) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة رقم ٤٦ بتاريخ غرة رمضان عام ١٢٢٥هـ : صادر من محمد على الى الباب العالى .
(١١٥) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٤٥٦ .

الاساطيل البحرية ، فعقد العزم على انشاء اسطول في البحر المتوسط وأخذ يتحين الفرصة لانشاء هذا الأسطول .

البحرية المصرية فى البحر الأبيض المتوسط :

من المؤكد أن تكوين البحرية المصرية بدأ فى تاريخ مصر الحديث فى عام ١٨١٠م (١١٦) ، وكان الهدف الحقيقى لانشاء الأسطول فى البحر الأحمر هو الحماية فقط ، لأنها لم تعد الاعداد الكافى لكى تشتبك فى معارك بحرية لأنها كانت من الأنواع القديمة ، كما أنها لم تكن من الطراز المستعمل فى ذلك الوقت عند الدول البحرية الكبرى (١١٧) ، وعلى هذا فقد كان هدفه الأساسى لانشاء أسطول بحرى فى البحر المتوسط هو الناحية الاقتصادية ، اذ كان يسيطر على تجارة الصادر ، وأدى ذلك الى احتكاره للنقل النهرى داخل البلاد ، كما استبعث محاولة الاستئثار بفوائد النقل البحرى جلها ، ان لم يكن كلها ، ولذلك نجد أنه فى عام ١٨١٠م اتفق مع الانجليز على بيع الغلال لهم ، وانشأ بيتا تجاريا فى مالطة ، لكى تمر به تجارة الصادر وقد جنى أرباحا هائلة نتيجة للحصار القارى ، ومع اقرار السلام فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٥م الا أن انتهاء الحروب النابليونية فتح أمامه ميادين أخرى لنشاطه التجارى فى مختلف الموانىء الأوربية ، وأدى ذلك الى انشاء مراكز للتجارة المصرية فى تريستا ومرسيليا وليفورنه ، وبناء على مشورة بوكتى (Bokty) قنصل السويد العام أن يتوسع فى نشاطه التجارى الى البلدان الشمالية مثل استوكهلم وباريس ولندن وهمبرج وكلف بيت توسيزا Toossizza وانسطاسى Anstazzy وغيرهما من البيوت التجارية الأجنبية ان

---

(١١٦) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ٣ ، ص ٤٠٠ .

(١١٧) عمر طوسون ، صفحة من تاريخ مصر ، الجيش المصرى البرى والبحرى ، ص ٣٣ .

يبيعوا له سفنا للنقل ، وخاصة فى بحر الأرخبيل (١١٨) .

مرحلة شراء السفن :

وعلى هذا يمكن القول بأن أسطول محمد على بدأ فى البحر المتوسط بسفينتين أهداهما له السلطان محمود بعد حرب الوهابيين ثم أصبح فى عام ١٨١٢م يتألف من «افريقية» التى بنيت بترسانة الاسكندرية القديمة ، وكان الهدف من انشائها هو أنضمامها الى الحملة المجهزة لارسالها الى حملة الحجاز ، وقد اشرف على بنائها محافظ الاسكندرية محمد أغا (١١٩) ، ويتألف أيضا من « واشنطن » ، وكانت مركبا امريكيا ، وثمانى مراكب تجارية كبيرة ، واصبح عدده فى عام ١٨١٧م خمس عشرة مركبا تجاريا كبيرا بالاضافة الى مركبين اشتراهما من النمسا (١٢٠) ، وقد كانت معظم هذه السفن من نوع مستعمل ومن طراز قديم جدا (١٢١) ، وبعملية الشراء من الخارج وقع محمد على ضحية التجار والسماسرة ، وهذا يرجع الى عدم وجود الخبرة السابقة فى البحرية ، وكما يقول هو نفسه أنه لم تكن هناك أية بحرية أو نواة للبحرية فى العهد السابق له ... وأنه لم يكن فى استطاعته خلقها من رمال الأهرامات (١٢٢) .

مرحلة بناء السفن فى الخارج :

وبدأ محمد على يشترى — بعد ذلك — من ترسانات أوربا ، ويبنى لحسابه السفن ، وبدأ ببناء السفن فى فرنسا بعد الزيارة التى قامت بها

(١١٨) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر — محمد على ، ص ١٣٤ .
(١١٩) المعية السنية محفظة رقم ١ وثيقة رقم ٢٣ — ٢٥ بتاريخ ١٦ ذى الحجة عام ١٢٢٤هـ . من السيد عثمان نائب السلطان الى محمد على والى مصر .
(١٢٠) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر — محمد على ، ص ١٣٤ .
(١٢١) المعية السنية دفتر رقم ١١ رقم مسلسل ٣٣٥ بتاريخ ١٨ جمادى الأولى عام ١٢٣٨هـ : من المعية السنية الى الخواجه بوغوص .
122) G. Douin, Lss Premier Pregates De M. Ali, P. 22.

بعض السفن الفرنسية لميناء الاسكندرية فى شهر ديسمبر عام ١٨٢١م ، مثل جان دارك ، وكيرازييه ، وقد قام محمد على بزيارتهما واعجب بهما ، وطلب من القنصل الفرنسى دروفتى Drovetti أن تبنى فى فرنسا له سفينتين من طراز جان دارك وكيرازييه ، ووافق القنصل الفرنسى ، ولكن وزارة البحرية الفرنسية رفضت ، ذلك رغبة منها الوقوف على الحياد بين الدولة العثمانية والثوار اليونانيين — ولكن ضغط الأوساط التجارية جعل الملك شارل العاشر يوعد ببناء السفينتين ، وخاصة وأن هذا امتداد لنفوذها فى مصر (١٢٣) ، وبعد أن تم بناء السفينتين طلب محمد على بناء سفينة أخرى وقد وضع لهذا الغرض تحت تصرف الجنرال ليفرون Livron — وكان من ضمن اعضاء بعثة عسكرية فرنسية برياسة الجنرال بوابيه — جميع الأموال اللازمة لذلك (١٢٤) ، ثم اتجه بعد ذلك الى دور الصناعة الايطالية مثلترسانات ليفورنة والبندقية لبناء سفن لحسابه الخاص هناك (١٢٥) . وقد كانت من القوة والمتانة الأمر الذى أدى لترسانة ليفورنه الى التوسع والتزود بالمعدات اللازمة لهذا الأمر (١٢٦) .

بالاضافة الى ذلك بنى سفينتين بخاريتين فى انجلترا ، أحداهما فى ليفربول ، والأخرى فى لندن عام ١٨٣٥م (١٢٧) ، وبنى سفينة أخرى بميناء الجزائر بالغرب ، وقد أطلق عليها اسم « واسطة جهاد » وبنى سفينة أخرى فى ميناء جنوه ، وقد أطلق عليها اسم « جهاد بيكر » ، وبنى سفينة أخرى فى الولايات المتحدة الامريكية ، وقد أطلق عليها اسم «بادىء جهاد» (١٢٨) .

123) G. Douin, Une Mission millitaire Français aupres de M. Ali, P. 81.

(١٢٤) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ١٣٦ .

125) G. Douin, Les Premieres Fregates de M. Ali, P. 65.

126) G. Douin, Op. Cit., P. 66.

(١٢٧) المعية السنية دفتر ٢٠ ص ١٥ بتاريخ ١٦ ذى الحجة عام ١٢٤٠هـ من المعية السنية الى الخواجه بوغوص .

(١٢٨) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

وبعد بنائه هذه السفن فى موانىء أوربا بدأ باختياره لها القواد البحريين من سفن التجارة الأتراك والاسكندريين واخذ ملاحييها من المتطوعين ، وأحضر لهم المعلمين من الفرنسيين والطليان لتعليمهم وتدريبهم، وأنشأ على الشاطىء الشرقى من الميناء الغربى بالاسكندرية مصانع الحدادة والنجارة والجفلطة ، وغيرها ، وعهد بادارتها الى شاكر أفندى المهندس ، والحاج عمر المصرى الخبير المشهور بعمارة السفن وانشائها ، ثم أحضر الى مصر الخبير المشهور بعمارة السفن ويدعى «بيسون» وعينه مراقبا على انشاء السفن التى أوصى على صناعتها فى أوربا مع الحاج احمد اغا ، وعين لامارة الأساطيل صهره محرم بك محافظ الاسكندرية مع بقائه فى وظيفة المحافظ ، ولذلك فقد كان أول أمير وناظر للبحرية (١٢٩) .

وأصبح عدد قطع الأسطول احدى وثلاثين قطعة بحرية ، ولكنه — بدخوله معركة نفارين البحرية عام ١٨٢٧ — تحطم الأسطول ولم يبق الا القليل (١٣٠) وقد صمم على بناء ترسانة على أحدث النظم ، وبالفعل بدأ بانشاء ترسانة الاسكندرية .

مرحلة بناء السفن فى مصر (ترسانة الاسكندرية) :

لم يعتمد محمد على هذه المرة على شراء السفن من الموانىء الأجنبية بل أنه عقد العزم على بناء هذه السفن فى مصر ، ذاتها وبامكانياتها واعتمد على ذلك على جودة مناخها ، والذى يساعد على حفظ الأخشاب سليمة من العطب مدة طويلة ، هذا فضلا عن وفرة الأيدى العاملة ، ولذا قرر فى عام ١٨٢٧م أن يصنع ما يريده فى مصر ، وكان الأمر يستلزم المهندسين البارعين، والمعلمين الماهرين والمدربين للاشراف على بناء السفن ، وتعليم المصريين

---

(١٢٩) عمر طوسون ، صفحة من تاريخ مصر الجيش المصرى البحرى والبرى ، ص ٦٦ — ٦٧ .

130) G. Douin, Les Premieres Fregates de M. Ali, P. 86.

فنون الصناعة والملاحة البحرية ، ووفرة الأخشاب ، فقد كان محمد على كعادته يعطى هذه المسائل من العناية الكافية حتى أنه ذلل العقبات التى اعترضت مشروعه ، وقد استعان بمهندس فرنسى يدعى (سريزى) (Cerisy) عرف عنه فنون البحرية ، وخاصة فى بناء السفن والأحواض والترسانات (١٣١) .

وكان يعاونه الحاج عمر الذى كان قد عهد اليه بعملية الكشف على السفن المعروضة للبيع ، والتى ترغب مصر فى شرائها من التجار الأجانب ، وكانت له خبرة عظيمة فى بناء السفن ، ومعرفة صلاحيتها ، أو عدم صلاحيتها ، وظهرت براعته ومهارته عند الكشف على أحدى السفن الواردة من ميناء ليفورنه ، لمحاولة معرفة عدم سرعة السفينة ، وعرف أن ذلك يرجع الى خطأ فى التصميم فى مؤخرتها ، ووافقه على ذلك المهندسان اللذان توليا الكشف عليها بميناء رودوس أحدهما يونانى ، والآخر من مهندسى ترسانة الآستانة (١٣٢) كما ظهرت براعته أيضا أثناء كشفه على سفينة اخرى ، وأثبت عدم صلاحيتها حيث انها كانت قديمة ، وأنها تم تعميرها حديثا وأنها من طراز قديم (١٣٣) . كما كان يعاون سيريزى أيضا شاكر افندى الذى كان لا يعرف شيئا وفصل بعد ذلك (١٣٤) .

ويلاحظ أن عمق الميناء بميناء الاسكندرية غير كاف لوصول السفن التجارية الى البر ، ولذا أمر محمد على بجلب الكراكات من الدول الأوربية

(١٣١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٤٠٥ .
(١٣٢) المعية السنية دفتر رقم ١١ وثيقة رقم ٣١٢ بتاريخ ٩ جمادى الاولى عام ١٢٣٨هـ : من المعية السنية الى الخواجه بوغوص .
(١٣٣) المصدر السابق وثيقة رقم ٣٣٣٥ بتاريخ ١٨ جمادى الاولى عام ١٢٣٨هـ .
(١٣٤) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ .

للعمل على تعميق الميناء تمهيدا لمشروعه . كما قام بشراء بعض الأماكن الجانبية لتوسيع رقعة الميناء ، ومن هذه الاماكن جزء من خط الصيادين وذلك فى عام ١٨٢٩م (١٣٥) .

وقد كان نتيجة لانشاء ترسانة الاسكندرية أن أدى ذلك الى نهضة عمرانية واجتماعية ، ويكفى أن نعرف أن عدد سكانها عند قدوم الحملة الفرنسية كان يقدر بحوالى ثمانية آلاف ، بلغ عددهم فى عام ١٨٣٠م مائة وثلاثين الفا (١٣٦) .

أما عن ورش الصناعة ، فقد كانت عبارة عن مظلات بسيطة من الخشب وانها كانت تحتوى على مبنى صغير للجمارك ، أو قهوة عمومية ومحل ومسجد ومبنى للورشة ، وأرضية تستخدم لانشاء السفن ، ومظلة من الخشب لآلات الحدادة ، ومظلة اخرى لصناعة البراميل ، ورصيف قديم من الخشب للنزول من السفن وبعض المخازن الحكومية (١٣٧) .

بدأ سريزى عند وصوله بدراسة مشروع انشاء ترسانة جديدة وعمل ليلا ونهارا لوضع الرسوم الخاصة بالترسانة الجديدة ، وقد قدم لمحمد على تصميمين أحدهما لم يوافق عليه [مرفق الرسم انظر (شكل ١)] وكان يتكون من ستة عشر جزءا هى :

١ — الجمرك .

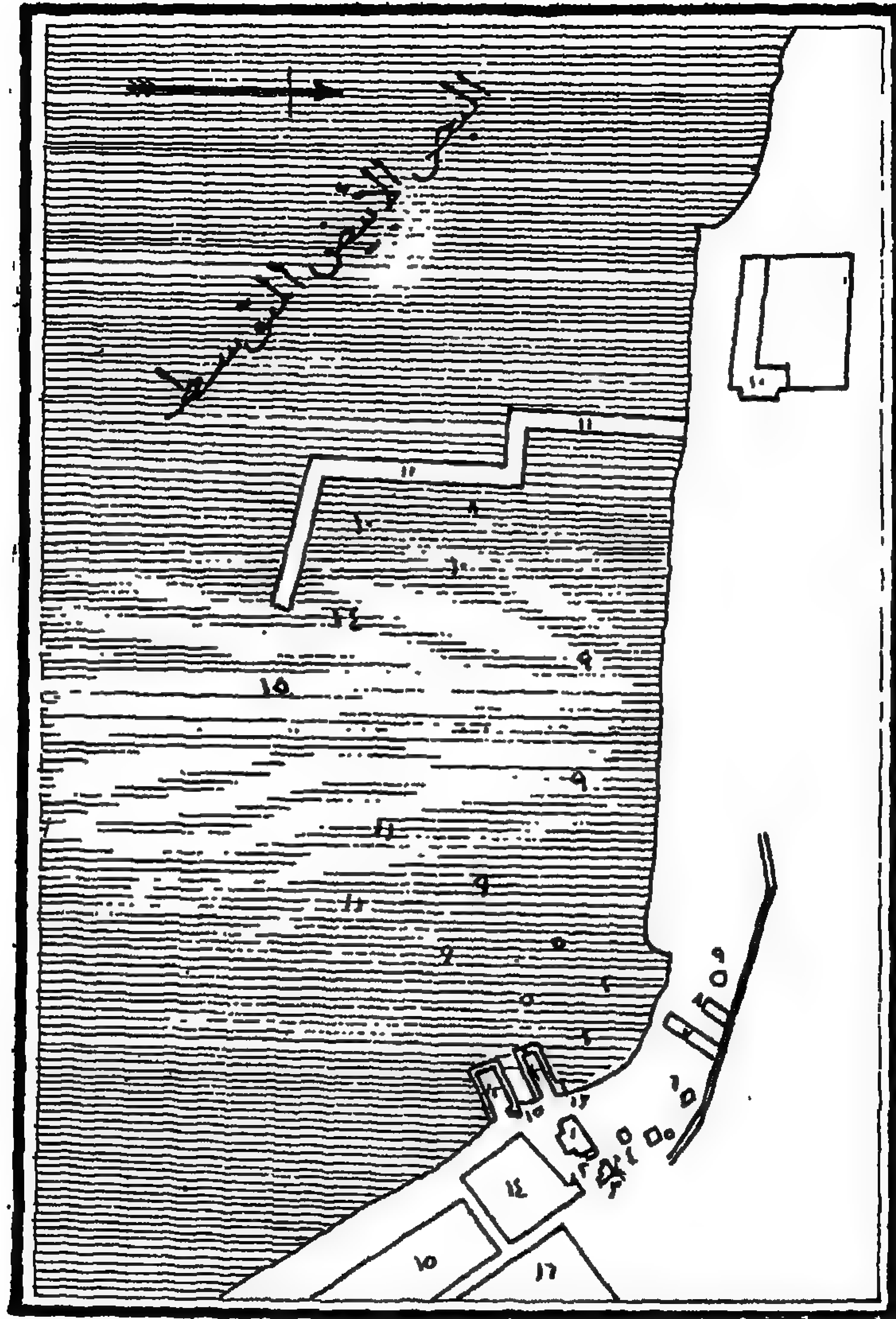
٢ — قهوة عمومية .

٣ — دكان (محل) .

٤ — مسجد .

---

(١٣٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ٣٥٦ .
(١٣٦) المرجع السابق ، جـ٧ ص ٥٠ .
(١٣٧) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٢٥٧ .



(شـكل ١)

ترتيب أقسام ترسانة الاسكندرية
بحسب تصميم سنة ١٨٢٩

٥ ــ ورشة البنـــاء .

٦ ــ أرضية مستعملة لانشاء السفن .

٧ ــ مظلة من الخشب لآلات الحدادة .

٨ ــ مظلة من الخشب لصناعة البراميل .

٩ ــ مســـجد .

١٠ ــ مخازن ودكان للزجاج .

١١ ــ الرصيف القــديم .

١٢ ــ رصيف من الخشب للنزول من السفن .

١٣ ــ مكاتب مستخدمى الجمارك .

١٤ ــ مخازن عمومية .

١٥ ــ مخـــازن خصوصــــية .

١٦ ــ جزء من مدينة الاسكندرية .

ولكن محمد على لم يوافق على هذا المشروع ، ووافق على المشروع الثانى (حسب المرفق) بتاريخ ٩ يونيو عام ١٨٢٩ ، وبدأ فى حفر الأساسات لمشروع الترسانة الجديدة . وقد استمرت عملية البناء والانشاءات فيها الى عام ١٨٣١م والتى تتكون من احدى وأربعين هى كالآتى :

١ ــ مدخل الترسانة ، وسيكون بعد انتهاء العمل فى غرة ٢٤ .

٢ ــ قواعد مائلة ومبنية بالحجر لانشاء السفن عليها .

٣ ــ قواعد مائلة ومبنية بالحجر لانشاء الفرقاطات والسفن الصغيرة .

٤ ــ ورشة مد الزوارق وغرف قوالب السفن ونماذجها .

٥ ــ ورشة السيارات والقلاع (١٣٨)

---

(١٣٨) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٣٠٤ بتاريخ ٢ ذى القعدة عام ١٢٢٤هـ. من الجناب العالى الى محافظ رشيد . وكانت تحت ادارة الاسطى فرانجســتو (فرانشيستو) المالطى وهو الذى وكل اليه ايضـــا الاشراف على تنظيم تلك الصناعة بمدينة رشيد .

٦ ــ ورش البكرات والخراطة .

٧ ــ مكان أدوات السفن وأطقمها .

٨ ــ محل ابرام الحبال .

وبالدور الأول مكاتب الادارة ومدارس مختلفة .

٩ ــ ورشة البراميل ودقات السفن وآلات رفع وجذب الأثقال .

١٠ ــ ورشة الآلات البحرية والمعادن والصفيح والرصاص والنجارة .

١١ ــ المخــزن العمومى .

١٢ ــ الادارة الهندســية .

١٣ ــ ادارة الميـنــاء .

١٤ ــ ورشة الحدادة الكبرى .

١٥ ــ معمل المزاليج والبرادة .

١٦ ــ المســبك .

١٧ ــ ورشة حدادة الأحواض .

١٨ ــ ورشة اشتغال ترميم السفن فى الأحواض .

١٩ ــ ورشة نجارة العمارات والثقب والجلفطة .

٢٠ ــ موضــعا للحــوض .

٢١ ــ مكانة اذابة الزفت والقطران .

٢٢ ــ ليمــــان .

٢٣ ــ ثكنــة .

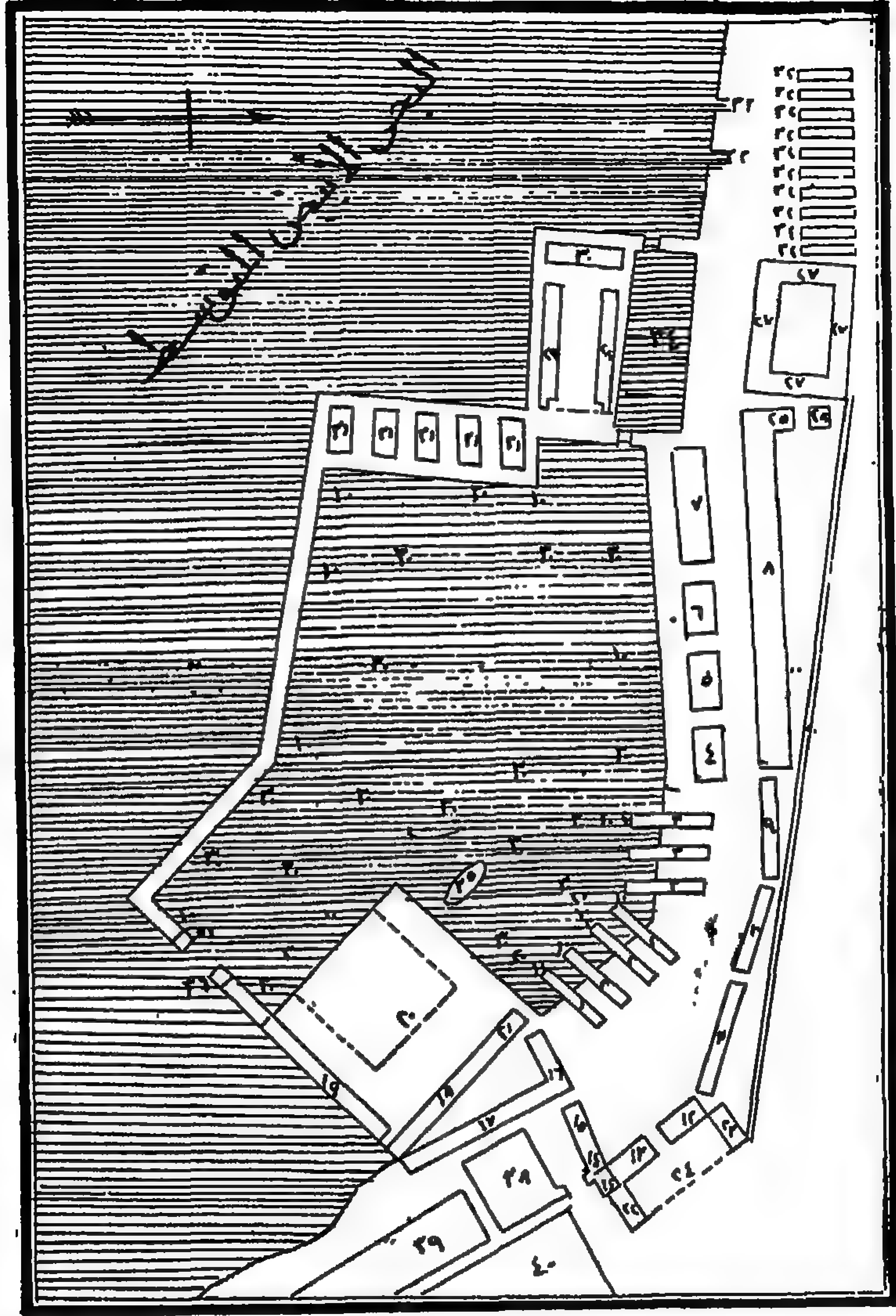
٢٤ ــ صــحن المدخل الأصلى .

٢٥ ــ آلات ابرام الحبــال (١٣٩) .

٢٦ ــ المخــــازن .

---

(١٣٩) دفتر معية تركى وثيقة رقم ٢٦٩ بتاريخ ١٦ شوال عام ١٢٤٤هـ . من الجناب العالى الى الخواجه بوغوص .



(شـــكل ٢)

تصميم ترسانة الاسكندرية

قدمه المسيو ليفربول دوسريزى يوم٩يونية١٨٢٩ ووافق عليه سمو الوالى

٢٧ — مساكن المديرين والضباط وموظفى الترسانة .

٢٨ — ورش المعادن للمدفعية .

٢٩ — ورش الخشب للمدفعية .

٣٠ — مخزن ادارة المدفعية .

٣١ — مخازن خاصة بالسفن التى لا تنزع سلاحها .

٣٢ — مستودعات لاخشاب السفن .

٣٣ — آلات وسطوح مائلة لسحب الأخشاب .

٣٤ — ترسانة الزوارق .

٣٥ — مكان ترميم الفائض من السفن .

٣٦ — حراس الميناء .

٣٧ — فرقة الحراس .

٣٨ — مخزن الحكومة ومطبعتا الحجر والحروف والمكاتب .

٣٠ — جزء من المدينة يسكنه بعض المستخدمين .

٤٠ — جزء من المدينة وحوانيت .

٤١ — الرصيف المحيط .

انظر (شكل ٢)

وفضلا عن تلك الاقسام ، توجد ورشة للحدادة ومسبك صغير للنحاس (١٤٠) بالاضافة الى مصانع لاشغال الحديد فى رشيد والقاهرة تحت اشراف مهندسين انجليز (١٤١) ، كما أنه توجد أيضا فى الترسانة ورشة للخراطة ، ويوجد فيها قليل من البرادين والنحاسين ، كما توجد بها ورشة ممتازة تصنع فيها ساريات السفن ، وورشة للنجارة ، واخرى لصنع

وكانت آلات ابرام الحبال تحت اشراف الجنرال ليدون الفرنسى .

(١٤٠) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤٨٦ .

(١٤١) دفتر معية تركى ص ٧ بتاريخ ٥ ذى الحجة عام ١٢٥١هـ : من المعية السنية الى مطوش باشا .

القلاع ، ومستودعات لما يستخدم فى الاقسام المتعددة من مختلف الأدوات كما أن هناك مصنعا للحبال ، وتصنع فى الدار ملابس البحارة كذلك ، اما الأحذية والطرابيش فتقوم بصنعا مصانع أخرى كما عرفنا سابقا .

أما الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، فقد كان محمد على يدرك ضرورة توفير الأخشاب فى الوقت المناسب ، وبالتالى يعمل على توفير نفقات الشحن على السفن الأجنبية ، كما أنه حصل على اذن من حكومة الآستانة بقطع الأخشاب من الأناضول (١٤٢) ، وعهد بذلك الى طائفة من العمال والصناع برئاسة كل من الحاج حسن بك كبير نجارى الترسانة والسيد أحمد أحمد أحد عمالها (١٤٣) .

وكانت الأخشاب التى ترد من جهات انطاكية من النوع العريض الذى يصلح لانشاء المراكب الكبيرة ، ولذا نجد ان هذه الأخشاب استخدمت أيضا فى انشاء السفن التجارية من نوع القرويت (١٤٤) .

كما أنه كان لا يعتمد على مصدر واحد للأخشاب ، فقد استولى على مواطن الخشب فى سوريا وكليكيا ، وهى من أهم العوامل التى عجلت بوقوع الحرب الشامية الأولى ، بالاضافة الى أنه اتجه الى ليفورنه وانجلترا وفرنسا (١٤٥) كما أنه كان يرسل العمال للاشراف على قطع الأخشاب ، بالاضافة الى ذلك كان يعين فى تلك الجهات وكلاء ويعطيهم المال اللازم تحت

---

(١٤٢) دفتر معية تركى ٣٩ وثيقة رقم ٢٥٨ بتاريخ ١٢ شوال عام ١٢٤٤هـ : من الباب العالى الى الخواجه بوغوص .
(١٤٣) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٤٠٩ .
(١٤٤) دفتر رقم ٢٦ معية تركى وثيقة رقم ٢٩٨ بتاريخ ١٤ شوال عام ١٢٤٣هـ : أمر كريم الى مطوش بك .
(١٤٥) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ١٤١ .

تصرفهم لقطع الأخشاب المطلوبة واعدادها للشحن (١٤٦) .

ولكن بالرغم من هذا الاهتمام والعناية باختيار أنواع الأخشاب ، فان الأخشاب التى ترد من بلاد الأناضول والكرمان ، وبلاد ايطاليا كلها من الانواع الجيدة ولكنه غير مستوف للشروط المطلوبة ، فقد كانت السفن التى تصنع منه سرعان ما يصيبها العطب وتصبح فى حاجة الى الاصلاح والترميم (١٤٧) .

العقبات التى واجهت المشروع :

لم يكن الطريق سهلا هينا فى سبيل انشاء ترسانة بحرية ، سواء كان ذلك بالنسبة لمحمد على أم سريزى ، فقد واجهتهم الكثير من المشاكل والعقبات ، وأدى ذلك الى تعطل العمل عدة مرات فى الترسانة وذلك بسبب الظروف الصحية ، فقد انتشر الطاعون عام ١٨٣٥م وأدى الى كثرة عدد الوفيات فى الترسانة مما ترتب عليه تعطيل العمل عدة مرات (١٤٨) . بالاضافة الى ذلك كان التجار والسماسرة الأوربيين يذيعون عن سريزى الأحاديث المفتراه ، ما لا حصر له ونصه بما يروق لهم اختراعه من التهم الشائنة ضده (١٤٩) ، ولم ينظر محمد على الى هذه الوشايات (١٥٠) كما

---

(١٤٦) دفتر ٤١ معية تركى مسلسل ١١٢ بتاريخ أول رمضان ١٢٤٦هـ : من الباب العالى الى مصطفى ناظر الاخشاب .
(١٤٧) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ٢ ، ص ٤٦ .
(١٤٨) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ١٤٣ .
(١٤٩) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٣٦٤ .
(١٥٠) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٤١١ .
(١٥١) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، تعريب محمد مسعود جـ٢ ، ص ٣٦٤ .

انتهز الأتراك الفرصة ووضعوا العراقيل أمام سريزى ، ودبرت ضـــده المؤامرات ، كما أدى استقدام العمال الأوربيين لتعليم العمال المصريين الى ازعاج البيوت التجـارية الاجنبية ، التى كانت قبل ذلك تقوم بعملية شراء السفن ، واتصلوا بالعمال الاوربيين وحرضوهم على الثورة ضده ، وقامت فعلا بعض الثورات ضده فى بعض الورش ، بل تحول أكثر من ذلك الى اتلاف احدى السفن قبل نزولها الى البحر وذلك بقطع احبالها (١٥١) ، ولكنه قابل دسائسهم بجنان ثابت وأرادة قوية ، فكان يعالج ذلك بحكمة ، واهتم بمنع السرقات التى كانت تحدث وحسم ما يقـع من الشـقاق بين العمال المصريين والاوربيين ، ومعاقبة المقصرين فى أعمالهم ، وكان يتحمل المشاق فى سبيل تعليم العمال المصريين حتى اذا علم أنهم حذقوا الصنعة اسـتغنى عن الاوربيين ، وساعده على ذلك امتثالهم وانكبابهم على العمل (١٥٢) .

ولم يكتف التجار الأوربيين بذلك ، بل أنهم حاولوا ـ بشتى الطرق ـ صرف محمد على عن مشروعه لبناء السفن بالاسكندرية ، وذلك خوفا على مصالحهم من الضياع ، ولكنه لم يلتفت اليهم ، بل انه انشأ مجلسا خاصا لشراء لوازم السفن ، وجعل رئاسته الى سريزى (١٥٣) .

كما أن دسائس التجار الأوربيين لم تنته الى هذا الحد بل انهم كانوا يوردون بعض الأصناف التى تدخل فى صناعة السفن مثل الأخشاب والحديد والنحاس ، أما أن تورد غالية الثمن أو رديئة الصنف (١٥٤) .

ويلاحظ أن طلبات سريزى كلها تجاب بدون رقيب ، ولذلك كان محمد على يراجع طلبـاته التى يريدها لصـنع السـفن سرا مع ناظر البحرية

---

(١٥٢) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسـعود ، جـ٢ ، ص ٣٦٤ .
(١٥٣) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ٢ ، ص٤٦ .
(١٥٤) جميل خانكى : تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٦٦ .

وبيسون بك (١٥٥) وبعد مراجعتها يصدر أوامره لتجاب له بسرعة فائقة (١٥٦) .

وازاء هذه العقبات والعراقيل والمعوقات طلب سريزى بك من بوغوص بك أن يرفع استقالته الى محمد على ، ولكنه كان يقدر أمانته ، وعهد اليه بأعمال أخرى ، ومع ذلك أصر على الاستقالة ، واضطر محمد على لقبولها فى ٢ فبراير عام ١٨٣٥م (١٥٧) ، وعهد الى المسيو هنرى وكان فى عمله ماهرا ولكن لم يكن يصلح لادارة قسم بأكمله ، وقد عاد الى فرنسا فى أوائل عام ١٨٣٧م ، وخلفه محمد أفندى وهو تركى وتعلم الهندسة وبناء السفن فى احدى دور الصناعة الحكومية بانجلترا ، ولكن لم يعط له الفرصة لاظهار مواهبه ثم عهد الى لطيف بك ، وبرغم من انه لم يكن لديه الخبرة فى بناء السفن الا انه استطاع أن ينظم الترسانة (١٥٨) .

ولم يكتف محمد على بانشاء ترسانات داخل القطر المصرى بل انه شيد بالسودان ترسانة كبيرة بالخرطوم تشمل مسبكا للحديد ومعملا للنجارة وبنيت فيها السفن النيلية التى أخذت تنقل التجارة والمتاجر على النيل (١٥٩) وكان يتابع بنفسه انشاء هذه المراكب والجهات التى تصل اليها (١٦٠) .

---

(١٥٥) دفتر ٤٥ معية تركى ص ٦٣ بتاريخ ١٧ رجب عام ١٢٥٠هـ : أمر صادر من المعية السنية الى مطوش باشا .
(١٥٦) دفتر ٤٥ معية تركى ص ٦٤ بتاريخ ٢٤ رجب عام ١٢٥٠هـ : أمر صادر من المعية الى مطوش باشا .
(١٥٧) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ١٤٣ .
(١٥٨) المرجع السابق : ص ٤٨٧ .
(١٥٩) جميل خانكى : تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٥٧ .
(١٦٠) محفظة رقم ٤ معية تركى ورقة ١٢٠ بتاريخ ١٥ شوال عام ١٢٥١هـ : أمر من المعية الى مطوش باشا .

الأحواض الجافة :

على أن محمد على لم يفته أن يعنى بانشاء الأحواض اللازمة لترميم السفن واصلاحها بالاسكندرية ، وكان سريزى قد قدم اليه قبل سفره مشروعا بانشاء حوضين ولكن هذه الاعمال كانت فى حاجة الى المهندسين البارعين ، وقد أصدر محمد على أوامره الى مطوش باشا ناظر البحرية بجمع مهندسى الترسانة للمعاونة فى العمل واتخاذ أقرب الطرق لاتمام العمل فى أقصر مدة ممكنة (١٦١) ، كما أصدر أوامره الى شساكر أفندى بالشروع فى العمل ولكنه فصل من الخدمة (١٦٢) ، ولكن أرسل محمد على « هنرى » الى طولون لبحث النظام المتبع فى الموانىء الفرنسية ، وأعطته الحكومة الفرنسية التسهيلات اللازمة ، وأوفدت اليه موجيل عام ١٨٣٨م ، وبدأ العمل فى بناء الحوض الا أن العمل قد توقف بسبب الحرب السورية الثانية، ولم يتم بناء الحوض الا فى عام ١٨٤٤م واشترك فى بنائه المهندسان المصريان محمد مظهر ومصطفى بهجت (١٦٣) .

وفى أثناء بناء الحوض ظهر أن عدد العمال المخصصين لهذا العمل غير كاف لاتمامه بالسرعة التى يرغب فيها محمد على ، ولذلك أصدر أوامره بتشغيل أفراد الغليون رقم ٥ فى عملية انشاء هذا الحوض ، وأوصى بترتيب أفراد الغليونات الأخرى لاتمام هذا العمل (١٦٤) .

وكان محمد على يهتم أشد الاهتمام بعدم حدوث أى تعطيل فى بناء

---

(١٦١) دفتر ٧٦ معية تركى ص ١٠ بتاريخ ٢٤ ذى الحجة عام ١٢٥١هـ : أمر من المعية الى مطوش باشا .

(١٦٢) محمد فؤاد شكرى " بناء دولة مصر محمد على ص ٤٨٨ .

(١٦٣) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ : ص ٣٨٠ .

(١٦٤) دفتر معية تركى ، ص ١٠ ، بتاريخ ٢٤ ذى الحجة عام ١٢٥١هـ : أمر من المعية الى مطوش باشا .

للحوض المذكور ، وأن يراعى أن يكون متين البناء وأصدر أوامره الى ناظر المبانى بهذا الخصوص (١٦٥) .

وقد صار العمل على انشاء هذا الحوض بهمة وعزيمة صادقتين ، وأستحضرت الأخشاب والمواد اللازمة له ، وكذلك الآلات البخارية التى استعان بها لتفريغ الماء من الحوض ، وركبت فى المكان المعد لها وقامت الكراكات بحفر القاع كما وضعت الأوتاد بواسطة الآلات وقد تم انجاز هذا العمل بسرعة رغم صعوبته البالغة (١٦٦) .

عمال الترسانة واجورهم :

أما عن العمال المصريين واجورهم فى الترسانة ، فان محمد على عندما بدأ العمل فى الترسانة ، كان عدد العمال والصناع بها غير كاف لهذه المهمة العاجلة ، ولذلك فقد أصدر أوامره ، بجمع العديد من العمال والصناع من سائر المدن والسواحل المصرية (١٦٧) ، وكان يطلب أيضا تخصصات معينة مثال ذلك عندما طلب من محافظ دمياط ستة وسبعين عاملا فى (قلفطة السفن) العثمانية والمصرية التى كانت تطارد القرصان فى البحر المتوسط (١٦٨) ، كما أنه كان أحيانا يطلب العمال بالاسم ، نظرا لما تخصصوا به فى فن وخبرة ومهارة معينة ، ولذلك فقد كان يصدر أوامره الى محافظ دمياط بارسال الحاج على غنيم الاسكندرانى وسالم بن درويش وهما من

---

(١٦٥) دفتر معية تركى ص ٧ بتاريخ ٩ ذى الحجة عام ١٢٥١هـ : أمر من المعية السنية الى مطوش باشا .

(١٦٦) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٣٨٠ — ٣٨٣ .

(١٦٧) المعية السنية دفتر ٧ تحت رقم ٢٤٤ بتاريخ ٢٩ رمضان عام ١٢٣٦هـ : من محمد على الى الصدر الأعظم بالآستانة ، من محمد على الى الافندى قبوكتخدا بالآستانة .

(١٦٨) المعية السنية دفتر رقم ٩ وثيقة ٥٠٥ بتاريخ ٣ شعبان عام ١٢٣٣هـ : من الجناب العالى الى محافظ دمياط .

العمال الممتازين فى أعمال القلفطة بالاضافة الى أنه كان ينبه بضرورة حضور العمال ومعهم آلاتهم للعمل (١٦٩) ، بالاضافة الى ذلك فقد طلب مائة عامل من مصر القديمة ، وبولاق من عمال القلفاط ، وذلك لسد الشقوق بالسفن ، وطلب أيضـا أربعين فردا من النجارين على أن يكون من بينهم مسـعود الجعرانى ، وحميـدة زلطـه ، ومحمد الطحان ، ودرويش الطحان وكانوا مشـهورين بفن النجارة ، وخبرتهم الطويلة فى هذا العمل ، وطلب سرعة ارسالهم الى الاسكندرية (١٧٠) .

وكان يستغل الحبال القديمة فى أعمال القلفطة ، وذلك بتفكيك فتلها وتحليلها وارجاعها الى أصلها (١٧١) ، ولم يأل جهـدا فى تنشـيط العمل وتشجيع العمال ، فكان كثيرا ما يحضر بنفسه الى دار الصناعة ، ويستحث العمال على العمل ، ويعطيهم المثل فى الجد والمثابرة ، كما انه نظم الورش اللازمة للتعليم ، وانشأ المدارس الصناعية والحربية ، وجمع لها التـلاميذ الذين تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والعشرين ، وكانوا أصحاء الجسم ، ويعرفون القراءة والكتابة (١٧٢) ، وكانوا يتعلمون فى هذه المدارس فن بناء السفن والعلوم المتصلة به ، كما انهم اشرفوا على بناء السفن الحربية فى عام ١٨٣٣م تحت اشراف سريزى (١٧٣) . ومنهـم من تعـلم الخـدمة فى الأسطول ومنهم من كان يعد للوظائف الادارية (١٧٤) ، وأرسل البعثات الى

---

(١٦٩) المعية السنية دفتر ١١ وثيقة رقم ٢٨٧ بتاريخ ٣ جمادى الاولى عام ١٢٣٨هـ : مكاتبة محررة الى محافظ دمياط .

(١٧٠) المعية السنية دفتر ١١ وثيقة رقم ٣٠٥ بتاريخ ٧ جمادى الاولى عام ١٢٣٨هـ : مكاتبة محررة الى الاغا ناظر السفن .

(١٧١) المعية السنية دفتر رقم ٢٦ وثيقة رقم ٦٤ بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة عام ١٢٤٢ هـ : من الديوان الخـديوى الى وكيل ناظـر الترسانات مصطفى أفندى .

(١٧٢) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٢٤٨ .

173) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 405.

174) Herman Muskau, Puckler, Egypt and M. Ali, P.P. 54-55.

انجلترا لتعلم فن نجارة بناء السفن (١٧٥) وأرسل العديد من البعثات الى ايطاليا وفرنسا ، لتعلم فنون بنان السفن والفنون البحرية ، ولم يكتف بذلك، بل أنشأ مدارس على ظهر بعض السفن يتعلمون فيها الصناعة وبعد ذلك يعينهم فى مصانع الحكومة (١٧٦) .

كما اتجه الى ارسال عدد من الفلاحين المصريين للتدريب على انشاء السفن فى الخارج (١٧٧) ولكن يبدو أن هذا الاجراء لم ينفذ لأنه استعاض عنه بتعليم الجنود البحريين صناعة النجارة واستخدامهم فى انشاء القوارب والمراكب واعمال النجارة الأخرى (١٧٨) .

وقد خصص لهذا الغرض الف جندى من جنود البحرية ، وارسل منهم مائتين للعمل بالنجارة بترسانة بولاق ، ومائة آخرين الى ترسانة دمياط وستين الى ترسانة رشيد ، وارسل الباقى الى ترسانة الاسكندرية ليتعلموا فيها تلك الصناعة (١٧٩) .

ويلاحظ أن الحاج عمر هو الذى كان يشرف على المناصب الرسمية فى تلك الفترة ، وكان مصطفى مطوش ناظرا للسفن بالاسكندرية بصفة عامة وبلال أغا ناظرا للسفن الصغيرة (١٨٠) .

---

(١٧٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ٢ ص ٢٥٦ .

(١٧٦) دفتر ٢٢ مدارس عربى رقم ٩٩٧ الوثيقة رقم ٨٢ بتاريخ ٤ ربيع الاول عام ١٢٤٢هـ : صادر من ديوان المدارس .

(١٧٧) دفتر رقم ٢٦ معية تركى وثيقة رقم ٣٦ بتاريخ ٥ جمادى الاولى عام ١٢٤٢هـ : أمر كريم الى مطوش باشا .

(١٧٨) دفتر رقم ٢٦ معية تركى وثيقة رقم ٤٠ بتاريخ ١٢ جمادى الاولى عام ١٢٤٢هـ : أمر كريم الى مطوش باشا .

(١٧٩) دفتر ٢١ معية تركى وثيقة رقم ٦٨٤ بتاريخ ٢ رجب عام ١٢٤٢هـ: من الجناب العالى الى مطوش باشا ناظر السفن .

(١٨٠) دفتر رقم ٢١ معية تركى وثيقة رقم ٧٢٠ بتاريخ ١٦ رجب عام ١٢٤٢هـ : من الجناب العالى الى اغا ناظر الجروم ومطوش اغا ناظر السفن .

وقد تفوق العمال المصريون بطريقة ادهشت الخبراء الأجانب الذين زاروا الترسانة فى ذلك الوقت ، وشهدوا لهم بكفاءتهم ومهارتهم وحسن استعدادهم وقد قال عنهم كلوت بك (١٨١) :

« ان العمال المصريين هم الذين ينجزون أعمال انشاء السفن وقد اظهروا فيها من الأهلية والدراية ما يوجب الدهش ، وكان يشتغل منهم بالترسانة من ستة آلاف الى ثمانية آلاف عامل ، أما العمال الأتراك فلم يبد منهم ما يستوجب ارتياح المسيو سريزى ورضاه عنهم لأنهم كانوا من الازدهاء بنفوسهم والنزوع الى العصيان والتمرد بما يحول دون صلاحهم لاجادة ما ينـاط بهم من الاعمال فكانوا على هذا الوجه على نقيض من المصريين الذين كانوا يدركون — بسهولة — سر الصنعة ، مما كان ينجز أملهم من الأعمال ويتفهمون حقائقها ، بما عهد فيهم من الذكاء ودماثة الاخلاق والامتثال للرؤساء ، هذا فضلا عن انهم فطروا فى فهم ما يعجم عليهم ، فهمه على تحكيم النظر اكثر منه على الذكاء والعقل حتى ان الرسم البسيط يرشدهم الى فهم حقائق الأشياء بمجرد النظر اليه قبل امعان الفكر والروية فيه ، الا ان المصرى مع هذا سريع النسيان لما يتعلمه فضلا عن انه اذا بلغ من التعلم درجة ما لا يرغب فى تجاوزها الى ما بعدها وهذا النقص يحول بلا ريب دون سعيه الى الكمال » .

« وهم أميل الى مزاولة الصناعات التى أساسها تقليد الاشكال والنماذج الثابتة ، ومن ثم تراهم يجيدون صناعة البكر وقماش الأشرعة والحبال والبراميل والنجارة الدقيقة ، ويحسنون ثقب الثقوب وقلفطة المراكب ، وانما لا يمكن الاعتماد عليهم فيها اذا مست الحاجة الى تغيير

---

(١٨١) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩ .

الاحجام ، واستنباط أشكال تخالف ما عهدوه عليه من المثـــل ، كمـــا يتفق أحيانا فى مصانع الآلات والحدادة والسبك ما لم يراقبهم أثناء أدائهم إياها الرؤساء الأوربيين ، فانهم فى هذه الحالة يقومون بما هو مطلوب منهم على خير ما يـــرام ».

« وترسانة الاسكندرية ـ التى يصنع فيها كل شىء بأيدى المصريين تناظر لهذا السبب جميع ترسانات الدنيا ـ دليل ناطق على مبلغ ما يمكن الاســـتفادة به من العمـــال المصريين ، ويقينى أن عامة الشـــعب فى أوربا لا يستطيعون أن يؤدوا من جلائل الاعمال ما يؤديه العمال المصريون مثـــل الوقت القصير الذى يقومون بها فيه » .

أما الماريشال مارمون فقد قال عن كفاءة العمال المصريين :

« قد رأيت المصانع التى تصنع فيها الآلات الخاصة بالملاحة مثـــل البوصلة وآلات قيـــاس المسافات وغيرها ، وشـــاهدت الصـــناع الذين يصنعونها بدقة عجيبة وهم لم يقضوا فى تعلمهم غير عامين ، فكان عجبى من ذلك عظيما ، لأن العامل الاوربى من أى جنسية كان لا يمكن أن يصـــل الى هذه الدرجة المدهشة خصوصا اذا أخذ من الفلاحين كما هو الحـــال مع هؤلاء العمال المصريين (١٨٢) » .

ثم يضـــيف قائـــلا :

« وجدت عمالا ماهرين فى الصناعات الخاصة بالاعمال البحرية ، وكلهم مصريون ، وكان كل ما وقع عليه نظرى الى هذه النتائج العظيمة وقد تمت بهذه السرعة الفائقة فى بلد ليس فيه خشـــب ولا حـــديد ، ولا نحـــاس ،

---

(١٨٢) عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر « الجيش المصرى البحرى والبرى » ص ٧٩ .

ولا صناع ، ولا ملاحون ، ولا ضباط بحريون ، ولا أى مادة من المواد التى يمكن منها اعداد أسطول ، سلمت معى بأن التاريخ لم يذكر حادثة غريبة مثل هذه فى أى عصر من العصور » .

وقال بورنج عن مهارة العمال المصريين (١٨٣) :

« على الرغم من أن العمال الوطنيين لا يمكن الموازنة بينهم وبين زملائهم الأوربيين ، الا أننا اذا راعينا المدى الذى بلغوه من حيث التربية والتعليم أدركنا انهم يأتون بالعجائب ، وبخاصة من يشتغلون منهم ببناء السفن ، فهؤلاء اقرب الى العمال الأوربيين ممن يعملون فى نواحى الصناعة الأخرى » .

اما عن أجور العمال فى ترسانة الاسكندرية ، فالنجارون من الجنود ٢٠٠ اجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم ، بما فى ذلك الغذاء والكساء .

وصغار النجارين من الجنود ٣٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم ، بما فى ذلك الغذاء والكساء .

وصغار النجارين من الأوربيين أجرة كل منهم ١٥ قرشا فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

وصغار النجارين من الأوربيين «البدنجية» لثقب الأخشاب من العسكريين ٣٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

القلافطية ٤٥٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

صانعو الحبال ٢٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

---

(١٨٣) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٤٨٠ .

الحدادون ٢٥٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

البرادون ٦٥ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

الخراطون وصانعو النظارات وصانعو الأدوات البحرية والسمكرية وصانعو المراجل ١٠٠ ، أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

النحاسون ١٠٠ اجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

صانعو القلاع ١٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

صانعو البكرات لرفع الاثقال ١٠٠ اجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم بما فى ذلك الغذاء والكساء .

عمال مهمات السفن الحربية ١٠٠ اجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم .

الخياطون ١٠٠ أجرة كل منهم ٥ تورش فى اليوم .

صانعو الاحذية ١٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم .

النقاشون والسباكون ١٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم .

صانعو البراميل ١٠٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم .

النشارون ١٥٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم .

حراس وسقاءون لآلات اطفاء الحريق ١٠٠ أجرة كل منهم ٤ قروش فى اليوم .

الحمالون ٢٨٠ أجرة كل منهم ٣ قروش فى اليوم .

سجناء الليمان «ليمناجية» يستخدمون فى مختلف الأعمال ٢٠٠٠ ، أجرة كل منهم ٤ قروش فى اليوم .

طهاة للعمال ٥٠ أجرة كل منهم ٥ قروش فى اليوم .
الكتبة الاقباط ٥٠٠ أجرة كل منهم ٦٠٠ قرش فى الشهر .
المتعهدون وما اليهم ١٠٠ أجرة كل منهم ٥٠ قرشا فى الشهر .
عمـــال الكراكات بما فيهم الموظفون ٥٠ أجرة كل منهم ٤ قروش فى اليـــوم .

الموظفون المحالون الى المعـــاش وغير اللائقين بالخدمة ٣٠ أجرة كل منهم ٤٠٠ قرش فى الشهر عدا الجراية .

طبيب ١ أجرة ١٠٠ قرش فى لشهر عدا الجراية .

جراحون من (ابناء العرب) ٤ أجرة كل منهم ٥٠٠ قرش فى الشـــهر عدا الجراية .

معلمون أوربيون ٤ أجرة كل منهم ٥٠٠٠ فرنك فى العام عدا الجراية.

معلمون أوربيون من الدرجة الثانية ٤ أجرة كل منهم ٣٠٠٠ فرنك فى العام عدا الجراية .

ببك ١ أجرة ٩٠٠٠ قرش فى الشهر عدا الجراية .
قائمقام ١ أجرة ٣٥٠٠ قرش فى الشهر عدا الجراية .
بمباشى ٢ أجرة كل منهما ٢٥٠٠ قرش فى الشهر عدا الجراية .
صاغ قول أغاسى ٣ أجرة كل منهم ١٥٠٠ قرش فى الشهر عدا الجرايه.
صاغ قول أغاسى ٨ أجرة كل منهم ١٢٥٠ قرش فى الشهر عدا الجراية.
يوزباشى ٢ أجرة كل منهما ٦٠٠ قرش فى الشهر عدا الجراية .

أما عن عدد العمال بالترسانة ، فقد قدرها كلوت بك بعدد يتراوح

ما بين ستة آلاف وثمانية آلاف (١٨٤) ، ويتفق معه فى هذا العدد اسماعيل سرهنك واتفــق على أن ١٦٠٠٠ عامل منهم يشــتغلون بصــناعة انشــاء السفن (١٨٥) ، أما بورنج فيقدر عددهم بحوالى ٥٥٠٠ عامل ، ومائة من الكتبة بينهم ثلاثون من المسيحيين والاقباط (١٨٦) .

هذه هى ترسانة الاسكندرية وغيرها من الترسانات التى أنشأها محمد على وأنشأ الكثير من الصــناعات الحربيــة والبحرية لأجل انشــاء جيش وأسطول قويين ولكن عندما انتهت أزمة الحكم السياسية الكبرى ، وفقد محمد على ممتلكاته فى بلاد العرب والشام وكريت ، كان من المنتظر أن تقل عنايته بالبحرية وبرغم من أنه تنازل عن بسط سيطرته على البحر الأحمر ، بل أنه ظل معتنيا بأسطوله بل لقد كان يريد زيادة ما لديه من سفن تجارية فى ذلك البحر كما كان واضحا على الرغم من قيود الفرمانات . وعمل على العناية بأسطوله ، ودار الصناعة بالاسكندرية ، ولكن الأزمة المالية التى كانت تعانى منها البلاد فى تلك الفترة اضطرته الى أن يحدد نشاطه البحرى واستمر العمل بهــا وكان قواد الاســطول فى ذلك الوقت موظفين فى دار الصناعة مدة اقامة الاسطول (١٨٧) .

وكان رجال الأسطول يتدربون للعمل فى الأعمال المختلفة ، واستمرت عملية انشاء السفن قائمة ، وان كانت قد تحولت من الاتجاه الحــربى الى الاتجاه التجارى ، ولذلك فقد أصدر أوامره الى ديوان البحرية للســماح

---

(١٨٤) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مســعود ، جـ٢ ، ص ٣٧٨ .

(١٨٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ٢ ، ص ٢٤٢ .

(١٨٦) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤٨٠ .

(١٨٧) المرجع السابق ، ص ٤٨١ .

للمهندس «مرجيل» بتشغيل بعض الالات اللازمة لمشروع القناطر الخيرية بالاسكندرية (١٨٨) وانشأ الكثير من السفن البخارية لحمل البريد والركاب بين مصر والآستانة . وانشأ مخازن لحفظ امتعة الركاب ، واصدر أوامره بذلك الى مدير البحرية (١٨٠) . وانشأ شركة لهذا الغرض .

وقد استمر العمل بهذه الشركة ، الا انه فى عهد سعيد باشا أنشأت شركة أخرى على أنقاضها ، وسميت بالشركة المجيدية ، وقد قامت دار للصناعة فى عهد ابراهيم باشا القصيره بنساء ٢٥٠ شسلدية تحمل كل منها مدفعين لحفظ البوغازات والاشابتم (١٩٠) ، ولكن العمل تعطل فيها فى عصر عباس باشا ، وأهملت الشئون البحرية وانحطت الى درجة كبيرة الى أن حدثت حرب القرم عام ١٨٥٣م قد عادت دار الصناعة الى النشاط مرة أخرى وجمع لها العمال والصناع للقيام باعداد السفن التى سترسل لنجدة الدولة العثمانية ولكنه كان نشاطا مؤقتا سرعان ما عاد الاهمال مرة أخرى (١٩١) .

---

(١٨٨) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٥٣٢.
(١٨٩) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٥٣٣ .
(١٩٠) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ٢ ص٢٥٤.
(١٩١) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٦٣ .

الفصل الرابع

الصناعات المدنية فى عهد محمد على

الصناعات المدنية فى عهد محمد على

كان اهتمام محمد على موجها فى المحل الأول الى الصناعات الحربية ، غير أنه لم يهمل الصناعات المدنية ، فقد كان لانشاء بعض الصناعات الخفيفة أمرا لازما بوصفها مكملة للصناعات الحربية ، كما أنه كان يرى فى زيادة الانتاج المحلى وسيلة لتوفير المبالغ الطائلة التى يتطلبها الاستيراد من الخارج ، وخاصة أن الوسطاء الذين عهد اليهم باستيراد السلع كانوا يستغلون حاجته الملحة ويتقاضون أثمانا باهظة ، ولا يتورعون عن الغش والاحتيال . وكان استيراد الأسلحة والسفن يستغرق وقتا طويلا ، وكان يعمل على ضرورة تصنيع البلاد بحيث يسير التوسع الصناعى جنبا الى جنب مع التوسع الزراعى ، وبحيث تصبح الصناعة مصدرا آخر من مصادر الدخل ، يغذى الخزانة بالاموال اللازمة للانفاق على مشروعات الدفاع والتعمير . ولاشك أنه استمد بعض هذه الافكار فى خلال مناقشاته مع أصفيائه أمثال بوكتى قنصل السويد العام فى مصر ، ولاسكاريس التاجر اليونانى ، ودروفتى القنصل الفرنسى .

وفضلا عن ذلك استتبع التوسع الزراعى وزيادة الصادرات انشاء مصانع على الطراز الحديث لتجهيز الحاصلات نظرا لتعذر الاعتماد على المحالج البدائية ومضارب الأرز العتيقة ، ومعاصر الزيوت البالية . ومن ثم أدخلت التحسينات والتجديدات على الصناعات التجهيزية ، كحلج القطن وكبسه باستخدام الآلات الامريكية والانجليزية . كما أدخلت الآلات البخارية فى مضارب الارز ، ومصانع السكر مما نجم عنه وفر كبير فى النفقات . وقد اضطر محمد على الى التوسع فى بناء السفن لنقل المحصولات الى مراكز الاستهلاك ، ومرافىء التصدير (١) .

---

(١) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٣٩ .

وقد أدرك محمد على أنه لا يمكن أن تقوم للصناعة قائمة مالم يقترن انتاج سلع الاستهلاك بانتاج بعض الآلات والمعدات ، وثم كانت المغـــازل والأنوال ــ حتى المعقد منها ــ تصنع محليا . وكثير ما نصح أعوانه بالعمل على زيادة الانتاج المحلى من الآلات . وكان من مظاهر السياسة التجارية أيضا تشجيع بناء السفن . ولقد أراد محمد على من وراء كل ذلك تشجيع الانتاج المحلى ، ولو بتكاليف مرتفعة أملا فى أن يحدث التوسع الصناعى أثره فى خفض ثمن تكلفة الوحدة ، ونمو الصناعات الفرعية (٢) .

ونذكر فيما يلى وصفا لصناعات الجديدة التى أدخلها محمد على التى تتمثـــل فى :

١ ــ حلج القطن وكبسه :

لقـــد كان حلج القطن يتم لدى صـــغار الزراع بقوس المنجد ، وادى كبارهم بآلة بدائية تدار بالأرجل ، وقد كان ما يحلجه العـــامل قبـــل عام ١٨٢٠م بما لا يزيد عن ستة أرطال يوميا من القطن (٣) . وبعد عام ١٨٢٠م اضطر الى أدخال بعض التجديدات على آلات الحليج واستيراد آلات حديثة من الولايات المتحدة الأمريكية (٤) . وقد كانت عملية كبس القطن تتم بالارجل، ولكن محمد على استورد مكابس لكبس القطن من بريطانيا العظمى ، ونتج عن ذلك وفر كبير فى نفقات الانتاج ، ومصاريف النقل (٥) . وقد أنشأ محمد على فى بولاق ستة مكابس ، ويدير كلا منها ثلاثة عمـــال يعبئون فى اليـــوم

---

(٢) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٤٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٤) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القـــرن التاسع عشر ، ص ٢٠٦ .

(٥) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، تعريب محمد بك مســـعود ، جـ٢ ، ص ٢٨٢ .

الواحد من ١٨ الى ٢٠ بالة (٦) .

ويلاحظ أن العامل الذى يحلج القطن عند المزارع كان أجـره حوالى ٥ فرنكات فى اليوم (٧) ، أما أجر العامل الزراعى فى الصعيد فقد كان ما بين ٢٠ ، ٣٠ بارة فى اليو م، أما فى الوجه البحرى فيتراوح بين ثلاثين وأربعين بارة (٨) . وكان يستعلم عن مقـدار ما ينتـج من بذرة القطن التى يمكن استخراجها عن طريق الآلات التى كانت تدار بالخيول (٩) ، بالاضافة الى ذلك كان يصدر أوامره بضرورة الاهتمام بعملية كبس القطن ومعدل انتاجه اليومى ، أما اذا نقص عن هذا المعدل فسوف يعاقب المتسبب فى ذلك (١٠).

٢ ــ تبييض الأرز :

ووجدت مضـارب الأرز فى رشـيد ودميـاط وفوه ، وكانت تـدار بالثيران (١١) . أما مضـارب الارز فى الريرمون فقـد كانت تدار بالبخار . واستطاع أحد الأهالى فى رشيد ان يعـدل فى مضـارب الأرز ، ويقلل من نفقاتها ، فبدلا من استخدام أربعة ثيران استخدم ثوران فقط ، وكافأه محمد على على ذلك (١٢) ، وتوسع محمد على فى استعمال الآلات البخـارية فى

---

(٦) محمد فؤاد شكرى ، وآخرون : بنـاء دولة مصر محمـد على ، ص ٤١٤ .

(٧) قيمة الفرنك = قرش ، وكل ٤٠ بارة = قرشا واحدا .

(٨) محمد فؤاد شـكرى ، وآخرون : بنـاء دولة مصر محمـد على ، ص ٣٢٧ .

(٩) دفتر ٢١ معية تركى وثيقة رقم ٥٤٩ بتاريخ ١٦ ربيع الثانى عام ١٢٤٢هـ : من الجناب العالى الى حبيب أفندى .

(١٠) دفتر ٧٠ معية تركى وثيقة رقم ٢٦٠ بتاريخ ١١ محرم عام ١٢٥٢هـ: من الجناب العالى الى مختار بك .

(١١) محمد فؤاد شكرى ، وآخرون : بنـاء دولة مصر محمـد على ، ص ٣٢٧ .

(١٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤١٤ .

مضارب الارز لما فى ذلك من وفر فى النفقات بالقياس الى الآلات القديمة(١٣). وقد اقترح عليه نجل المهندس جالواى أن يستبدل المضارب القديمة كلهـا بثلاثة مضارب بخارية وقد بدأ محمد على ذلك بانشاء أول مصنع لضرب الارز برشيد عام ١٨٣٣م وبدأ انتاجه (١٤) . وقد استقدم أحد الامريكيين خصيصا لادارة هذا المضرب (١٥) ، وعمل على سرعة انتشار ضرب الارز البلاد ، واصدر الاوامر بانشاء مبيضة للأرز كما انه كان يتابع بنفسه عملية ضرب الأرز ، ويحث الموظفين على بذل اقصى جهد للمحافظة على مستوى الانتاج (١٦) . كما كان يستعلم من حين لآخر عن استلام تشغيل معدات الارز فى رشيد (١٧) . وكان يحدد برامج انتاجية ، لكى تسير عليها مضارب الارز ، ولذلك كان يستعلم عن ذلك من حين لآخر ، وكان أحيانا يعدل من برامج انتاجها ويستفسر عن ذلك (١٨) .

٣ ـ صناعة النيلة :

من المعروف أن حكـومة محمـد على احتكرت النيلة فى عام ١٨١٦م واستدعى لهـا الكثير من الأرمن من جزائر الهنـد الشرقية ، وذلك لتعليم المصريين الطريقة التى تتبع فى أعدادها . وكان من اثر ذلك انشاء مصانع

---

(١٣) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٦٦ .

14) G. Douin, Les Premier Fregates de M. Ali, P. 93.

(١٥) أمين سامى باشـا : تقويم النيل ، وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٣٢٩ .

(١٦) محفظة ٢ ملكية تركى والوثيقة رقم ٢٧٤ بتاريخ ١٥ شعبان عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العالى الى مختار بك .

(١٧) دفتر ١٠ أوامر ص ١١ وثيقة رقم ١٧٩ بتاريخ ١٨ ربيع الثانى عام ١٢٥٢هـ : من السيد أحمـد العزبى سرنجسار الاسـكندرية الى كاشف أفندى وكيل المجلس .

(١٨) محفظة ٢ ملكية تركى ورقة ١١٢ وثيقة ١١٢ بتـاريخ ٢٢ ربيـع الثانى عام ١٢٥٢هـ : من الجناب العالى الى ناظر المجلس .

للنيلة فى شـــبرا وشـــبين ومديرية قليوب وفى العزيزية والشرقية ومنوف وأشمون والمحلة الكبرى ، وبركة السبع والفيوم ويعين لها ناظر (مدير) ، يدفع الاجور ، ويرسل النيلة الى مخزن عام بالقاهرة ، بالاضافة الى بعض معامل النيلة بالوجه القبلى (١٩) . وكان انتاج النيلة من الجودة ، وبخاصة فى قريتى قبالة وأشليم بالغربية والذى كان يستخدم فى صبغ الحرير (٢٠) ، وقد كان يستخدم النساء فى خلط النيلة كما حدث فى معمل النيلة بقنا (٢١) وكان يتابع انتاج النيلة بنفسه ، ويجتمع بنظار معامل النيلة ويتباحث معهم عن الأسباب التى تؤدى الى خفض الانتاج من النيـــلة ، بالرغم من توفر حشيشها والموردة للمعامل . وأنه كان يظن أن ذلك ناشىء أما عن عدم المام صناع النيلة بصناعتها ، وأما أن يكون ذلك ناتج عن سرقتها بعد صنعها . واذا كان السبب الأول ، فيجب باستبدالهم بغيرهم فى صناعتهم أما اذا كان السبب لثانى فيجب اتخاذ الاجراءات لمنع سرقتها ، وكان يطلب كذلك ارسال كشف بيان بمقدار حشيش النيلة الواردة الى معاملهم والمقدار المصـــنوع منها ومقدار نفقاتها (٢٢) .

أما النيلة الخاصة بالصباغة باللون الازرق ، فقد كانت لا تنتج ولذلك تستورد من الخارج (٢٣) . وكان محمد على يعمل دائما على تشجيع هـــذه

---

(١٩) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٢٠ .
(٢٠) دفتر ٧٦٩ ديوان خديوى تركى ص ٨٠ وثيقة ١٩٣ بتاريخ ١٤ محرم عام ١٢٤٦هـ : من مأمور ديوان خديوى الى واحد وعشرين ناظرا من نظار ومأمورى معامل النيلة .
(٢١) دفتر ٧٦٤ ديوان خديوى تركى ص ١٢٤ وثيقة ٣٨٥ بتاريخ ٢٢ محرم عام ١٢٤٦هـ .
(٢٢) دفتر ٧٦٩ ديوان خديوى الى واحـــد وعشرين ناظرا من نظـــار ومأمورى معامل النيلة .
(٢٣) دفتر ٧٦٤ ديوان خديوى ص ١٢٤ وثيقة ٣٨٥ بتاريخ ٢٣ شعبان عام ١٢٤٦هـ .

الصناعة ويصدر أوامره دائما بضرورة استخدامها فى مصنع طرابيش فوه (٢٤) .

ولكن حدث عند خروج الخبراء الذين استقدمهم أن تدهورت جودة الصبغة وعين فرنسى لادارة المعامل لكنه كان عاجزا عن اصلاح الوضع ، واضطر فى عام ١٨٣٥م الى ترك تشغيل معامل النيلة لحسابه لارتفاع تكاليف تشغيلها . وكانت الصبغة غير صالحة للتصدير لعدم نقاوتها وتبقى غالبا دون بيع فى شون الحكومة ، لهذا قرر محمد على أنه من الأفضل أن يترك المعامل ، ليقوم بتشغيلها مشايخ القرى المجاورة ، بشرط أن يسلموه كل ما ينتجونه من نيلة بسعر ثلاثين قرشا للاقة بغض النظر عن الجودة (٢٥).

وقد أدخل نبات الفوه الى مصر عام ١٨٢٥ لتوفير الصباغة المطلوبة لصناعة الطرابيش (٢٦) .

٤ ـ الصناعات الزيتية :

كان استخراج الزيوت فى مصر فى ذلك الوقت يتم فى نطاق ضيق ، وعلى الرغم من انتشار مزارع الزيتون وكبر حجم الثمر الا انه لا يحوى المادة الزيتية (٢٧) وقد احتكر محمد على صناعة الزيوت عام ١٨١٦م وارتفع سعره نتيجة لهذا الاحتكار بل اختفى وجوده فترة من الوقت (٢٨) ، وكما رأينا فان كل منطقة تخصصت فى انتاج نوع معين من الزيوت ، فالوجه

---

(٢٤) محفظة ٢ ملكية تركى الوثيقة رقم ٢٧٤ بتاريخ ١٥ شعبان عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى محمد أفندى وكيل المجلس .

(٢٥) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٢٢ .

(٢٦) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

(٢٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٢٢ .

(٢٨) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ج٤ ، ص ٢٧٦ .

البحرى متخصص فى انتاج الزيوت من بذرة الكتان والسمسم ، أما الوجه القبلى فكان متخصص فى انتاج الزيت من الخس (٢٩) . كما أن حكومة محمد على كانت تستفسر وتتابع انتاج الزيت وتحدد ثمنه (٣٠) . وكان يتابع مل يعمل على توفير وارسال بذرة الكتان الى معـــاصر الزيوت (٣١) . وكان يعفى أصدقاءه الذين يملكون معاصر الزيوت من الرسوم ، ويحدد ثمن قنطار زيت الزيتون بمائة وثلاثين قرشا (٣٢) . بالاضافة الى أنه كان يعمل على توفير العمال الذين لهم دراية وخبرة بعصر الزيوت ، ويصدر أوامره من حين لآخر بهذا الخصوص (٣٣) كما كان يتابع درجة جودة الزيت من وقت لآخر وكان بستفسر عن سبب رداءته (٣٤) .

وكان يوجد بالوجه البحرى ١٢٠ معصرة لبذرة الكتان ، وبالقاهرة ٤٠ معصرة لزيت القرطم ، غير أن استعمال الآلات فى معـــاصر الزيوت لم يلق نجـــاحا يذكر (٣٥) .

---

(٢٩) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، تعريب محمد مســـعود ، جـ٢ ، ص ٤٥١ .

(٣٠) دفتر ٢١ معية تركى ص ١٠٩ وثيقة رقم ٥٣٤ بتاريخ ٩ ربيع الاول عام ١٢٤٢هـ . من المعية الى حبيب أفندى .

(٣١) دفتر ١/١٠ أوامر ص ٥٨ وثيقة رقم ٢٢٨ بتـــاريخ ٢٧ ذى الحجة عام ١٢٤٥هـ .

(٣٢) دفتر ٧٦٩ معية تركى وثيقـــة رقم ٣٣٠ بتـــاريخ ٢٦ محـــرم عام ١٢٤٦هـ . من مأمور ديوان خديوى الى حسن أغا مأمور الفيوم .

(٣٣) دفتر ١/١٠ أوامر معية تركى ، وثيقة رقم ١١٣ ص ٤٥ بتاريخ ١٦ ربيـــع الاول عام ١٢٥٢هـ .

(٣٤) دفتر ٧٦٦ ديوان خديوى تركى ص ١٣٥ وثيقة ٢٤٠ بتـــاريخ ٢٦ شوال عام ١٢٥٢هـ . من المجلس العالى الى الديوان الخديوى .

(٣٥) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ٥٤ .

٥ ـ صناعة الغزل والنسيج :

توسعت حكومة محمد على توسعا كبيرا فى صناعة المنسوجات بأنواعها وكانت صناعة المنسوجات القطنية أهم الصناعات المدنيـة من حيث عـدد العمال ومقدار الانتاج ومدى استعمال الآلات ، ولذلك نجد أنه فى عام ١٨٣٧م بلغ عدد فابريقات الغزل والنسيج ٢٩ فابريقة موزعة على مختلف جهـات القطر ، ويعمل بها ٣٠,٠٠٠ الف عامل ، وكان الانتاج ضخما اذ بلغ ما تم صنعه عام ١٨٣٧م لسد حاجة الجيش مثلا ٦,٧٤٥,٦٦٩ ثوبا من الأقمشة القطنية (٣٦) ، وكان يستخدم النسـاء فى صناعة الغزل ويأذن بسرعة توريدهن الى الفابريقـات (٣٧) ، كمـا كان على توريد الغزل لفابريقـات النسيج (٣٨) ، ويخزن القطن حتى يتم انتاج القطن الجديد ، وحتى لاتتعطل المصانع بالاضافة الى ذلك كان يتابع ويستفسر دائما عن تكلفة قنطار القطن المغزول وعدد أيام غزله وأجور عماله (٣٩) .

وتوسع محمد على فى انشاء الكثير من مصانع الغزل والنسيج لسـد حاجة الجيش والشعب معا والعمل على تصـدير الفائض الى الخـارج . وسـوف نتحدث عن بعض الفابريقات التى انشأها ، وانتاجهـا ، واجور العمال فيها وغير ذلك .

(أ) فابريقة الخرنفش :

احتكر محمد على صناعة النسيج عام ١٨١٥م ، واصبح جميع العمال

---

(٣٦) على لطفى ، التطور الاقتصادى فى أوربا ومصر ، ص ٢٤٤ .

(٣٧) دفتر معية تركى ص ١٠ الوثيقـة رقم ٢٥ بتـاريخ ٩ رجب عام ١٢٤٩هـ . أمر كريم الى نظار الاقاليم بالوجه البحرى .

(٣٨) دفتر ٢٥ أوامر ، ص ١١٦ وثيقة رقم ١٩٣ بتاريخ ١٥ شعبان عام ١٢٤٩هـ . أمر كريم الى نظار ولاية الشرقية .

(٣٩) دفتر ١٧ معية تركى وثيقة رقم ٣٥٨ (٢٢ ربيع الاول عام ١٢٤٠هـ). من الجناب العالى الى ناظر القسم الثالث والرابع بالغربية .

بها يشتغلون فى مصانع محمد على بالاجرة ، وكان انتاجهـا يبـاع باغلى الأثمان (٤٠) . ثم احتكرها فى جميع أنحاء البلاد عام ١٨١٧م (٤١) . وكانت فابريقة الخرنفش أولى الفابريقات التى انشأها محمد على عام ١٨١٦م(٤٢) تحت اشراف المهندس النساج الفرنسى جوميل Jumel ، وأخصائيين من فرنسا وايطاليا (٤٣) . وكان انتاجها فى أول الأمر الحرير والساتان الخفيف وما الى ذلك من أنواع النسيج التى يستعملها الاهالى ، ولكن بعد قليل من الزمن نقلت الانوال الخاصة بصناعة الحرير وحلت محلهـا مغـازل للقطن وماكينات لصنع الاقمشة القطنية (٤٤) ونذكر هنا أن محمد على عندما بشرت زراعة القطن بدخل وفير اقتصرت فابريقة الخرنفش على تصنيع القطن(٤٥).

وكان يوجد بها مائة دولاب ، منها عشرة للغزل الرفيع ، وتسـعون للغزل السميك وقد الحق بها أمشاطا لتهيىء القطن قبل غزله . وكان انتاج العامل فى فصل الشتاء سبعين رطلا فى اليوم ، أما فى فصيل الصـيف فبلغ انتاجه مائة رطل وهذا يرجع الى طول النهار فى فصل الصيف . أما النسيج فينتج العامل من ٣٫٥ الى ٤ ذراع بلدى شـتاء وخمسة صـيفا . وكانت منتجاتها تصبغ فى بولاق وكان بها ورش حدادة ونجارة . وكانت آلة الغزل السميك تحتوى على ٢٠٠ مغزل وآلة الغزل الرفيع على ٢١٦ مغزل .

ويتقاضى العامل أجره طبقا لفئات محددة فيأخذ سبع بارات عن الرطل المشط ، وأربعا عن الرطل من خيوط الغزل السميك الذى تنتجه الدواليب وعشرا عن الغزل الرفيـع من نمرة ٢٠ ، وخمس عشرة بارة من نمرة ٣٠

---

(٤٠) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبـار ، جـ٤ ، ص ٢٠٥ .

(٤١) نفس المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٨٣ .

42) F. Mengin, Histoire de L'Egypté, P. 195.

43) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 410.

(٤٤) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٣٦ .

45) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 410.

وعشرين من نمرة ٤٠ وفضلا عن ذلك فانه ينسج القطن والموسلين والتيل الرفيع ، وكان أجر العامل عشرا عن الذراع من نسيج القطن ، و ١٥ بارة عن الذراع من التيل الرفيع ، وما بين ٢٠ الى ٢٦ بارة عن الموسلين ، وذلك تبعا لطريقة نسجها . وكانت تصنع من أنواع الموسلين مناديل تصـــدر الى القسطنطينية حيث يتخذها النساء غطاء للرأس وتصدر المنسوجات أيضا الى تركيا وسوريا (٤٦) .

(ب) فابريقة مالطة ببولاق :

وقد تم انشاء هذه الفابريقة فى بولاق وسميت بهذا الاسم نسبة الى العدد الكبير من العمال المالطيين الذين يعملون بها ، وهى مخصصة لانتاج الصوف ، غير أن التجارب التى اجريت قد فشلت ، وهذا يرجع الى عجــز النظار (المديرين) ورداءة الصوف المحلى ، مما جعل محمد على يتحول الى المنسوجات القطنية . وعهد أيضـــا الى المهندس جوميل (Jumel) بادارة هذه الفابريقة (٤٧) . وكان فيهـــا من دواليب الغزل ٢٨ دولابا ، ٢٤ آلة تمشيط لتجهيز القطن ، ١٤ ساقية تديرها آلة بخارية ، يعمل عليهـــا ثمانية ثيران وكانت بها مبيضة عظيمة تطبع ٨٠٠ ثوب شهريا . ويبلغ عدد الانوال ٢٠٠ نول تنسج خيوط القطن ، وتصـــنع فيها «البافتة» ، و «الباتستت» ، والموسلين . وبالاضافة الى ذلك كان يتم عملية التلوين ، التى كانت رديئة التى سرعان لا تستطيع الصـــمود أمام عملية الغســـيل . وقد كانت عملية التلوين تتم عن طريق الآلة وتكميله باليد (٤٨) .

ووجدت صناعة أخرى وهى صناعة المناديل الملونة ، التى إستعملها النساء أغطية للرأس ، وثمن المنديل الواحد ما بين خمسة قروش وســـتة

---

(٤٦) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٣٧ .

47) F. Mengin, Histoire de L'Egypté, P. 377.

(٤٨) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ، محمد على ، ص ٤٣٩ .

قروش تبعا لما عليه من رسوم أنيقة ، أما المرسوم باليد فثمنه ستة عشر قرشا ، ويتقاضى العمال بهذه الصناعة أربعة قروش ونصف القرش عن نصف ثوب من الموسلين طوله ثلاثة عشر ذراعا ، أما التى تنقش باليد فأجرهم خمسة قروش .

وتصدر المنسوجات الى تريستا وليفورنة والموانىء التركية وفضلا عن هذه المصانع فقد كان يوجد حرفيون من جميع الحرف لاصلاح الآلات وتركيبها واستقدم الاوربيون ، كما كان يوجد ورشة لنجارة الأثاث ويرأسها أحد المالطيين كما انه وجدت طائفة من اليونانيين يقومون بصنع النماذج وأعمال التنجيد ويوجد أيضا اثنان من ورش الخراطة وكانت احداها اذا تحركت دواليبها تتحرك لها صوانى واقلام من الفولاذ للتصليح والتخريم والتثقيب ومحافر ومناشر لنشر الخشب والنحاس ، ومخارط عديدة ، وفى الورش الاخرى مخرطة كبيرة ومرازب ومطرقة ومنفاخان كبيران (٤٩) .

وكان يوجد بالقرب من فابريقة مالطة ورش للحفارين على الخشب وعلى عجلات الاسطوانات ، بجانب السمكرية الذين يقومون بصنع الصناديق التى تحفظ لوازم المصنع ، والسباكين الذين يصنعون الانابيب التى تجرى منها المياه (٥٠) وكانت أفران المسابك تستهلك الكثير من الوقود ، كما أن الرمل لم يكن ناعما جيدا والنماذج لا تحفر بعناية وهذا يرجع الى اهمال العمال الذين يعملون تحت اشراف السوريين (٥١) .

وكان عدد العمال فى هذين المصنعين يناهز ثمانمائة عامل ، يعملون تحت اشراف عدد من المهندسين الايطاليين والسوسريين ، وكان لكل منهما

---

(٤٩) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٤٠ .
(٥٠) نفس المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .
51) F. Mengin, Histoire de L'Egypté, P. 200.

مأمور معين من قبل الحكومة . ورغم الصعوبات التى لاقاها محمد على فى انشاء هذين المصنعين وقلة ما أصابه من أرباح فقد بدأ بانشاء مصانع أخرى (٥٢) .

وكان يوجد بالقرب من فابريقة مالطة فابريقتان لغزل القطن ، تعرف احداها بفابريقة ابراهيم اغا والاخرى بفابريقة السبتية ، وفيها تسعون دولابا لغزل القطن ، وستون آلة لتمشيط القطن للمغازل ، ولم تكن هاتين الفابريقتين سوى ورش الغزل ، وليس فيهما ورش للصنائع الاخرى كما فى فابريقة مالطة ، وهذه الفابريقة تمدهما بكل ما يلزم لاصلاح عددها وآلاتها، وتحصل على القطن الذى تغزله من مستودع الحكومة للاقطان ، واجور العمال تساوى اجورهم فى تلك الفابريقات (٥٣) .

(جـ) فابريقات قلعة الكبش والسيدة زينب :

كان يوجد فى هذا الحى مصنع كبير يحوى عددا كبيرا من أنواع الورش مما تحويه فابريقة «مالطة» وبه عدد من النجارين والحدادين والبرادين والخراطين . وكان يرسل من هذه الورش دواليب الغزل ، وآلات التمشيط الدقيقة الى المصانع الاخرى (٥٤) ، ويوجد بها ٢٢٠ نولا تديرها آلة بخارية استوردها محمد على من فرنسا (٥٥) .

وتوجد فابريقة أخرى هى فابريقة السيدة زينب ويستعمل فيها عشرون من آلات الغزل ، وثمان وعشرون من آلات التمشيط ، كما كان بها ثلاثمائة

---

(٥٢) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ٥٤ .
(٥٣) عبد الرحمن الجبرتى ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر جـ٣ ، ص ٥٥٥ .
(٥٤) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر — محمد على ، ص ٤٤١ .
(٥٥) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص٣٨٠ .

نول لغزل ونسج القطن ، ونسيجه كنسيج فابريقة مالطة نوعاً وثمناً ، يرسل الى فابريقة مالطة لتبييضه (٥٦) .

(د) فابريقة قليوب :

وهى من أولى الفابريقات التى أنشأها محمد على فى الوجه البحرى ، وكان يصنع فيها آلات الغزل والتمشيط للمصانع الجديدة ، وتوافرت بها المواد ، كما أن بها عددا من العمال الاوربيين . وكان يوجد بها سبعون من دواليب الغزل ، كما أنه وجد بها ثلاثين محلاجا تحركها ثلاث عدد ، وكان القطن المستخدم هو النوع نفسه المستخدم فى فابريقات مالطة (٥٧) كما كان يوجد بها مسبك للحديد ، ولكنه غير منظم وبه عيوب عديدة (٥٨) .

(هـ) فابريقة شبين :

وكان يوجد فى شبين فابريقة لغزل القطن ، بها سبعون من آلات الغزل وثلاثون من آلات التمشيط ، وكانت هذه الفابريقة للغزل فقط ، وترسل ما تغزله الى فابريقة مالطة (٥٩) .

(و) فابريقة المحلة الكبرى :

وانشأت فى المحلة الكبرى فابريقة لغزل القطن ، بها مائة وعشرون دولابا وستون آلة لتمشيط القطن تدار بأربع آلات ومائتين من الانوال ، وتحتوى الفابريقة على مسبك وورش للحدادة والخراطة ، تصنع فيها دواليب الغزل وأمشاطه وغيرها من الآلات التى ترسل للمصانع الاخرى (٦٠) وكان

---

(٥٦) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ـ محمد على ، ص ٤٤١ .
(٥٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ـ محمد على ، ص ٤٤١ .
(٥٨) حسن الرفاعى ، تطور الصناعات فى مصر ، ص ٤٣ .
(٥٩) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ـ محمد على ، ص ٤٤١ .
(٦٠) عبد الرحمن الرافعى ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٥٥٩ .

محمد على يتابع فابريقة المحلة من حيث جودته ، وخلاف ذلك ، ولذلك كان يصدر الاوامر الى رئيس الكزازين بأن يتـابع بنفسه ازالة النمش الموجود بانتاج نسيج المحلة (٦١) .

(هـ) فابريقتا زفتى وميت غمر :

وانشأت فى زفتى فابريقة لغزل القطان بهـا سـتة وسـبعون دولابا وخمسون آلة لتمشيط القطن بملحقاتها ، تحركها ثلاث مجموعات من الثيران وتعتمد هذه الفابريقة على قطنها من المحلة الكبرى . وكان محمد على يصدر أوامره دائمـا بضرورة توفير القطن اللازم لهـا والعمال اللازمين ، وكذلك مؤونة المواشى حتى يستطيع المصنع انتاج المطلوب منه (٦٢) وكان يوجد فى ميت غمر فابريقة تشابه نفس هذه الفابريقة فى عددها وآلاتها (٦٣) . وكان الدولاب ينتج سبعة أثواب شهريا ، وكان محمد على يحث العاملين به على ان يجعلوا الانتاج ثمانية أثواب (٦٤) وكان الهدف من ذلك هو زيادة الانتاج ، كما أنها تخصصت فى انتاج البفتة السمراء (٦٥) بالاضافة الى أن فابريقة زفتى كانت تنتج بعض أصناف خاصة بملابس الجيش (٦٦) .

---

(٦١) دفتر ٧٠ أوامر ص ٣٧ وثيقة رقم ٣٥ بتاريخ ١٠ محرم عام ١٢٥٢هـ. من الجناب العالى الى مختار بك .

(٦٢) دفتر ٢٥ أوامر ، وثيقة رقم ٣٨ بتاريخ ١٥ رجب عام ١٢٤٩هـ . أمر كريم الى خليل افندى مدير الدقهلية ودمياط وشربين .

(٦٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٤٢ .

(٦٤) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، ج٢ ، ص٤٧٣ .

(٦٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٤٢ .

(٦٦) محفظة ٤ .ملكية تركى وثيقة رقم ٣٠٧ بتاريخ ١٠ ربيع الثانى عام ١٢٥٢هـ . من الجناب العالى الى مختار بك .

(و) فابريقة المنصورة :

وانشأت بها فابريقة للغزل والنسيج وبهـــا اربع عـــدد تحرك مائة وعشرين دولابا ، وثمانين آلة لتمشيط القطن ، كما أنه يوجد بها مائتا نول لنسيج القطن ومسبك وورشـة للخراطة وورشـة للحدادة وعمال يشـــتغلون فى الحديد (٦٧) ، وكان محمد على يعمل على توفير المواد الخام لهـــا ويتبع النظام الحديث فى أنه كان يأخذ ايصالات عن المواد الواردة لها كما هو متبع مع الفابريقات الاخرى (٦٨) .

(ز) فابريقة دمياط :

وكان يوجد بها قبل عهد محمد على مغزل صـغير ، فأنشئت بها فابريقة للغزل والنسيج على مثال فابريقة المنصورة (٦٩) وكان يتابع انتـــاج هـــذه الفابريقة ويأخذ من حين لآخر عينات من انتاجهـــا ، ويتابعهـــا ويعمل على تحسين انتاجها (٧٠) ولكن يبدو أن انتاج فابريقة دمياط من المنسوجات من النوع الردىء ، ولذلك أصـــدر اوامرم للعمل على بذل الجهـــد لتحســـين الانتاج (٧١) .

(ح) فابريقتا دمنهور وفوه :

كان يوجد فى فابريقة دمنهور مائة مغزل وثمانون آلة للتمشيط. وثمانون

---

(٦٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص٤٤٢ .

(٦٨) دفتر ٢٥ أوامر ص ١٠٧ وثيقة رقم ١٧٨ بتاريخ ١٢ شـــوال عام ١٢٤٩هـ . أمر كريم الى رستم أفندى .

(٦٩) عبد الرحمن الرافعى ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٥٦٠ .

(٧٠) دفتر ١١١ أوامر ص ٥٤ وثيقة ١٢١ بتاريخ ٧ ربيـــع الثـــانى عام ١٢٥٢هـ . من باشمعان جناب داورى الى محمود أفندى مفتش عموم الفابريقات وملاحظ نصف الدقهلية .

(٧١) دفتر ٧١ معية تركى المكاتبة رقم ٨٩٢ بتاريخ ٧ ربيـــع الثانى عام ١٢٥٢هـ . من الجناب العالى الى مختار بك .

محلجا ، وفابريقة أخرى لغزل الصوف ونسجه ، تصنع فيها الكبابيت وأغطية النوم (البطانيات) اللازمة لجنود الجيش والاسطول ، وترسل مصنوعاتها الى فابريقة صناعة الجوخ ببولاق بالقاهرة حيث تضغط وتلون وتكبس (٧٢) .

أما فوه فقد كان يوجد بها فابريقة لغزل القطن ، بها خمس وسبعون آلة للتمشيط (٧٣) .

وبالاضافة الى هذه الفابريقات كان هناك العديد من الفابريقـات فى الوجه القبلى مثل بنى يوسف والواسطى وأسيوط والمنيا وفرشوط وطهطا وجرجا وقنا . وبالرغم من انشاء هذه الفابريقات الكثيرة العدد ، الا أنهـا لم تستهلك الا خمس المحصول فقط ، كما أن فابريقات الغزل لم تستهلك الا ثلثى القطان المغزول ، ويباع الباقى للفابريقات الفردية (٧٤) .

ويقدر عدد العاملين بهذه الصناعة بثلاثين الفا ، وقد كانوا خاملين ولم يلق العمل منهم العناية الواجبة ، لأنهم ــ أصلا ــ عمال زراعيون ، بل انهم سخروا للعمل مثل التجنيد فى الجيش وغير ذلك من أعمال السخرة . بل أن العمال الذين يتم تدريبهم يستدعون لاعمال التجنيد ثم يحـل محلهـم فلاحون لا حظ لهم من الصقل والتهذيب ، حتى اذا نالوا قليلا من الخبرة ، صدرت الأوامر باستدعائهم للخدمة العسكرية ، على أن يخلفهم فوج جديد من العمال تعوزه الخبرة واللياقة (٧٥) كما كان اصلاح كثير من الآلات يجرى فى غير عناية أو اكتراث كما حدث فى فابريقة بولاق . بل أن العمال تعوزهم

---

(٧٢) عبد الرحمن الرافعى ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٣ ، ص ٥٦١ .

(٧٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٤٢ .

(٧٤) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ٥٦ .

(٧٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٤٧ .

الدراية بعمل الانوال ، اذ انهم لم يحصلوا على خبرة سابقة ، ولم يتطبعوا على عادات تؤهلهم لذلك ، فهم لا يعتادون الأشتغال بالصناعة فى سن مبكرة ، بل يأخذون من الحقول عندما يبلغون دور الرجولة وتخصص لهم أعمالا تختلف كل الاختلاف عن أعمالهم السابقة ، ويعمل العامل تسع ساعات فى اليوم (٧٦) .

وكان أجر الذين يعملون بالنسيج مضاعفا بالقياس الى العمل بالزراعة ، حيث كان اجر العامل ثلاثين بارة ، أما العمل فى الحقول فالاجر فيه خمس وعشرون بارة وقد رغب كثيرون فى العمل للهروب من التجنيد .

وكان محمد على — بالاضافة الى الخبراء الذين استقدمهم — يرسل البعثات لتعلم صناعة الغزل والنسيج الى انجلترا ولذلك نجد انه فى عام ١٨٣٩م عاد رئيس فابريقة الخرنفش وكبير فابريقة السبتية من انجلترا وقد كان يخيرهما بين العمل فى عملهما الأصلى او ان يختار مكانا آخرا وخاصة انهما تعلما صناعة الغزل وصقل الشيت وتكرير الكهرجة (٧٧) . كما عادت بعثة من انجلترا مكونة من ستة افراد وكان من ضمنها من تعلم تبييض القماش ، وقد عين بالمبيضة ، والثانى مهندس ماكينات ، أما الآخر فقد عين مترجم وكان يحدد لهم مرتبات كل على حسب نوع عمله (٧٨) .

---

(٧٦) نفس المرجع السابق ، ص ٤٤٨ .

(٧٧) دفتر ٢٠٤٦ صادر ديوان تركى جبيلوى المدارس المكاتبة رقم ١٨٩ ص ٤٨ ، بتاريخ ٤ ربيع الاول عام ١٢٥٥هـ . وكان الاول يدعى محمد الفخام والثانى ملازم ثان عبد العزيز الهتوارتى .. من مدير ديوان المدارس الى مدير الادارات ..

(٧٨) دفتر ٢٠٩٤ ديوان المدارس تركى الوثيقة رقم ٤٠٤ ص ٦١ بتاريخ ٨ صفر عام ١٢٦٠هـ . من ديوان المدارس الى الباب الكتخدا .

٦ - صناعة الحرير :

أما عن صناعة الحرير ونسجه ، فقد كانت موجودة قبل عهد محمد على ولكنه وسع نطاق صناعته ، واكثر من غرس اشجار التوت بل انه احضر من فرنسا أحد المتخصصين في فلاحة غرس التوت ، وتربية دود القز واستخراج الشرانق وطرق حلجه وتصنيفه وتنظيم وكيفية غزله ، يدعى « الفونس فوطيه »(٧٩) كما توسع محمد على في زراعة شجر التوت في مديرتى البحيرة والشرقية (٨٠) ، بالاضافة الى ذلك أرسل مبعوثا الى سوريا لشراء بيض دودة الحرير ، وفي عام ١٨١٧م احضر اخصائيين في تربية ديدان الحرير من سوريا ولبنان ، ووافق على اعطائهم اول محصول الحرير وربع المحصول بعد ذلك ، وتأسست مستعمرة سورية تضم خمسمائة شخص (٨١) ، وكان يوزع دود الحرير على الأهالى المنزرع عندهم توت ، ويعين لهم معاونا خاصا لملاحظة ذلك (٨٢) ، ويعمل على الحفاظ على شرانق دود الحرير من الاتلاف (٨٣) .

ولقد كان انتاج دود القز في مصر اربع مرات سنويا ، بينما كان في أوربا مرة واحدة ، وعلى ذلك فقد جنى ارباحا كبيرة من الحرير (٨٤) ، وحسب أحد التقديرات بلغ اجمالى الاستثمارات اكثر من ٨ ملايين فرنك (٨٥) .

(٧٩) رفاعة بك رافع الطهطاوى : مناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ص ٣٠٦ .
(٨٠) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .
(٨١) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٤٢ .
(٨٢) دفتر ٢٥ أوامر ص ١٢٠ وثيقة رقم ٣٠٣ بتاريخ ١٩ شوال عام ١٢٤٩هـ و أمر كريم الى عموم نظار الاقاليم البحرية (٧٧)
(٨٣) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ص ٣٦٧ .
(٨٤) رفاعة الطهطاوى : مناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ص ٣١٠ .
(٨٥) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٤٣ .

وبالرغم من هذا لم تكن خيوط الحرير من النوع الجيد ولم تف كميتها بحاجة المصانع التى أنشأتها الحكومة لنسج الحرير ، فاستوردت الحرير الخام من بلاد الشام ، كما أنشأ محمد على ديوانا باسم « ديوان الحرير » ليباشر الاشراف على الحرير وانتاجه (٨٦) ، وقد بلغ الناتج من الحرير الخام عام ١٨٣٢م ٤٠٦ درهما و ٤٨٧٧٨٦ اقة وفى عام ١٨٣٣م بلغ ٣٠٥ اقة ، وكان يشترى الحرير من الدرجة الأولى بسعر ١٢٥ قرشا ومن الدرجة الثانية بسعر ٩٥ قرشا ، ومن الدرجة الثالثة ٨٥ قرشا (٨٧) ، وبالرغم من استلام محمد على الانتاج ، الا أن ثمن بيعه ارتفع الى الأضعاف (٨٨) . وقد كانت سياسته هى الشراء بأرخص الأسعار ، والبيع بأغلى الأسعار ، حتى يواجه نفقاته فى سبيل الانفاق على الجيش والأسطول ، وقد احتكر الحرير فى سوريا الأمر الذى أدى الى تذمر السوريين ، واحتج قناصل الدول الأوربية على احتكار الحرير ، حتى اضطر الى اصدار أمر بانهاء احتكاره فى ١٨ ديسمبر عام ١٨٣٥م فى مصر ، ثم فى سوريا بعد ذلك بوقت قليل (٨٩) ، وبعد ذلك تخلى محمد على عن مصانع الحرير التى كان قد انشأها فى مصر ، وأمر بأن يعرض كل المخزون فى القاهرة للبيع ، وقد أدى ذلك الى وضع حد لاحتكار الحرير الخام وجعل المنسوجات الحريرية فى مصر عملا غير مربح ، اذ أنه لم يكن من الممكن انتاج الأقمشة الحريرية بتكلفة منخفضة على نحو كاف بغير مصدر رخيص لتوفير المادة الخام ، كما أن استثمار مبالغ كبيرة من

---

(٨٦) دفتر ٧٦٦ خديوى تركى ص ٣٣ مكاتبة رقم ٨١ بتاريخ ٨ رمضان عام ١٢٤٥هـ . من المجلس العالى الى الديوان الخديوى .

(٨٧) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤١٦ .

(٨٨) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٨٩) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٤٣ .

النقود لم يترتب عليه عائدات مرضية وانه فضل أن يستثمر أمواله فى مشروعات أخرى بامكانها أن تحقق فوائد أكثر لمصر .

ولقد أحضر محمد على عمالا متخصصين فى صناعة الحرير لنسجه وصنع الأقمشة الحريرية على اختلاف انواعها كما ينسج فى الآستانة ، وفى الهند ، وتولى العمال تدريب العمال المصريين على اتقان نسج الحرير ، وكان العمال يشتغلون بالقطعة ، وارسل العمال الى انجلترا لتعلم صناعة الحرير هناك ويعين عليهم رئيسا يشرف عليهم (٩٠) .

ولكن بعضهم عاد دون تعلم شيء ، وعلى هذا الأساس فصلوا من عملهم(٩١) وهذا يرجع الى التخبط فى ارسال البعثات على حسب التخصص، فأحد الذين درسوا فى باريس مثلا ، وتدرب على صناعة الحرير فى ليون ، عند عودته أسند اليه الاشراف على تجليد الكتب ، وعندما احتج على ذلك فصل من عمله (٩٢) ، ويمكن أن يقال ذلك عن صناعة الحرير ، كما انه أحيانا يرسل بعثات لمدة قصيرة وهذا يؤدى الى عدم استيعابهم للصنعة التى أرسلوا من أجلها ، وقد أعتنى محمد على بمصانع الحرير عناية خاصة فكان تعيين النظار (المديرين) لا يتم الا بموافقته شخصيا ، وهو الذى يحدد المرتبات لهم (٩٣) .

---

(٩٠) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ص ٤٨٧ .
(٩١) محفظة ٢ معية تركى وثيقة ٢١٦ بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى محمد افندى وكيل المجلس .
(٩٢) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١١٩ .
(٩٣) محفظة ٢ معية تركى وثيقة ٦١ بتاريخ ١٦ محرم عام ١٢٥١هـ من الجناب العالى الى مختار بك ناظر المجلس .

٧ ــ صناعة الصـــوف :

اقام محمد على فى بولاق عام ١٨١٨م فابريقة (مصنعا) ضخمة لصـــنع المنسوجات الصوفية ، وقد اشتريت النماذج من الخارج ، ولكن اتضح انها لا تلائم الغرض ، فاهمل المشروع ، ثم بعث بعد عامين مرة اخرى ، وأحضر لهذا الغرض عمالا من فرنســا وبلجيكا ، قاموا بمحاولات جديدة ، وانتهى الأمر بأن عاد المصنع للعمل بمائة آلة للغزل بدواليبها (٩٤) ، ولكن الانتاج من الصوف المصرى لم يكن جيدا ، وعلى هذا استورد الأصواف من الخارج واستورد الاغنام من اسبانيا ، وأحضر معها راعيها ، وخصص لها مراعى لهذا الغرض (٩٥) وبالرغم من هذه المجهودات ، الا أن صناعة الصـــوف المصرى لم تكن جيدة وعلى هذا فقد اقتصر الانتاج على الصوف السميك ، الذى كان يصنع منه ملابس الجند واغطية النوم (٩٦) .

وكان العمل فى «الفابريقة» يتكون من اقسام وفى كل قسم ملاحظ يوجه العمال ، كما ان العامل يتقاضى اجره بنسبة ما يقوم به من عمل فيأخذ سبعين بارة عن الذراع الاســلامبولى الذى يتم نسجه بعــد اربع واربعين طرحة وينسج العامل ذراعين فى الشتاء ونحو ثلاثة اذرع فى الصيف (٩٧) ، وكان محمد على يصــدر أوامر من حين لآخر لتوفير الصـــوف اللازم للمصـــنع المذكور (٩٨) ، وكان يوجد مصنع آخر بالمنيا ينتج صوفا على درجة عالية من الجــودة (٩٩) .

---

(٩٤) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤٤٤ .

(٩٥) أمين عفيفى عبد الله : تاريخ مصر الاقتصــادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ١٥ .

(٩٦) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٩٧) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤٤٤ .

(٩٨) دفتر ٢١٥ وثيقــة ١٥٢ فى ٨ جمــادى الثانية عام ١٢٥٠هـ ، من الجناب العالى الى ابراهيم باشا .

(٩٩) دفتر ٧٥٧ معية تركى ص ٢٦ وثيقة ٧٤ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة عام ١٢٤٥هـ . من ديوان خديوى الى القواس محمد المأمور لنسج صوف الاعــلام بالمنيــا .

٨ ـ صناعة السكر :

كانت صناعة السكر تصنع بطريقة بدائية ، وكان يوجد مائة « دكان » لصنع العسل الأسود بطريقة بدائية .

وقد أنشأ محمد على عام ١٨١٨م أول مصنع لصناعة السكر فى بلدة « الريرمون » على غرار المنشآت العظيمة فى جزر الهند الغربية ، وكانت آلاتها تدار بالقوة الحيوانية ويعمل بها مائة عامل (١٠٠) ، وقد كانت صناعة السكر فى أول الأمر فى الوجه البحرى ، غير أن ذلك أدى إلى نقل القصب لمسافة طويلة من الوجه القبلى حيث مزارعه ، ثم ألغاء معاصر عسل السكر ، وقصر زراعة القصب على الأقاليم الصعيدية (١٠١) ولهذا أنشأ محمد على معملا (مصنعا) لصناعة السكر فى بلدة « الريرمون » كما سبق أن عرفنا ، وكان يشرف عليه المستر برام Mr. Brim وهو مهندس انجليزى ، ولكنه توفى ، فعهدت أدارته الى المسيو تونينا Signor Tonina الأيطالى (١٠٢) ، وكان معمل التكرير صغيرا ويكرر فى البداية ما يزيد على ٣٠ قنطارا فى اليوم (١٠٣) ، وكان ينتج نوعين من السكر أحدهما « سكر خرز » وهو نوع جيد يباع الرطل بسعر ½ ٣ قرش ، والنوع الآخر أكثر بياضا ، لأنه مكرر ولكنه كان أقل جودة من السكر الممتاز الذى يباع الرطل بسعر ½ ٦ قرش ، وكان هذا النوع لا ينتج الا بأمر محمد على نفسه .

وكانت عملية تكرير السكر تقابلها صعوبة ، ذلك أن العمال المسلمين كانوا يحرمون استعمال دم الثيران وغيره من المكونات العضوية فى عملية

100) Mazuel, Jean, Le Sucre on Egypté, P.P. 28-30.

(١٠١) دفتر ٣٧ معية تركى مكاتبة رقم ٢٤٧ بتاريخ ٢٧ ربيع الآخر عام ١٢٤٤هـ . من الجناب العالى إلى مختار بك .

102) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 257.

(١٠٣) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢١٦ .

التكرير مما افسد عملياته تقريبا ، لأن البيض واللبن - وهي المواد البديلة - لا تفى بالمطلوب ، وكان انتاج السكر رديئا (١٠٤) ، وقد لاحظ محمد على ذلك (١٠٥) .

وقد توسع محمد على في انشاء المعامل لصناعة السكر ، ولكنه لم يكن يكرر بمصر ، فقد كان يرسل انتاج المعامل من السكر الى مرسيليا بفرنسا حيث يكرر هناك ، ولكن بعد ذلك انشأ معملا لتكرير السكر في الريرمون عام ١٨٣٣م (١٠٦) .

وقد ارسل محمد على الكثير من البعثات من أجل تدعيم صناعة السكر وارسل بعثة الى الولايات المتحدة الامريكية لتعلم صناعة السكر (١٠٧) ، كما أرسل بعثة الى اوربا وخاصة الى باريس من الكيمائيين ليتدربوا على تكرير السكر ، وعندما عادوا استلموا أعمالهم في معمل التكرير (١٠٨) . ولكن منذ عودة المبعوثين من الخارج كانوا يكتبون التعليمات باللغة الفرنسية الأمر الذى يستدعي ترجمتها الى اللغة العربية ، وهذا ما حدث في معمل السكر بملوى (١٠٩) .

وكان محمد علي يتابع بنفسه اخبار العائدين من أوربا ، ويبحث معهم آخر التطورات العلمية بالنسبة لصناعة السكر ، وعندما علم باختراع آلة جديده

---

104) Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 257.
105) Murray, A Short memoir of M. Ali, P. 48.

(١٠٦) أمين عفيفي عبد الله : تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث ، ص ٥٠ .

(١٠٧) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد علي ، ص ١٠٣ .

(١٠٨) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد علي ، ج٢ ، ص ٣٨٦ .

(١٠٩) محفظة ١٠١ دفتر ٧٧٩ ديوان خديوي تركي وثيقة رقم ٢٥٤ بتاريخ ٢٩ ربيع الاول عام ١٢٤٨هـ . من الديوان الخديوي الى سامى بك .

تخرج السكر قطعا كاملة بدون فضلات ، أرسل يبحث ذلك مع أحد القادمين من أوربا (١١٠) .

كما أنه كان يعمل على احلال الوطنيين محل الأجانب فى معامل السكر وخاصة فى معمل الريرمون (١١١) ، وقد اتبع مثل هذه السياسة توفيرا للنفقات التى كان يدفعها للخبراء الأجانب تشجيعا لاستقرارهم بمصر ، ولكنه احيانا استعان بأجانب لا يعرفون شيئا عن هذه الصناعة ، عرف ذلك بعد وفاتهم ، مثلما ما حدث بعد وفاة المستر ابرام Mr. Brim الذى كان يعمل مديرا لمعمل السكر والكروم ، واتضح أن مساعده المصرى هو الذى يعرف كل شيء عن هذه الصناعة (١١٢) .

أما العمال الذين كانوا يستخدمون فى هذه المعامل ، فقد كان على كل معصرة خمسة عشر رجلا ، بجانب عدد من البنات والصبيان ، تتراوح اجورهم بين عشر وخمس وعشرين بارة فى اليوم ، وتعد لهم الحكومة خبزا يقل ثمنه عن سعر السوق عادة ، فيدفعون فى الاقة اثنى عشرة بارة بدلا من عشرين وهو الثمن الذى كان يبيع به الخباز ، ولا يسمح لهم بشراء اكثر من اقة واحدة فى اليوم (١١٣) ، وكان يوجد أطفال من السود وهم الزنوج العبيد ، الذين كانوا يأتون بهم من افريقيا لبيعهم ، وبطبيعة الحال لم يدفع لهم أجرا ، ولكن كان يسمح لهم بأن ياخذوا الجزء الأعلى من القصب الذى كان يستخدم علفا للماشية (١١٤) .

---

(١١٠) محفظة ١٠١ دفتر ٥٠ معية تركى وثيقة رقم ٤٣٦ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة عام ١٢٤٨هـ . من المعية السنية الى حبيب افندى .

(١١١) محفظة ٢ معية تركى الوثيقة رقم ١٧١ بتاريخ ٢٨ جمادى الاولى عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى محمد افندى وكيل المجلس .

(١١٢) محفظة ٢ معية تركى الوثيقة ١٧١ بتاريخ ٢٨ جمادى الاولى عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى محمد افندى وكيل المجلس .

(١١٣) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤١٧ .

(١١٤) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٢٠ .

وكان أغلب العمال من العجزة ، وكانوا يشوهون أبدانهم ببتر اليـــد اليمنى أو فقء العين اليمنى ، أو خلع الأسنان الأمامية ، كل ذلك هربا من التجنيـــد (١١٥) .

وقد بذلت بعض المحاولات حتى تم ادخال صناعة الكروم ، فأرســـل أبراهيم باشا أحد الرجال الى جزائر الهند الغربية ، ليتعرف أسرار صناعة الكروم واستطاع أن يأتى بأحد الخبراء فى هذه الصناعة وتم تنفيذها (١١٦) .

وكان بجانب ذلك ينتج العسل الأسود ، والذى بلغ انتاجه عام ١٨٣١م أربعة عشر الف قنطار ، وبرغم ضخامة هذا الانتـــاج الا أن الســـكر كان يستورد طوال عهـــد محمـــد على وتناقصـــت كمياته وتعـــرض للمنافسة الأجنبيـــة (١١٧) .

والجدول الآتى يبين صادرات مصر ووارداتها من السكر فى السنوات ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ .

السنة	الصادر	الـــوارد
١٨٤٣	١٠٠٨٢	٩٦٢٤ر٩
١٨٤٤	٦٣٠	٣٠٢ر٦
١٨٤٥	١٦٠٢٠	٣٧٤ر٥

---

(١١٥) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤١٧ .
(١١٦) المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .
(١١٧) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القـــرن التاسع عشر ، ص ٢١٨ .

كما أن البيان التالى يبين تقديرا تقريبيا لنفقات الفدان الواحد من القصب عام ١٢٥١هـ وهى ترجمة وثيقة حصل عليها الدكتور بورنج من ناظر معامل السكر التى يملكها ابراهيم باشا :

	بارة	قرش
ضريبة الأرض	١٠	١٠٦
غذاء للماشية مدة ٣٦٠ يوما	—	٤٥٠
١٥ أردبا من مخلفات الحمام للتسميد	—	١٥٠
ثمن تقاوى القصب	—	٣٢٤
٥٠ عاملا لعزق الأرض	٢٠	٢٧
مكافآت لسبعة عمال لمدة ثلاثة أيام	—	٢١
عمال لتسوية الأرض	—	٣
عمال لرفع المياه مدة ٣٦٠ يوما	—	٢٧٠
حمالون لنقل التقاوى	٢٠	١٢
اثنا عشر شخصا لنشر السماد من مخلفات الحمام	—	٩
الخولى	٣٠	٧
حبال لآبار المياه	—	٢٥
٤٨ شخصا لتنظيف القصب	—	٣٦
٦٤ شخصا للعناية بالقصب	—	٤٨
عمال لغلى السكر وصنعه	٣٠	٣٣
ستة عشر حمالا	—	١٢
سقاءون	—	٤
وقادون	—	١٢
حمالون لنقل العصير	—	٨٠
المشرفون على الوقود	—	٤
ثمن خشب الوقود	—	١٩٢

ثمن زيت الاضاءة	—	١٢
ثمن دريس للبهائم المستخدمة فى عمليات الوقود	—	٤
رواتب القواسين والكتبة ... ومن اليهم	—	١٨٣
	٣٠	٢٠٣٥
مصاريف صنع السكر	—	٨٠
مصاريف العملية الثانية (يقصد بها التكرير)	٣٠	٨٦
	٢٠	٢٢٠٢
ما ينتجه نفس الفدان من السكر الخام	—	٣١٢٠
قيمة ما ينتجه من السكر الجيد ١٢ قنطارا و ٤٠ رطلا	١٦	٨٤٢
قيمة ما ينتجه من السكر الخام من صنف اجود ٤ قنطارا و ٤ ارطال	٢٦	١٤٦٦
٥٤٣٢١ق		
	٢	٥٤٢٩
تنزيل النفقات التى سبق ذكرها	٢٠	٢٢٠٢
صافى ايراد الفدان ٣٢ جنيها استرلينيا (١١٨)	٢٢	٣٢٢٦

٩ ـ صناعة الزجاج :

لم تكن صناعة الزجاج فى مصر متقدمة ، وكان الانتاج من النوع الردىء وقد فقد فن صناعة الزجاج الملون بالنوافذ ، وهذا يرجع الى انحطاط الصناعة فى عصر الاتراك العثمانيين (١١٩) ، وقد أنشأ محمد على معملا

(١١٨) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ .
119) Lane, The Manners and customs of the modern Egyptians, P. 3.

للزجاج بالاسكندرية ، تشبه مصنوعاته التى تنتج بأوربا (١٢٠) ، ولكن كثر الانتاج وقل بيعه ، لكثرة الزجاج المستورد وارتفاع سعر الزجاج المحلى ، ولذلك قررت الحكومة منع التجار من استيراد زجاج من الخارج ، لحماية الصناعة المحلية ، وانهاء عقود الخبراء الأجانب الموجودين فى معمل الزجاج مع تعويضهم عن المدة الباقية من العقد (١٢١) ، وارســـال العمال الذين تدربوا على أيدى هؤلاء الخبراء الى أوربا . وهذا يدل على حكمة محمد على فى التعويض وفى سفر المصريين الى الخارج للعمل على الرقى بهذه الصناعة، كما أنه كان يدقق فى اختيار الملمين بصناعة الزجاج والخزف وكان يدقق أيضا فى اختيار الموقع لانشاء المعمل فيه ، مثلما حدث فى اختيار موقع المعمل فى « فريون » « معمل القزاز الحالية » (١٢٢) . وكان يشجع العمال العائدين من أوربا بالانعام عليهم بالمال (١٢٣) ، كما كان يدفع الأجور لعمال الزجاج مقدما (١٢٤) ، وتعتبر الحادثة الأولى من نوعها ، اذ من المعروف أن العمال عادة يأخذون أجورهم مؤخرا .

١٠ ــ صــناعة الورق :

وانشأ محمد على معملا لصــناعة الورق فى بولاق عام ١٨٣٤م وكان يستخدم الملبوسات والكهنة التى كانت تورد له من الجيش (١٢٥) ، وكانت

---

(١٢٠) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، تعريب محمد مســـعود ، جـ٢ ، ص ٤٨٣ .

(١٢١) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على جـ٢ ص ٣٦٨ .

(١٢٢) محفظة ابحاث ١ ، ١ دفتر ٧٦ أمر رقم ١٩٨ بتاريخ ٢٣ رجب عام ١٢٥٢هـ . من الجناب العالى الى مطوش باشا .

(١٢٣) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ص ٤٨٠ .

(١٢٤) دفتر ٢٩ ذ ص ١٢٣ ورقة ٥٧ مكاتبة رقم ٧٣٥ بتاريخ ١٠ صـــفر عام ١٢٤٢هـ : من الديوان الخديوى الى مأمور نظام المنيا ابراهيم أغـــا .

(١٢٥) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ٥٩ .

الاته تدار بالثيران ثم استورد آلة بخارية عام ١٨٤٦م (١٢٦) ، وكان يعمل على تدبير المواد الخام اللازمة لانتاج المصنع لمدة سنة كاملة على الأقل ، حتى لا يتعطل العمل فيه (١٢٧) ، وكانت معامل الورق لا تنتج الا نوعا واحدا من الورق الجيد المتين اللامع مثل الذى يستخدمه الأتراك (١٢٨) ، وكان ـ كعادته ـ يتابع بنفسه انتاج الورق فى معمل الورق حتى أنه كان يرسل الى المسئول عن هذه الصناعة ملاحظاته عن رداءة الصناعة وغير ذلك (١٢٩) .

١١ ـ صناعة الصابون :

وأنشأ محمد على مصنعا للصابون عام ١٨٢٦م وكانت منتجاته تعادل تلك الموجودة فى الشام (١٣٠) .

١٢ ـ صناعة الشمع والعسل :

وبدأ محمد على باحتكارها عام ١٨١٦م (١٣١) ، وكانت صناعة العسل يعمل بها كثير من الأقباط والأروام فى خلايا النحل ويوردون العسل ويحصل عليها رسوما (١٣٢) وقد استعان بذوى الخبرة فى ذلك من المصريين ، فقد

---

(١٢٦) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٧١ .

(١٢٧) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ص ٤٤٢ .

128) Prince Pucklar Muska, Egypt under M. Ali, P. 222.

(١٢٩) محفظة ٢ معية تركى ورقة ١٦٧٠ بتاريخ ٢٨ جمادى الاولى عام ١٢٥١هـ ، من الجناب العالى الى محمد افندى ناظر الدرسخانة ووكيل المجلس .

(١٣٠) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ٤ ، ص ٢٥٦ .

(١٣١) المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٧١ .

(١٣٢) دفتر ٢٥ معية تركى وثيقة رقم ٢٣٣ بتاريخ ٢٧ محرم عام ١٢٤٢هـ ، من الجناب العالى الى حسن اغا مأمور فوه وكفر الشيخ .

استعان بسيدة عجوز فى صنع شمع العسل من أسيوط وابنها (١٣٣) ، ولم يكتف بذلك بل أرسل بعض المتخصصين الى أوربا لتعلم هذه الصناعة ، وقد تفوق هؤلاء المبعوثون فى صناعة الشمع ، وكانت المنتجات تضارع المنتجات المنتجة فى أوربا (١٣٤) .

وقد أرسل محمد على بعثة الى أوربا عام ١٨٣٢م وعاد أحد أعضائها ويدعى محمد مرعى الذى تعلم سبك الشموع ، وأخبر محمد على عقب عودته أنه يحتاج الى آلة بسيطة لتبييض الشموع ، وشجعه على تصنيع هذه الآلة ، ووعده بالمكافاة وزيادة مرتبه فى حالة نجاحه ، وأمر بصرف مرتبه القديم وهو مائة قرش (١٣٥) .

١٣ ـ معامل التفريخ :

تقدمت هذه الصناعة منذ زمن قديم ، وقد اطلق على المبنى الذى تتم فيه عملية التفريخ « معمل الفروج » فى الوجه القبلى ، ومعمل الفراخ فى « الوجه البحرى » . وكان يوجد فى الوجه البحرى مائة معمل ، وفى الوجه القبلى ما ينوف عن نصف هذا الرقم . وأغلب الملاحظين فى هذه المعامل ـ ان لم يكن كلهم ـ من القبط ، ويدفع الملاك ضريبة للحكومة (١٣٦) ، ويحتوى المعمل عادة من أربعة الى ثلاثين فرنا مصفوفة على خطين متوازيين

---

(١٣٣) دفتر ٧٥٣ تركى وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ٢٥ ربيع الثانى عام ١٢٤٥هـ . من الجناب العالى الى كتخدا بك .

(١٣٤) دفتر ٧٤٥ تركى خديوى ص ١٦٠ وثيقة رقم ٤ بتاريخ ١٩ ذى الحجة عام ١٢٤٣هـ . من الجناب العالى الى محافظ الأسكندرية .

(١٣٥) دفتر ٧٧٩ خديوى تركى ص ١٦٠ مكررة ، المكاتبة رقم ٩٠٤ بتاريخ ٢٣ ربيع الاول عام ١٢٤٨هـ . من الجناب العالى الى الديوان الخديوى .

136) E. Lane, The Manners and customs of the modern Egyptian, P. 4.

يفصلها عن بعض ممر ضيق (١٣٧) ، وتفتح أبواب الغرف من جهة الممر وتغلقها حصيرة عند وجود البيض بالداخل ، والبيض الذى يوضع حديثا يكون ناصــع البياض ، أما البيض الآخر فيكون مصــفرا وقذرا لما به من التغييرات ، بينما الفراريخ التى دب فيها دفء الحياة قد شبقت سجنها من حطام القشرة (١٣٨) وبمجرد خروج الفراريخ الصــغيرة من القشرة ، يتم نقلها بعناية الى الممــر وهو مقسم الى أقسام كثيرة بحواجز من الفخار ، وتنقل بعد أيام قليلة الى مكان رطب . ويوجد تحت المعمل حجرات لوضــع المواد التى يراد حرقها بالروث « الجلة » وتوصل الحرارة الكافية الى أفران التفريخ عن طريق فتحات فى الأرض (١٣٩) .

وفيما يلى بيان بعــدد المعــامل عام ١٢٤٦هـ ، ١٨٣١م وعدد البيض المستخدم فيها (١٤٠) .

عدد منشآت فقس بيض الدجاج عام ١٨٣١م

	وجه بحــرى	وجه قبلى
	١٠٥	٥٩
عدد البيض المستعمل	١٩ر٣٢٥ر٦٠٠	٦ر٨٧٨ر٩٠٠
عدد البيض الفاســـــد	٦ر٢٥٥ر٦٨٦	٢ر٥٢٩ر٦٦٠
عدد البيض الفاقس	١٣ر٠٦٩ر٧٣٣	٢ر٣٤٩ر٢٤٠

وقد احتكر هذه الصناعة ــ الى حد كبير ــ حكام الاقاليم ــ كما سبق أن عرفنا ــ الذين كانوا يقدمون آلات التفريخ بطريق الالتزام نظير مبلغ معين

(١٣٧) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مســعود ، جـ٢ ، ص ٤٦٥ .

138) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol; 2., P. 328.

139) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 329.

140) E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P. 5.

فى الشـــهر (١٤١) .

وكان محمد على يظهر اهتمامه بهذه الصناعة عن طريق ترميم المعامل وبناء معامل جديدة وغير ذلك ، نظرا لأهميتها ، ولأنها تعتبر مصدرا من مصادر توريد اللحوم (١٤٢) .

أما أجور العمال فقد سبق أن تعرضنا لها ، فكانت تؤخذ عينا من انتاج الفراريخ ونقـــدا .

١٤ ـ صـــناعة الحصر :

من المعروف أن استعمال الحصير فى مصر بالغ الانتشار ، ويسهل معه ادراك جسامة عدد العمال الذين يزاولون هذه الصناعة . ويصنع الحصر بالقاهرة والفيوم ، وأجودها ما يصنع من أعشاب السمار فى الجهات القريبة من بحيرات النطرون وتصبغ هذه الإعشاب بالألوان المختلفة (١٤٣) . وكان يوجد فائض فى انتاج هذه الصناعة ، ولكن مع الأسف كانت أسعارها عالية لدرجة أن تكدست منها كميات كبيرة فى بعض الســـنين كمـــا حدث فى عام ١٨٣٠م فى الشرقية واصدر محمد على أوامره ببيـــع هذه الحصر بأســـعار مناسبة بدلا من تركها مكدسـة فى المخازن (١٤٤) .

---

(١٤١) هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٥ .

(١٤٢) دفتر ٢٤ معية تركى وثيقة رقـــم ٧٦ بتـــاريخ ٢٨ شـــعبان عام ١٢٤١هـ . من الجنـــاب العـــالى الى البك الكتخدا بمأمور المحلة والمنصـــورة .

(١٤٣) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، تعريبه محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٨٥ .

(١٤٤) دفتر ٧٦٩ ديوان خديوى ص ٧٧ وثيقة رقم ١٩٢١ بتاريخ ٢٢ محرم عام ١٢٤٦هـ . من الجناب العالى الى

١٥ ــ صناعة الفخار :

وصناعة الفخار معروفة فى مصر منذ زمن قديم ، وتصنع بالقاهرة والوجه القبلى أصناف مختلفة من الأوانى الفخارية ، وخصوصا مدينة قنا التى اشتهرت بصناعة نوع من « الجرار » « الأزيار » ، وتصدر منه كميات هائلة الى القاهرة بطريقة غريبة ، فانهم ينكسون تلك الأزيار فى الماء ، ويربطونها بعضها الى بعض بحيث يتألف منها ما يشبه طوفا كبيرا يدفعه تيار النيل الى الجهة المراد تصديرها اليها ، بالاضافة الى « البلاليص » وغير ذلك من الأوانى الفخارية (١٤٥) .

وعلى العموم فان صناعة الفخار من النوع غير المصقول وكان الأغنياء يستوردون أنواعا فخمة من البلاد الألمانية والايطالية (١٤٦) .

والطريقة التى كان يتبعها صناع الأوانى الفخارية تتلخص فى خلط الفخار بالرماد بنسبة ٤ الى ١ وبفعل المياه تتحلل الذرات القلوية التى يحتويها الرماد ، فيؤدى ذلك الى احداث كثير من المسام لا تراها العين ولكنها تساعد فى عملية الترشيح (١٤٧) .

١٦ ــ صناعة البارود وملح البارود (نترات البوتاسيوم) :

كان يوجد معمل للبارود يديره أحد الفرنسيين ، وهو المسيو « هيم » وهو كيميائى فرنسى ، وقد أنشىء بمعرفته عدد من المعامل لتحضير المواد الكيميائية اللازمة للفابريقات وعلى الأخص حامض الكبريتيك ، ووضع تحت تصرفه عديد من المناجم لاستخراج ملح البارود الذى يستخرج منه هذه المادة بالتبخير .

---

(١٤٥) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٨١ .

146) E. Lane, The manners and customs of the modern Egyptians, P. 3.

(١٤٧) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٣٢٦ .

وفيما يلى بيان بالمعامل والكميات التى أنتجتها عام ١٨٢٣م (١٤٨) :

معمل القـــاهرة	٩٦٢١ قنطارا
معمل البدرشــــين	١٦٨٩ قنطارا
معمل الأشمونين	١٥٣٣ قنطارا
معمـــل الفيـــوم	١٢٧٩ قنطارا
معمـــل اهناس	١٢٥٠ قنطارا
معمـــل الطـــرانة	٤١٢ قنطارا

١٧ ـ صناعة ضرب النقود :

وكان يوجد بمصر صناعة النقود ويعمل بها ٥٠٠ عامل ، ولكن محمد على استعان برجل قبطى من الشـــام (الدروز) وأدخل التعديل على هـــذه الصناعة ، واستطاع أن يوفر من عدد العمال فأصبحوا ٤٠ فقط (١٤٠) ، وكانت العملة المضروبة فى مصر هى الخيرية بتسعة ، وزنتها أربعة قراريط ونصف القيراط ، منها ثلاثة من الذهب الخالص ، وقيراط ونصف القيراط من مزيج معدنى والسعدية بأربعة وتزن قيراطين وثلثاها من الذهب الخالص والثلث الباقى مزيج معدنى .

والعملة الفضية هى القروش ، والقطع من ذوات العشرين والعشر والخمس بارات ، أما العملة التى هى أدنى من ذلك ، فتدخل فى صـــنعها معادن كثيرة قليلة القيمة ، وتحمل طغراء السلطان وتاريخ تولى محمد على حكم باشوية مصر أى عام ١٢٢٣هـ (١٨٠٨ ـ ١٨٠٩م) (١٥٠) .

---

(١٤٨) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مســعود ، جـ٢ ، ص ٤٥٢ .

(١٤٩) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبـــار ، جـ٤ ، ص ١٤٠ .

(١٥٠) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٥٤٨ .

١٨ ــ الصناعات الخشبية :

ويستخدم فى هذه الصناعة فروع وزعف النخيل واشجار التوت فى أنواع كثيرة من الصناعات الخشبية ، فمن النوع الأول يصنعون المقاعد والبراميل ، والصناديق وهياكل الأسرة الخ . ومن الثانى يصنعون السلال وصوارى الأعلام والمكنسات والمنشآت وكثيرا من الأدوات الاخرى (١٥١) ، ومن النوع الثالث يصنعون السواقى (١٥٢) .

وبالاضافة الى الصناعات التى سبق ذكرها ، وجدت بعض الصناعات الأخرى وخاصة الخل المتخذ من البلح والذى كان أكثر شيوعا من غيره ، كما كان يستخرج الخل من الزيت أيضا (١٥٣) ، واستقطار العرق من البلح والزبيب (١٥٤) وصناعة النشوق ، وقد أحتكرها محمد على عام ١٨١٠م (١٥٥) ، وصناعات منزلية أخرى (١٥٦) وتحميص البن ، (١٥٧) ، وصانعو الشبكات التى تستخدم فى تدخين التبغ (١٥٨) .

وكان الهدف من اقامة الصناعات الحربية والصناعات المدنية فى عهد محمد على تشجيع الصناعة المحلية بكافة انواعها ، وذلك لتخفيض الوارد

---

151) Lane, The Manners and customs of the modern Egyptians, P. 3.

(١٥٢) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ٤ ، ص ٢٥٦ .

(١٥٣) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٦٨ .

(١٥٤) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٦٩ .

(١٥٥) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ٤ ، ص ١٠٣

(١٥٦) المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٨٢ .

(١٥٧) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٦٨ .

(١٥٨) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٦٨ .

بقدر المستطاع ، ولذلك عمل على سد حاجة الجيش من المصنوعات الحربية والمدنية وقد رأينا انه عندما اقيمت صناعة الطرابيش ، كان الهدف من ذلك هو سد احتياجات الجيش والشعب معا (١٥٩) ، كما كان يستعان بأهل الخبرة من البلاد فى هذه الصنعة بل انه أرسل الى الخارج ليستقدم الخبراء اللازمين لهذه الصناعة (١٦٠) ، وكان يريد الوصول بصناعة الغزل والنسيج الى المستوى اللائق بهـا ، وزيادة الأرباح بقدر المستطاع ، ويعمل على الاستغناء عن المصنوعات الأجنبية ، وهدفه من ذلك هو ثروة الشعب المصرى ، وعدم تسرب أموالهم الى الخارج (١٦١) ، ولقد حاول بشتى الطرق تقييد الاستيراد ، ولكنه كان مرغما على اتباع السياسة التى كانت متبعة فى شتى ربوع الامبراطورية العثمانية ، وهو السماح للبضائع الأجنبية بالدخول الى البلاد بمقتضى الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت بين الامبراطورية العثمانية وبين الدول الاوربية ، وعلى هذا فلم يكن يستطيع فرض رسوم جمركية على الوارد .

وكان يوصى دائما باستخدام المواد المحلية فى الصناعة ، بدلا من استيرادها من الخارج ، بل حث معاونيه على ذلك ، واصدر أوامره بعدم استيراد الحبال من الأجانب ، وذلك لتوفر مادة القنب فى البلاد (١٦٢) ، وكما رأينا انه عندما كسدت صناعة الزجاج وكثر انتاجها اصدر أوامره بعدم استيراد الزجاج الأوربى ، كما أنه كان يشجع استخدام المداد المصرى بدلا

---

(١٥٩) كلوت بك : لمحة عامة الى مصر تعريب محمد مسعود ، جـ٢ ، ص ٤٨٥ .

(١٦٠) دفتر ١٩ معية تركى وثيقة ٦٢ بتاريخ ١١ رمضان عام ١٢٤٠هـ . من جناب الخديوى الى ناظر قسم فوه .

(١٦١) ديوان الفابريقات والعمليات وثيقة ١٢/١١ بتاريخ ٢٧ جمادى الاولى عام ١٢٥٧هـ .

(١٦٢) دفتر ٤٤ معية تركى وثيقة رقم ٤٧٨ بتاريخ ٦ جمادى الاولى عام ١٢٤٨هـ .

من استيراده من الآستانة (١٦٣) ، وبرغم من أن أسعار السلع التى كانت تنتج محليا كانت أغلى بكثير من السلع المستوردة ، الا أنه كان يصر على استخدام الانتاج المحلى مثل الطرابيش بل انه كان يتفاخر بهـا ويرتديها (١٦٤) .

ولم يكن محمد على يشجع الانتاج الصناعى فقط ، بل كان يعمل على زيادة انتاج المواد الأولية ، ولذلك - رأينا - أنه عندما أقيمت صناعة الجوخ أحضر الأغنام من أسبانيا ، ومعها راعيها ، وعندما زاد استخدام الكحول فى المصانع حاول انتاجه ، ولكنه كان يتخلى عن انتاج بعض السلع التى لا تماثل جودتها جودة الصناعات المستوردة ، مثلما حدث فى انتاج مادة الصودا الكاوية التى تستخدم فى فابريقة الطرابيش ، فى فوه ، فاضطر الى استيرادها من الخارج (١٦٥) ، واتجه محمد على أيضا الى انتاج بعض الآلات فى مصر ، ولذلك أوصى باستيراد آلات الغزل والنسيج من أوربا ، وعمل على تصنيع الآلات الخشبية فى مصر (١٦٦) .

وأراد محمد على أن يشجع التجارة الخارجية ، فبدأ ببناء السفن لتخفيض تكاليف الانتاج ، وزيادة المصنوعات ، وقد عمل على تحقيق سياسة الاكتفاء الذاتى بالنسبة للمصنوعات الهامة كالأقمشة القطنية ، بل عمل على تصدير بعض المصنوعات الى الخارج ، ولذلك أرسل بعض الأثواب للعرض فى أوربا على سبيل التجربة (١٦٧) .

---

(١٦٣) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٤٥٣ .

(١٦٤) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٨٣ .

(١٦٥) دفتر ٥٩ معية تركى وثيقة رقم ١٨٤ بتاريخ ١٤ جمادى الآخرة عام ١٢٥٠هـ .

(١٦٦) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٥٠١ .

(١٦٧) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ص٥٠١ .

ولقد أرسل خمسة أثواب من انتاج المصانع المصرية الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى يغزو أسواقها وقد استعان بالوكلاء لتصريف منتجاته ، ولذلك كان له وكلاء فى فرنسا ، وأزمير ، ومالطه ، وانجلترا وايطاليا ، والهند (١٦٨) .

وعمل على تشجيع الصناعات المحلية ، حتى أنه أعفاها من رسوم الصادر مع ما فى ذلك من مخالفة للاتفاقيات الدولية ، وقد لجأ الى منح بعض أصدقائه الحق فى احتكار بعض المنتجات لتصديرها الى الخارج ، وهذا ما حدث عندما باع «البفتة» الخام كلها لمدة سنة بمبلغ ٠٠٠ر١٨٠ جنيه (١٦٩)، وقد كان لهذه السياسة أثر سىء حيث أفلس بعض العملاء ، ولم يقدر بعضهم على دفع ما هو مقرر عليه .

ولم يكن محمد على حرا فى اختيار السياسة الجمركية التى تتلاءم وحاجة البلاد ، فقد كان يرتبط بالمعاهدات التى يعقدها الباب العالى مع الدول العظمى ، ولذلك صدرت الأوامر عام ١٨٢٠م بألا تتجاوز الضرائب عن ٥٪ على الواردات من تركيا و ٣٪ واردات سائر الدول وكانت تفرض فى بولاق ضرائب اضافية بواقع ٤٪ ، وكان للقناصل مصلحة مباشرة فى التأكد من تطبيق تلك القواعد ، لأنهم كانوا انفسهم من كبار التجار والمستوردين (١٧٠) .

ولذلك لم يكن بوسعه وقاية الصناعة الناشئة من المنافسة الأجنبية عن طريق فرض الضرائب الجمركية ، ولو انه كان يتمتع بحماية طبيعية بسبب ارتفاع مصاريف النقل ، هذا الى أن السلع المحتكرة كانت مستثناة

(١٦٨) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٩٠ .
(١٦٩) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، جـ٤ ، ص ٢٥٣ .
(١٧٠) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر : ص ٤٨ .

من النظام الجمركى السائد ، وقد أدرك الباب العالى أهمية الاحتكار الحكومى فى النظام الاقتصادى الذى أقامه محمد على وعظم الدخل منه ، ومن ثم عملوا الى منح الدول امتيازات جمركية واعفاءات بقصد احراج محمد على وايقاع الشقاق بينه وبين الدول العظمى ووضع العراقيل فى سبيل دعم الاقتصاد المصرى (١٧١) .

كما أن احتكار الشراء المحلى أتاح له فرصة توجيه طلب المصالح الحكومية الى الانتاج المحلى ، وتقييد استيراد السلع التى يخشى من منافستها للمنتجات الوطنية مثال ذلك منع استحضار البارود وملحه من الخارج (١٧٢) ، كما أنه توجد بعض السلع التى احتاج اليها بشدة ، الأمر الذى يصعب معه الحد من استيرادها مثل الآلات والمعدات والسفن والوقود ولذلك اضطر الى أن يحد من استيراد سلع الاستهلاك العادية .

وكان الباب العالى يعمل بكل السبل على أضعاف قوة محمد على الحربية عن طريق حرمانه من مصادر دخله والتى كانت تتمثل فى الاحتكار وساعده فى ذلك رغبة بريطانيا فى تأمين حرية التجارة فى الامبراطوريه العثمانية وضمان أسواق لمنتجاتها الصناعية ، وازالة ما يتعرض لها رعاياها من تمييز فى المعاملة ، وكما رأينا بدات الحملة بانتهاء الاحتكار فى سوريا عام ١٨٣٤م وانتهى الأمر باتفاقية بلطة ليمان عام ١٨٣٨م التى سددت طعنة شديدة الى نظام الاحتكار .

ومن هنا فان محمد على أراد من ذلك بناء دولة على أسس اقتصادية متينة ، وذلك بسيطرته على الموارد الاقتصادية وتدعيم نفوذه السياسى بعد القضاء على المماليك فى مذبحة القلعة عام ١٨١١م .

---

(١٧١) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(١٧٢) دفتر ٧١ معية تركى وثيقة رقم ٣١٦ بتاريخ ١٤ ذو القعدة عام ١٢٥١هـ .

الفصل الخامس

انهيار الامبراطورية المصرية
واثر ذلك فى الصناعة

انهيار الامبراطورية المصرية
واثر ذلك فى الصناعة

شيد محمد على صرحا عظيما من الصناعة ، وأقام الكثير من الصناعات الحربية والمدنية ، وادار الكثير من الآلات وعمل آلاف من العمال المصريين فى المصانع ، وأرسل الكثير من البعثات الى الخارج واستقدم الكثير من الخبراء الأجانب فى شتى لمجالات ، وبنى مصر الحديثة ، ونستطيع أن نقول بأنه مؤسس مصر الحديثة بجيشها القوى ، وأسطولها العظيم ، وأقام الكثير من الصناعات وأصبحت مصر اقوى دولة فى المنطقة فى ذلك الوقت ، وهدد الدولة العثمانية نفسها لولا تدخل الدول الأوربية ، وخاصة أنجلترا التى كان يهمها وقبل كل شىء بقاء الدولة العثمانية ضعيفة ، لكى تستطيع تصريف منتجاتها الصناعية ، وخاصة بعد الفترة التى شهدت فيها النهضة الصناعية وأيجاد أسواق لها ، ولكنها وجدت فى الصناعات المصرية أكبر منافس لها .

وبدأت انجلترا تعمل ضد محمد على ، ولا يمكن اعتبار اتفاقية بلطة ليمان عام ١٨٣٨م التى عقدت بين انجلترا وتركيا كانت أهم الأسباب التى ادت الى فشل الصناعة المصرية الناشئة ، ولكن الحقيقة عكس ذلك ، لأنه حتى عام ١٨٣٨م لم يكن يهم أنجلترا أو الدول الأوربية منافسة الصناعة المصرية ، لأنها كانت قد تدهورت قبل أن تبدأ المفاوضات حول الاتفاقية ثم انهارت نهائيا بسبب نقط الضعف الكامنة فى سياسة محمد على الصناعية .

وهناك بعض الأسباب الخارجية والداخلية التى ساعدت على هذا الانهيار ونفصل الحديث فى ذلك .

الأسباب الخارجية :

أنشأ محمد على جيشا قويا ، يفوق فى تنظيمه وتسليحه وتدريبه كل الجيوش الموجودة فى الامبراطورية العثمانية ، واستطاع بهذا الجيش أن يحمى مركزه وأن يضمن استمرار حكمه فى مصر ، ولقد لجأ اليه السلطان العثمانى محمود الثانى عندما احتاج الى مساعدة محمد على العسكرية للقضاء على الثورة اليونانية (١) .

قامت الثورة فى اليونان ضد الحكم العثمانى فى عام ١٨٢١م ، وعرض السلطان عليه فى عام ١٨٢٢م باشوية كريت نظير اعادتها الى حظيرة الدولة ، والقضاء على الثورة التى شبت فيها . وفى عام ١٨٢٤م نجح محمد على فى أداء هذه المهمة . وعرض عليه السلطان حكم شبه جزيرة المورة بنفس الشروط السابقة وتعاونت القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا والقوات العثمانية بقيادة خسرو . وفى عام ١٨٢٥م نزل ابراهيم بقواته وحقق نجاحا ملحوظا ، لم تحققه القوات العثمانية ورأى ابراهيم باشا أن يتخذ اجراءات عنيفة ضد اليونان ، ولكن الدول الأوربية لم توافق على هذه الأعمال وكانت الروسيا أسبق الى التدخل لصالح اليونان . ولكن الدول الأوربية وقفت ضد هذا التدخل خشية أن توطد الروسيا نفوذها فى البلقان والشرق . واتفقت انجلترا وفرنسا والروسيا فى عام ١٨٢٧م فى معاهدة لندن بفرض هدنة حربية وذلك بارسال اساطيلهم الى مياه المورة . ولكن انتهى الأمر بمعركة نفارين البحرية ٢٠ أكتوبر عام ١٨٢٧م وقضى على الاسطولين المصرى والعثمانى (٢) .

---

(١) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ — ١٩١٤ ص ٢١٥ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١١٦ — ١١٧ .

لم يحقق محمد على أى استفادة من الاشتراك فى هذه الحرب ، فبدأ بعمل للاستيلاء على سوريا بسبب الدوافع الاستراتيجية ، وحاول محمد على فى بادىء الأمر أن يستولى على سوريا بالوسائل السلمية ، وتقدم بطلب ذلك الى أستانبول عام ١٨٢٧م ، ولكن السلطان رفض طلبه . ولكنه وجد مبررا لتدخله فى سوريا وذلك عندما آوى عبد الله باشا الفلاحين المصريين الذين فروا من مصر تخلصا من الخدمة العسكرية (٣) .

وبدأت قوات ابراهيم باشا فى أكتوبر عام ١٨٣١م تعبر الحدود ، وتحركت نحو عكا ، وحاصرتها واستسلمت عكا فى مايو عام ١٨٣٢م ، وفى الشهر التالى هرب حاكم دمشق ، ودخل ابراهيم المدينة دون مقاومة ، ثم تقدم شمالا ، وهزم قوة عثمانية عند حمص واستولى على حلب ، وانتصر عند ممر بيلان بالقرب من الاسكندرونة على جيش عثمانى قادم للدفاع عن سوريا ، وأستمر تقدمه نحو هضبة الاناضول فى ديسمبر عام ١٨٣٢م هزم جيشا عثمانيا يقوده الصدر الأعظم نفسه بالقرب من قونية (٤) . وفى يناير عام ١٨٣٣م بدأت الاشاعات تتردد عن عقد محالفة تركية روسية . ولقد كانت مصالح الروسيا تقتضى بقاء الدولة العثمانية على حالها من الضعف ، فلما رأت جيش محمد على يجتاح الشام ويشرف على جبال الاناضول تخوفت من مسيرته الى القسطنطينية ، واستيلائه عليها ، والقضاء على مطامع الروسيا فيها . وقد أزعج بريطانيا وفرنسا أمر هذا التدخل ، وحاولتا انهاء الخلاف بين الوالى والسلطان ، حتى لا تجد روسيا سببا للتدخل (٥).

فجاء الجنرال مورافييف الى الاسكندرية فى ١٣ ينساير عام ١٨٣٣م ليعرف أهداف محمد على وقابله وعرض عليه الوساطة بينه وبين السلطان

---

(٣) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ — ١٠١٤م ص ١١٨ ، ص ١١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

ووافق محمد على بل وقع فى حضوره على امر الى ابراهيم باشا بعدم التقدم بعد قونية . كما أن فرنسا عن طريق سفارتها فى أستانبول وبايعاز منهـا أرسل السلطان العثمانى مندوبا عنه فى ٢١ ينـاير عام ١٨٣٣ ليفاوض فى حسم الخلاف وديا (٦) ، وأرسل الاميرال روسين (Roussin) الفرنسى الى محمد على يطلب اليه الا يشتط فى طلباته حقنا للدماء ، وأن يكتفى من فتوحاته بولاية صيدا (عكا) وطرابلس والقدس ونابلس (٧) .

وقد رفض محمد على هذه الشروط واصر على ضـم كل سـورية ، وولاية ادنة الى مصر ، وكان اصراره على الاحتفاظ بأقليم أدنه يرجع — وهو من صميم الاناضول — الى ما عرف من كثرة مناجمه ووفرة أخشابه ، ولأنه ينتهى بجبال طوروس التى أرادها محمد على أن تكون الحد الفاصل بين مصر والدولة العثمانية (٨) . وانتهى الأمر بصـلح كوتاهيـة (ابريل عام ١٨٣٣م) ، وسيطر محمد على على كل سورية الجغرافية (أى الشـام بجميع أجزائه) وصار ابراهيم باشا خلال السنوات الست التالية حاكما عاما على الولايات السورية وممثلا لوالده . على أن الحكم المصرى فى سورية لم يلبث أن أصطدم بثورات محلية نشبت فى مختلف المناطق ، فأساليب الحكم المصرى فى التجنيد وجمع السلاح والمال نفرت عنه قلوب العـامة ، فلقـد أصدر محمد على الى ابنه ابراهيم فى أوائل عام ١٨٣٤م الأوامر التالية (٩) :

١ — احتكار الحرير فى الولايات السورية .

---

6) Mohammed Sabry, L'Empire Egyptian sous Mohammed Ali et la question d'Orient, 1811-1849, P. 233.
كان مندوب السلطان هو خليل باشا

7) G. Douin, L'Egypté et la Syria en 1833 sociéte Royale de géographi d'Egypté, Puplication specials, P. 128.

8) M. Sabry, L'Empire sous M. Ali, P. 227.

(٩) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ — ١٩١٤م ، ص ١٢١ .

٢ ــ أخذ ضريبة الرءوس من الرجال كافة على اختلاف مذاهبهم .

٣ ــ تجنيــد الأهالى .

٤ ــ نزع السلاح من أيديهم .

ومن ناحية أخرى كان للدسائس العثمانية والانجليزية شــأن كبير فى تحريك تلك الثورات .

وفى عام ١٨٣٦م تأزم الموقف بين الوالى والسلطان ، ففى داخل سورية كان الموقف يهدد بالانفجار ، أما الموقف الخارجى ، فكان فى العام السابق اعتزم محمد على استقلاله ليقطع آخر صلة تربط مصر بالدولة العثمانية ، واستدعى قناصل بريطانيا وفرنسا والنمسا والروسيا وأخطرهم بذلك . ولكن ردودهم كانت غير مشجعة الا أنه لم يتخل عن ذلك ، وفى الوقت نفسه كان السلطان محمود يســتعد للحرب . وبدأ بالزحف على ســورية وبدأ الصدام بين القوتين فى سوريا وانتهى الأمر الى انتصار القوات المصرية على القوات العثمانية فى موقعة نصيبين عام ١٨٣٩م . وحدثت بعض التطورات الهامة ، منها أن قائد الاســطول العثمانى فوزى باشا سلم أسـطوله الى محمد على بالاسكندرية وكان لهذا اثر كبير فى المسألة المصرية ، لأن معنى ذلك جعل كفة مصر راجحة على الدولة العثمانية فى البر والبحر (١٠) .

لقد أثار انتصــار الجيش المصرى اذن المسألة المصرية وقفت الدول الأوربية مواقف مختلفة تبعا لاختلاف أطماعها ومصالحها . وكانت الحكومة البريطانية مهتمة بضرورة الحفاظ على كيان الدولة العثمانية ، اذ أنها تعتبر بقاءها عاملا لا غنى عنه فى بقاء التوازن الدولى فى أوربا (١١) وهى الدعامة التى ارتكزت عليها المصالح الانجليزية التى نظرت الى مصر والمسألة المصرية

---

(١٠) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ ــ ١٩١٤م ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

(١١) المرجع الســابق ، ص ١٢٥ .

خلال المواصلات الامبراطورية صوب الهند (١٢) كما أن انجلترا رأت أن تقف فى وجه محمد على وقررت أن تقضى عليه واعتمدت فى ذلك على خطوط اقتصادية ثم حربية لكى تصل الى النتائج السياسية .

فمن الناحية الاقتصادية بدأت انجلترا بالخطوة الأولى الهامة عندما وافق السلطان على اصدار تعليماته الى محمد على بأن يلغى أمره الصادر فى يوليو عام ١٨٣٤م ، والذى كان ينص بحظر تصدير المواد الخام من سوريا . وأصدر السلطان العثمانى فرمانا آخر عام ١٨٣٥م بازاحة العقبات التى كانت تعترض طريق التجارة البريطانية فى سوريا ووافق محمد على مضطرا ، وكذلك الحال بالنسبة لفرمانات تالية منحت لدول أخر لنفس الامتياز (١٣) .

وكانت الضربة العنيفة التى وجهت الى نظام محمد على الاحتكارى هى اتفاقية بلطة ليمان عام ١٨٣٨م ، التى وافق عليها السلطان العثمانى مدفوعا بعدائه لمحمد على . بالرغم من أن هذا النظام كان يمد حكومته بمصدر هام للايرادات الناتجة عن بيع حقوق الاحتكار ، وقد أصر بامستون وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت على تنفيذ ذلك فى الوقت المناسب التى ستفيد منه بقدر ما تستفيد الدول المتعاملة معها فقال (١٤) :

« ان كل من له علم بالمبادىء التى تنظم الثروات القومية لابد وأن يتضح له بأن أنظمة الباشا شأنها أن تجعل مصر وسوريا فى حالة فقر مدقع » .

وعندما تلقى محمد على أنباء الاتفاق الانجليزى التركى أعلن أنه سيرفضه اذ أخبر قنصل فرنسا العام ولكن عدل على رأيه ووافق لما وجد

---

(١٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والمسألة المصرية ، ص ١٣ .
(١٣) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٦٨ .
14) H. Dodwell, The founder of modern Egypt, P. 177.

من أن بعض نصوص هذه الاتفاقية لصالحه (١٥) .

وذلك لأن الرسوم الاضافية التى حددتها الاتفاقية ستوفر له مبلغا من المال ومع اقتراب نفاذ الاتفاقية الانجليزية التركية (١٣ مارس عام ١٨٣٩م) بدأ محمد موافقا على ضرورة تنفيذ شروط المعاهدة . ولاشك أن سلوكه مع الأوربيين كان وليد رغبته فى كسب تأييدهم أثناء صراعه الوشيك مع تركيا (١٦) .

وكانت النمسا أيضا تريد تعزيز مركز الدولة العثمانية حتى لا تعطى الفرصة للروسيا للتدخل فى شئونها ، وفرض الحماية عليها . وكانت روسيا تريد الوقوف أمام محمد على ، وانقاذ الدولة العثمانية من سيطرة هذا الحاكم القوى ، ـ أما فرنسا ـ صديقة محمد على ـ فكانت تميل الى اقرار محمد على فى سوريا وجزيرة العرب طبقا لصلح الكوتاهية .

وأراد السلطان العثمانى عبد المجيد أن ينهى النزاع مع محمد على سلميا ولكن الدول الأوربية الخمس (انجلترا ، وفرنسا ، الروسيا ، النمسا وبروسيا) تقدمت بمذكرة مشتركة فى ٢٧ يوليو عام ١٨٣٩م الا يعقد اى اتفاق بين السلطان العثمانى وبين محمد على . وانتهى الأمر بتقرير هذا النزاع بعقد مؤتمر للدول الاربع : انجلترا والروسيا وبروسيا والنمسا بدون حضور فرنسا وانتهت بعقد معاهدة (وفاق) لندن ١٥ يوليو عام ١٨٤٠م ، وتعهدت الدول الأربع بمساعدة السلطان فى اخضاع محمد على ، وتضمن الملحق المرفق بالمعاهدة المسائل التى تعهد السلطان بعرضها على محمد على وهى :

١ ـ أن يخول محمد على حكومة مصر وراثية وولاية عكا طول حياته .

---

(١٥) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٢٧٠ .
(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

٢ – أن يكون لمصر حق الاستقلال الداخلى بقيود معينة . تربطها بالدولة مثل الجزية وعدم تمثيل مصر فى الخارج .

٣ – تحديد عدد الجيش والاسطول وسلطة منح الالقاب وضرب النقود ... الخ .

ولكى تضع الدول هذه التسوية موضع التنفيذ تحرك الاسطولان الانجليزى والنمسوى فى البحر المتوسط ، واستوليا على بيروت وسقطت عكا وعلى اثر ذلك سلمت يافا ونابلس وارسلت بعض السفن الحربية الانجليزية الى الاسكندرية بقيادة نابييه Napien ودارت المفاوضات بينه وبين محمد على وخاصة بعد ان تخلت فرنسا عنه فى تسليم الاسطول العثمانى . وحدثت بعض المساعى واسفرت عن صدور فرمان عام ١٨٤١م (١٧) .

هذه هى نهاية امبراطورية محمد على واثر ذلك على الصناعة والزراعة والتجارة ولقد كان من اثر الازمة الدولية التى اثارها النزاع بين محمد على والسلطان ان فرضت اوربا نفسها على طرفى النزاع ووصلت الى حل وسط طبقا للمعاهدة لندن ١٥ يوليو عام ١٨٤٠م والخط الشريف الذى وقعه السلطان فى ١٣ فبراير عام ١٨٤١م وفرمان اول يونيو عام ١٨٤١ (١٨) .

وكانت التسوية بداية فترة جديدة فى تاريخ المسألة المصرية التى اصبح لها وضع خاص اما فى نطاق المسألة الشرقية او خارجا عنها ، فالدول الاوربية الكبرى قد ضمنت سلامة الامبراطورية العثمانية وتماسك اراضيها . وهكذا اضعف التحالف الاوربى محمد على فى مصر وفرض عليها وصاية

---

(١٧) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ – ١٩١٤م – ص ١٢٣ ، ١٢٦ .

(١٨) احمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والمسألة المصرية ، ص ١٩ .

بحيث تعرضت للتدخل الاوربى بكل أبعاده وبخاصة بعد تدفق الاجانب عليها منذ بداية حكم سعيد (١٩) .

ومن هذا نرى ان اتفاقية لندن عام ١٨٤٠م وفرمان عام ١٨٤١م أدى ذلك الى الحرية الاقتصادية بفك الاحتكار وترتب على ذلك أن نقص عدد الجيش إلى ١٨ الف جندى ، واضطر محمد على ازاء هذه الاتفاقات أن ينقص عدد الجيش ويطلق سراح الباقيين الذين عادوا الى قراهم ، ليعملوا بها ، كما كانوا يعملون من قبل ان ينتقص الى هذا الحد لضمان الأمن والسلام فى مناطق الشرق الأدنى ، كان الوضع الطبيعى هو عدم استمرار المصانع لحساب من تنتج أسلحة وذخيرة وعتاد حربى وملابس للجند وغيرها (٢٠) .

كما حظر على مصر بناء السفن الحربية الا باذن من السلطان (٢١) ولقد كان لهذا العامل فى ذاته السبب فى اهمال الصناعة اذ أنه من المعروف، كما عرفنا سابقا أن السبب الرئيسى لانشاء مثل هذه الصناعات هو تجهيز الجيش والاسطول بالمعدات الحربية الحديثة حتى لا يحرم من الذخائر والعتاد اذا ما ضرب عليه الحصار البحرى . وبالاضافة الى ذلك كانت فابريقات (مصانع) الغزل والنسيج تخصص جزءا كبيرا من أنتاجها لخدمة القوات المتحاربة ولكن بعد تخفيض هذه القوات تناقص عدد المشتغلين بها ، وادى ذلك الي تدهور الصناعة .

وبعد صدور فرمان عام ١٨٤١م دب الاهمال فى الترسانات والمصانع الحربية كما لحق التدهور بالصناعات المدنية التى كانت تزود البلاد بحاجتها من السلع الاستهلاكية وصار عدد العاملين فى المصانع الحكومية ٧٣٩ر١٦ فى

---

(١٩) المرجع السابق ، ص ٦٠ .
(٢٠) أمين عفيفى مصطفى عبد الله : تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٩٩ .
(٢١) عبد الرحمن الرافعى ، الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، عصر محمد على ، جـ٣ ، ص ٣٤٨ .

عام ١٨٤٧م بعد أن كان عدد العاملين ثلاثين الفا (٢٢) . كما تضاءل انتاج المصانع الحكومية ماعدا القليل منها ، وكما رأينا فانه لم ينج من هذا التدهور العام سوى مصانع الاقمشة الشعبية والطرابيش . وقد ساعد على انهيار الانتاج المحلى ازدياد الواردات من السلع الرخيصة الثمن التى لم تستطيع الصناعة المحلية مجاراتها دون حماية جمركية .

وقد بدأت بوادر الضعف والانحلال تظهر حتى قبل تخفيض عدد القوات العسكرية ، وذلك باغلاق بعض مصانع الغزل وتحويلها الى ثكنات للجنود ، واعادة بعض المصانع الى ملكية أصحابها (٢٣) . على نحو ما حدث فى مصانع النيلة . وقد أسند محمد على أدارة المصانع التى لا تحقق أرباحا الى متعهدين (٢٤) ومنها مصنع الشيت بشبرا فانه لم يجد فائدة من استغلاله لحساب الحكومة (٢٥) . وقد صاحب ذلك نقص فى نفوذ نقابات الحرف التى حرمت من معظم حقوقها التقليدية فى عهد سعيد باشا ، وتلاشت اهميتها بعد الاحتلال البريطانى كما رأينا من قبل .

وبالاضافة الى ذلك تقد علا الصدأ الآلات المخزونة نتيجة لاغلاق المصانع فى أواخر عهد محمد على بل تآكل الكثير من الآلات بفعل الصدأ واغلقت أبواب مصنع الحبال ، ولم يبق منها سوى ورشة صغيرة لاصلاح البلف الصغيرة (٢٦) .

---

(٢٢) احمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٨١ .

(٢٣) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٧٣ .

(٢٤) محمد فؤاد شكرى ، وآخرون ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٣٣١ .

(٢٥) أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٥٠٢ ، محفظة ٩ تركى ، وثيقة رقم ١٠١ (١٧ ذى الحجة عام ١٢٦٥هـ) ، تقرير المستر طاموس خبير الشيت .

(٢٦) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٧٥ .

الأسباب الداخلية :

لم تكن معاهدة بلطة ليمان عام ١٨٣٨م أو معاهدة لندن عام ١٨٤٠م أو اتفاقية لندن عام ١٨٤١م أو فرمان عام ١٨٤١م عوامل أساسية فى هدم الصناعة المصرية ، بل هم ضمن العوامل فقط .

وقد كان تحديد عدد الجيش بثمانية عشر الف جندى بمثابة ضربة عنيفة وجهت للصناعات الحربية والبحرية والمدنية ، خاصة وأن معظم المصانع قد أنشئت من أجل سد حاجة الجيش . وهناك عوامل اخرى ادت الى هذا التدهور نذكر منها :

١ ـ العوامل الطبيعية والقوى المحركة :

من المعروف أن مصر فقيرة فى موادها المعدنية كالحديد والفحم ، وهى التى تستخدم فى المصانع ، ولذلك اضطر محمد على الى استيراد الفحم من انجلترا بأثمان باهظة ، ولم يعتمد على ذلك فقط ، بل بحث عن الفحم فى بلاد الشام ـ كما سبقت الاشارة ـ وكان يحث على إستخدام أصناف الوقود المحلية ، ولذلك استخدم كسب الكتان فى ادارة مصانع النحاس (٢٧) ، وتم اجرى بعض التجارب على إستخدام بذرة القطن وقودا ، وأمر بالبحث عن اشجار الصنصاف وكان يقطعها ، ويتم تحويلها الى فحم . ولكن كانت مشكلة الوقود أثرت كثيرا ، نظرا للتكاليف الكثيرة فى النقل وكانت معدلات الاستهلاك فى المصانع مرتفعة ويرجع هذا الى جهل القائمين على استخدام هذا الوقود (٢٨) . ولقد كانت طريقة بناء الافران خاطئة ، وأدى ذلك الى ارتفاع نسبة ما تستهلكه من وقود .

---

(٢٧) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٥٣٥ .

28) Mengin, Histoire Sommaire; P. 213.

وقد استخدم محمد على المواشى فى ادارة الآلات ، ولكن كانت سرعتها متفاوتة وادت حركاتها غير المنسقة الى ارتجاج الآلات واهتزازها ، ويؤدى هذا بالتالى الى وقفها وتلفها (٢٩) ، وبالاضافة الى ذلك فقد كانت المواشى قليلة ، وحاجة المزارع اليها ماسة ، ولهذا لم يسهل الاستغناء عن عدة آلاف للصناعات القائمة (٣٠) ، وقد ادى أرهاق هذه الحيوانات الى موت الكثير منها ، وتوقف العمل نتيجة لاستبدال هذه الحيوانات .

وقام محمد على بمحاولات عديدة لاستخدام المياه كقوة محركة ، وخاصة بعد أنشاء المشروعات الكبرى لضبط مياه النيل ، وأنشاء القناطر . وقد اراد أن يدير مضارب الأرز بالزقازيق (٣١) ومصـــنع الورق بالجعفرية من قناطر الزقازيق (٣٢) ، وحاول أن يستفيد من حركة الرياح باستخدامها كقوة محركة في إدارة الآلات ، وعمل على إنشاء طواحين الهواء ، حتى يمكنه الإستغناء عن الدواب (٣٣) .

وكانت سياسة محمد على تهدف الى استخدام الآلات البخارية وأحلالها محل الحيوانات ، الا أن مشكلة نقص الوقود ، وكثرة نفقات استيرادها ، جعل تكلفتها كثيرة ، كما أن الذين اشرفوا على ادارتها لم يكونوا مدربين بما فيه الكفاية ، حتى يمكن صيانتها ، ولذلك وجدت التالف من ثمان بحالة جيدة عام ١٨٤٠م (٣٤) . وقد ادى الاسراف فى استعمال هذه

---

(٢٩) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٦٧٠ .

(٣٠) راشد البراوي ، التطور الاقتصادي في مصر في العصر الحديث ، ص ٦٦ .

(٣١) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٤٥٦ .

(٣٢) دفتر ٦٨ معية تركى ، وثيقة رقم ١٨٤ بتاريخ ١١ جمادى الآخرة عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى محمد افندى وكيل المجلس .

(٣٣) دفتر ٧١ معية تركى وثيقة رقم ١٦٣ بتاريخ ٤ شوال عام ١٢٥١ هـ. من الجناب العالى الى مختار بك ناظر المجلس .

(٣٤) هيلين آن ريفلين ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

الآلات دون نظام الى توقفها لاصابتها بالخلل وكان لابد من انقضاء وقت طويل لاصلاحها ، بل احيانا ما يستدعى الامر لارسالها الى الخارج ، رغم ما تتكبده من نفقات وجهد ضائع (٣٥) .

ولكن يجب أن نعرف أن محمدا عليا ارسل الكثير من البعثات الى الخارج لكي يتدربوا على استخدام هذه الآلات ، كما انه استقدم الكثير من الخبراء لتعليم المصريين ، ويكفي أن نستشهد على كفاءة العمال المصريين برأي كلوت بك عندما اشار بمهارتهم فى الترسانة وغيرها ، بل يجب أن نذكر أن محمد على أراد أن يقوم بصناعة بعض الآلات محليا بدلا من استيرادها من الخارج (٣٦) ، مثل عمل المبارد وغيرها ، ولكن قابلته صعوبات كثيرة مثل قلة المهندسين المدربين ، كما أن المصانع والترسانة لم يكن بوسعهم تحديد مواعيد محددة لانجاز ما عهد اليهم بصنعه (٣٧) لأنهم كانوا مشغولون بأعمال الجيش والاسطول (٣٨) ، بالاضافة الى ذلك ، كانت هذه الآلات رديئة الصنع اذا قيست بالآلات المستوردة فى ذلك الوقت .

ويقول البعض أن محمد على كان يستورد الآلات دون مراعاة لأحوال البلاد الجوية ، فكانت ذرات التراب تتسرب الى داخل العجلات وغيرها من الأجزاء الدقيقة ويؤدى ذلك الى تعطيل الآلات ، كما أن ذلك يضر بأمشاط الندف وآلات الغزل بوجه خاص ، فكان العمال يخصصون وقتا كبيرا لتنظيف

---

(٣٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ـ محمد على ، ص ٧٠٦ .
(٣٦) محفظة ٢ « ديوان التجارة » وثيقة رقم ٣٧ بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٢٤٠ هـ : أمر من الجناب العالى الى ديوان التجارة .
(٣٧) دفتر ٧٧٩ ديوان خديوى تركى وثيقة رقم ٩٤ بتاريخ ٢١ جمادى الاولى عام ١٢٤٨ هـ . من الجناب العالى الى بوغوص بك .
(٣٨) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ـ محمد على ، ص ٧٠٦ . التاسع عشر ، ص ٢٨٨ .

الآلات (٣٩) . ولم يكن هناك عمال على مستوى طيب من المهـارة الكافية لتشغيل وصيانة الآلات ، كما أن المشرفين الأوربيين ينفصلون عادة قبل أن يحصل العمال المصريون على القدر الكافى لتدريبهم (٤٠) .

واذا أخذنا بأن محمد على كان يســتورد الآلات دون مراعاة لاحوال البلاد الجوية ، الا انه كان فى الوقت نفسه يعمل كل ما فى وسعه للحفاظ على هذه الآلات ، ويحاول أن يكفيها مع جو مصر ، فقـام بعمل المجـارى المائية من الطوب أمام أفران ودواليب الغزل لكى يحافظ عليها من الاتربة ، وقد فعل ذلك فى مصنع الحرير وغيره من المصانع الاخرى (٤١) ، وما قيـل عن عدم وجود عمال يتمتعون بمهارة كافية فيجب أن ننوه بالظروف التى مر بها العالم العربى عامة ، ومصر خاصة ويكفى أن البعض قال عن العـامل المصرى وكفاءته «ان المصريين يتقدمون تقدما سريعا فى بداية المرحلة الحرفية أسرع مما يتعلمون ، وانهم يقلدون كل ما يريهم المعلمون وهم عموما معلمون لم يكتمل تعليمهم ، وان الآلات تتعطل كثيرا بسبب الجـو المتشـبع بنترات البوتاسيوم الذى يتلف أدق جزء من الماكينات ، بينما تفسـدها الوصـلات العتيقة الجزء الدائر من المصنع . وهذه الاشياء يحافظ عليها فى انجلترا باستخدام أنقى أنواع الزيوت ، وضبط الأجزاء المجاورة لها ضبطا محكما ، لكنها تفسد فى مصر بسبب طبيعة التراب الذى يتكون من ذرات تكون دقيقة جدا ، لا يمكن لأى مبنى محكم ، أو نافذة محبوكة الزجاج أن يحول دون تراكم التراب بكميات كبيرة (٤٢) .

وعلى الرغم من أتخاذ جميع وسائل الحيطة والعناية فان أحسن الآلات

(٣٩) هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القـرن
(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .
(٤١) محفظة إبحاث ١٠١ ب دفتر رقم ٥ معية تركى الوثيقة رقم ١٧٣ بتاريخ ١١ شعبان عام ١٢٣٥ هـ من الجناب العالى الى الكتخدا .
42) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 415.

يلحقها كثير من الأذى ، وقلما يستطيع عامل اصلاح الآلة التى يشرف عليها (٤٣) ، مما أدى الى الاستمرار فى استيراد آلات جديدة . وكان يؤدى ذلك الى استيراد آلات يتعذر استعمالها لعدم وجود من يحسن ادارتها ، ويكون مصير هذه الآلات التخزين والاهمال ، ويضطر فى نهاية الأمر الى بيع هذه الآلات لعدم وجود أفراد يعرفون ادارتها مثلما حدث الآلات وأنوال صناعة الحرير (٤٤) ، بالاضافة الى ذلك كان الانجليز يبيعون اليه آلات لا تصلح للاستعمال ، أو قديمة ، أو تالفة ، كما حدث بالنسبة لمحالج القطن المستوردة من انجلترا والتى كانت تكسر بذرة القطن أثناء حلجها (٤٥). وباعوا له أيضا الآلات بأغلى الاسعار ، حتى أن بعض الآلات لم تكتمل اجزاؤها ، بالاضافة الى رداءة صنعها ، وعدم صلاحيتها للعمل ، وكان الهدف من ذلك كله هو قتل الصناعة المصرية فى مهدها (٤٦) ، كما أنه عندما يتعذر اصلاح الآلة أو استيراد أجزاء بديلة لها من الخارج ، كان ذلك يأخذ وقتا طويلا ، ويضطر الى العودة الى استخدام الطرق البدائية فى ضرب الارز فى مضرب رشيد (٤٧) .

كان محمد على شغوفا بجمع الماكينات بأنواعها اذا أبدى بعض الناس حاجتهم اليها فى بعض الاعمال الفنية ، وقد ادرك الاوربيون وبعض المحيطين به هذا الضعف ، واستفادوا ايما فائدة ، فبمجرد ظهور أى اختراع ميكانيكى ، يعنى هذا ان هؤلاء يلفتون نظره الذى لا يتردد بدوره فى طلب عينة من أجود

---

(٤٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٤٧ .
(٤٤) دفتر ٨٤٠ معينة تركى وثيقة رقم ٤٩٠ بتاريخ ٢١ شوال عام ١٢٥٠هـ ، من الجناب العالى الى ناظر الاصناف .
(٤٥) دفتر ١١ معية تركى وثيقة رقم ٧٨٨ بتاريخ ١١ ذى الحجة عام ١٢٣٨هـ . من جناب الخديوى الى البك الكتخدا .
46) Hamont, L'Egypté sous M. Ali, Vol. 2., P. 180.
(٤٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٢٢٩ .

نوع . وكانوا يأخذون عمولة تتراوح ما بين ٢٠٠٪ أو ٣٠٠٪ ، لأنه كان لا يشغل باله بالحساب ، وهذا يؤدى الى كثرة تكلفة شراء الآلة (٤٨) .

وبعد موت محمد على بقليل أعلن المهندس الانجليزى الذى زار ترسانة بولاق أن ما لا يقل قيمته عن ٢٠٠ر٠٠٠ر١ قرش من اغلى الآلات ملقى هناك يعلوه الصدأ ، ولا يعود بأى فائدة ، ولقد كانت جهـود محمد على وآراؤه وشغفه ولهفته على تنفيذ تلك الآراء شيئا خياليا ، اذ يعوزه سحر خاتم سليمان ، أو مصباح علاء الدين (٤٩) .

٢ ــ سـوء الادارة :

وهناك عامل آخر ادى الى تدهور الصـناعة وهو سـوء الادارة فى المصانع ولذلك فقد كانت فابريقـات نسـيج القطن تحت اشراف اثنين من الموظفين الاتراك أحدهما يختص بالوجه البحرى والآخر بالوجه القبلى (٥٠) وكان يدير كل فابريقـة ناظر (مدير) لا يفهـم كثيرا فى الحسابات وتنظيم الآلات والاعمال وكان كل همه أن يجعل كل شىء يعود عليه بالفائدة المادية . وكان محمـد على منهويا من الجميع ، فقـد كان مديروا المخـازن والنظار والوزانون يرتكبون السرقات يوميا (٥١) .

وبالاضافة الى ذلك كان المديرون يتبارون فى انفاق أقل المصروفات ، ومن أجل ذلك عمدوا الى استخدام الآلات أطول مدة ممكنة بصرف النظر عن صيانتها ورداءة انتاجها (٥٢) ، كما كانوا يستخدمون أحط أنواع الزيوت(٥٣) .

48) Murray, Memoire of M. Ali, P. 50.
49) Murray, Memoire of M. Ali, P. 50.

(٥٠) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر ــ محمد على ، ص ٤٥٤
(٥١) المرجع السابق ، ص ٧٠٦ .
(٥٢) المرجع السابق ، ص ٧٣٤ .
(٥٣) راشد البراوى : التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، ص ١٦٧ .

ويستطيع كل من له اتصال بهذه الأعمال فى المصانع أن يدرك الأثر السيء لمثـل هذا العمل .

ولكن اذا كان محمد على يخول للناظر (المدير) عملية الادارة وغير ذلك من الأعمال الاخرى الا اننا نلاحظ انه ادخل نظاما جديدا فى الادارة اعتبارا من عام ١٨٢٤م بأن عين ناظرا يقتصر عمله على مقارنة تكاليف الانتاج فى مختلف مصانع الغزل والنسيج ، وتعميم نظام الانتاج الذى ثبت صـلاحيته وزوده بسلطات واسعة ، وأوصى بذلك ، كما أمر بتكوين لجان فنية لتدرس وسائل تحسين الانتاج وتخفيض النفقات (٥٤) .

ويتصل بسوء الادارة أيضا نظام المركزية الذى يؤدى الى اضـاعة الوقت فطلب رطل من الشحم مثلا لابد أن يمر فى أدوار تستغرق أربعة أيام ولابد من توقيع عدد كبير من الموظفين (٥٥) ، كما حدث لمصنع السيدة زينب عندما طلب رطلا من الشحم يدخله فى حسابه الخاص ، ويطلب من الناظر افندى اعطاء تذكرة اى مطالبة لناظر مخازن بولاق بتحديد سعر الشحم ، وترد بالتالى الى ناظر المخازن يكتب عليها سعر الشحم ، وترد بالتالى الى ناظر مصنع السيدة زينب الذى يقدمها بدوره الى الكخيا ما لم يجـد عليها اعتراض ، فيختمها أو يوقع عليها بامضائه بكل ما يجب من الحرص ، فاذا ما انتهت هذه الدورة ترسل التذكرة الى الخزانة ، حيث يأخذ منها رؤسـاء الاقسام عدة صور طبق الاصل ويعد كل هذه الاحتياطات والرسميات تسلم السلعة لمخازن مصنع السيدة زينب ، حيث تمر تقريبا بدورة مشابهة قبـل أن تصل الى يد المدير (٥٦) .

---

(٥٤) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٥٨ .

(٥٥) راشد البراوى ، التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، ص ١٦٧ .

56) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P.; 418.

ولاشك أن الغرض من كل هذا هو الحيلولة دون وقوع حوادث الغش والاختلاس كما أن محمد على واجهته صعاب أيضا كالعثور على نظار أكفاء للمصانع ، وكانت المصانع كثيرا ما تبقى وقتا طويلا بدون ناظر وكان يعهد الى احد النظار بادارة عدد من المصانع (٥٧) وكثيرا ما عهد محمد على بادارة بعض المصانع الى بعض الضباط المتقاعدين ممن ليست لديهم خبرة تامة فى ادارة الاعمال الصناعية والتجارية (٥٨) . وكان محمد على يعطى مديرى المصانع سلطات محدودة ، ويحتفظ لنفسه بحق التوصية واتخاذ القرارات ؛ كما كان يرسل اليهم توجيهات عديدة بشأن تحسين الصنف ، والعناية بالحسابات وتخفيض أسعار التكلفة واحكام الرقابة (٥٩) . وكان يهدف من ذلك الى انتاج اجود الصناعات ، ولذلك كان يطلع على الجدائل المدهونة بالقطران ، والحبال المصنوعة لكبس القطن ، وطلب من العمال الفنيين (الاسطوات) اجادة صنعها وعدم رداءتها ، والا فانه سيعاقب بالضرب كل من ينتج انتاجا رديئا (٦٠) .

وكان النظار دائمى التنقل من مصنع الى آخر ، وكثيرا ما عهد اليهم بادارة صناعات يجهلونها تماما ، وهذا ما حدث عندما نقل ناظر القماش والخيوط الى منصب ناظر ورشة الحدادة برشيد (٦١) . ولنا أن ندرك الأثر السيء على الصناعة ، لأن مثل هذا الشخص قد اكتسب خبرة كبيرة فى مجال تخصصه السابق وكان يمكن أن يفيد فى مجال عمله السابق .

---

(٥٧) الوقائع العدد رقم ١٩٢ بتاريخ ٢٧ ربيع الاول عام ١٢٤٦هـ .
(٥٨) الوقائع العدد رقم ١٦٧ بتاريخ ٢١ صفر عام ١٢٤٦هـ .
(٥٩) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر . ص ١٧٥ — ١٧٦ .
(٦٠) دفتر ٨٥ معية تركى ، وثيقة رقم ١٧٨ بتاريخ ٢٣ ذى الحجة عام ١٢٥٢هـ . أمر من الجناب العالى الى الباشا مفتش الاقاليم .
(٦١) محفظة ٢ مجلس ملكية وثيقة رقم ١٠٥ بتاريخ ١٩ ربيع الثانى عام ١٢٥١هـ . من الجناب العالى الى مختار بك ناظر مجلس الملكية .

ولهذا انتشرت مظاهر الفوضى والاهمال فى ادارة الكثير من المصانع ، ماعدا الترسانة ، ومصنع الإسلحة الصغيرة ، ومصنع الطرابيش ، فقد كان نظام الادارة فى هذه المصانع حسنا (٦٢) .

٣ ـ المـواد الخـام :

وكان محمد على يتبع النظام الرأسمالى الفردى ، أى أن الحكومة هى التى كانت تقيم جميع المشاريع بنفسها ، وكان يسيطر على ادارة المشروعات المتعددة المتباينة ، ويشرف على تزويد كل منها بالمواد الأولية والوقود ، فضلا عن مباشرة توزيع المنتجات ومراقبة التكاليف وجودة الصنف ومما يدل على عنايته بتوفير الخام للفابريقات أنه كان يهتم بضرورة ارسال الغزل الخاص بورشة التزوية (٦٣) ، كما كان يرى ضرورة الاهتمام بتشغيل الاقمشة اللازمة لصنع الخراطيش والاقمشة اللازمة للسروج وضرورة ارسالها الى الجهات المطلوبة (٦٤) ، وكان يطلب دائما من نظار المصانع وضع ميزانيات تفصيلية عن حاجتهم المستقبلة من المواد الخام والوقود للاستعانة بها عند وضع خطط الانتاج ، حتى اذا لم يتيسر توفير هذه المادة يمكن استيرادها من الخارج ، ولكن يبدو تباطؤ بعض النظار أو اهمال بعضهم فى ارسال المطلوب فى الوقت المحدد فى ظهور عجز فى بعض المواد فى بعض المصانع ووجود زيادة فى بعضها ، والمثال على ذلك العجز الذى حدث فى الدوبارة بمصنع الطرابيش بفوه ، وقد أضطر عمل مقايسة عن مقدار الدوبارة اللازمة لمدة سنة (٦٥) ،

---

(٦٢) دفتر ١٥٨ شورى المعاونة تركى ص ١٢٨ الوثيقة رقم ٥٨٠ بتاريخ ١٤ شوال عام ١٢٥٣هـ . أمر عالى الى مدير المنوفية والبحيرة .

(٦٣) دفتر شورى المعاونة تركى ص ١٠٨ وثيقة رقم ٤٩٩ بتاريخ ٢٣ رمضان عام ١٢٥٣هـ . أمر عالى الى مدير المنوفية .

(٦٤) دفتر شورى المعاونة تركى ص ١٠٨ وثيقة رقم ٤٩٩ بتاريخ ٢٣ رمضان عام ١٢٥٣هـ . أمر عالى الى مدير المنوفية .

(٦٥) دفتر ٨ معية تركى وثيقة رقم ٥٩ بتاريخ ١٦ ربيع الاول عام ١٢٥٢هـ . أمر كريم الى ناظر مجلس محافظة رشيد محمود بك .

كما كان يضطر الى شرائها من السوق المحلية فى الحال ويتعرض لاستغلال التجار . بالاضافة الى ذلك كان لتعدد الجهات اثره فى تعطيل العمل ، فكان ناظر الجوخ مثلا يتصل بناظر الجهادية ، وهذا يتصل بديوان التجارة ، فيكلف الديوان وكلاء الحكومة فى أوربا بجلب السلع أو ينبغى لتدبيرها محليا . وبذلك ينقضى وقت طويل تظل المصانع خلاله عاطلة (٦٦) .

ولكن بالرغم من هذا ، فان محمد على كان يعمل على توفير المواد الخام لمصانعه لمدة سنة تقريبا ، وهذا هو الاسلوب الجديد المستخدم لتوفير المواد الخام بأرخص الاسعار عن طريق عمل مقايسة (مناقصة) لتوريد الدوبارة اللازمة لفابريقة الطرابيش لمدة سنة ، حتى لا يحدث شكوى فى عجز المادة الخام لهذا المصنع (٦٧) .

وهذا الاسلوب الذى اتبعه هو نفسه الذى تستخدمة مصانعنا الحالية فى عمل مناقصة محلية أو خارجية لتوريد المواد الخام . كما ان لكل تجربة اخطاء ، ولكن المهم الاستفادة من تلك الأخطاء وعدم التمادى فيها ، كوجود عجز فى مادة معينة ولكنها اى المادة نفسها زيادة فى مكان آخر ، وهذا يرجع الى سوء التنسيق .

ولم يكن محمد على ينتظر توريد المواد الخام ، انما كان يصدر الاوامر العاجلة لشراء الموجود منها لدى الاجانب الذين يعيشون بالبلاد ، فقد أصدر أمرا بشراء كمية القرمز الموجودة لدى احد الأجانب ، وارسالها لفابريقة طرابيش فوة ، حتى لا يتعطل العمل فيها (٦٨) .

---

(٦٦) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٧٧ .

(٦٧) دفتر ٨ ص ٧٠ وثيقة رقم ٩٩٠ بتاريخ ٥ جمادى الاولى عام ١٢٥٢هـ : أمر كريم الى ناظر فابريقة الطربوش على اغا القرباتى .

(٦٨) دفتر ١١ أوامر ص ٣٦ الوثيقة رقم ١٥٦ بتاريخ ٨ رمضان عام ١٢٤٥هـ : أمر كريم الى السيد أحمد العزيزى .

وكان يعمل على التنسيق بين الفابريقات ، ولذلك لما وجـد فى بعض الفابريقات التى تقوم بالغزل كميات زائدة من المواد الخام ونقصا فى بعضها الآخر اصدر أوامره الفورية بارسال الكمية الزائدة بالفابريقة وارسالها الى الأخرى التى تعانى من نقص فى هذه المادة ، وايضا أصدر أوامره بارسال مائة قنطار من القطن من فابريقـة شـبين الى فابريقة القماش بقـرية أبو تيج (٦٩) . كما اصدر أمر بتوفير المواد الخـام والعمال ومؤنة المواشى وغيرها ـ كمـا سبق أن رأينا ـ فى فابريقة ميت غمر وغيرها من الأوامر الأخرى .

كما أن القضايا الاخلاقية كانت كثيرة فى مصر كما لم تكن خطة توزيع العمال الا نوعا من السخافة ، وقد ارتكب الاتراك مظالم صارخة فى محاولاتهم اليومية لتنفيذها ، فعامل الغزل عليه أن يجدل ٢٢ رطلا فى اليـوم صـيفا وشتاء ، بغض النظر عن فروق التوقيت بين الفجر والغروب ، لأن هذا لم يؤخذ فى الحسبان ، كما لم تحتسب الزيادة فى كميات الانتاج ، ولم يؤد ما اطلع محمد على ووسائل الاعلام عن ظلم تلك اللائحة والعجيب انها بقيت نافذة المفعول فى جميع انحاء البلاد (٧٠) .

ورغم أن محمد على كان يجمع الاموال من كل جانب الا أن حوادث الاختلاسات كانت كبيرة ، وحدثت عدة اختلاسات فى أكبر مصانعه بقليوب فى يونيو عام ١٨٣٢ ، وانشغل النظار والكتبة فى القاهرة بالتحقيقات ومحاولة نقص الاختلاسات التى حدثت فى خزانة المصنع وفى مختلف المخازن ، وربما كان ذلك سببا فى عدم ثقته بشعبه ، اذ يعلم مدى أمانتهم علم اليقين ، واذا

---

(٦٩) دفتر ٧٦٩ ديوان خديوى تركى ص ٦٨ وثيقة ١٧٠ بتاريخ ٢٥ محرم عام ١٢٤٦هـ . من مأمور ديوان الخديوى الى رستم أفندى مأمور خليج ابيـار .

70) J. Augustus, Egypt and M; Ali, Vol. 2. P. 418.

غضب محمد على تجلى غضبه فى سياسة فظة قاسية على رقاب الجميع (٧١) .

٤ ـ ارتفاع نفقة الانتاج :

ويضاف سبب آخر أدى الى فشل الصناعة فى عهد محمد على وهو ارتفاع نفقة الانتاج للسلعة فى معظم المصانع وهذا يرجع الى خطأ النظام المحاسبى المتبع ، وعلى هذا فان معظم المصانع كانت لا تضيف ثمن المواد الاولية التى يحصل عليها من الحكومة الى ثمن التكلفة الكلى .

كما اهمل عدد منها مثل احتساب المصاريف الثابتة فى حسابات التكلفة والاحتياط للمستقبل باقتطاع جانب من الارباح لاستهلاك المبانى والآلات(٧٢) .

وكانت بعض المصالح الحكومية تأخذ بعض المنتجات بثمنا الاصلى دون احتساب اى ربح عليها . كما أن المصانع كانت تستخدم حوالى ثلاثة آلاف ثور ، ويتكلف الثور الواحد مبلغا يتراوح بين اربعة وخمسة قروش فى اليوم ، وانه لو استخدم الماكينات التى تدار بقوة المياه لأمكن خفض تلك النفقات (٧٣) . لذلك كانت أسعار بعض المنتجات المصنوعة محليا تفوق مثيلتها من المنتجات المستوردة من الخارج مثل نفقات آلات الجراحة التى كانت تصنع محليا (٧٤) . بالاضافة الى المرتبات والأجور العالية التى كانت تدفع للخبراء الاجانب الذين استقدمهم محمد على للعمل فى المصانع . كما كان المديرون يتبارون فى خفض تكلفة الانتاج والمصروفات ولا يعرفون شيئا عن الآلات ولا عن تركيبها ، كما أنهم لا يدركون ما تمس الحاجة اليه ، فكانوا يستخدمون الآلات دون صيانتها ، وترتب على ذلك رداءة الانتاج وزيادة

71) J. Augustus, Op. Cit., Vol. 2., P. 420.

(٧٢) على الجريتلى ، تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ص ١٥٣ .

(٧٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٧٠٦ .

(٧٤) المرجع السابق ، ص ٧١٧ .

لا يجرؤون على طلب المزيد من الرجال والمواد اذا ارادوا المحافظة على انتظام عملهم فى مصانعهم حتى لا يتعرضوا للتأنيب والزجر ، ولذلك كانوا يستخدمون الآلات دون صيانتها ، وترتب على ذلك رداءة الانتـاج وزيادة تكاليفه ، وقد حدث فى بعض مصـــانع القطن ذلك وانتهى الأمر الى تلف الآلات (٧٥) .

٥ ـ العمال والكفاءة الفنية :

ومن ضمن الأسباب التى أدت الى فشل الصناعة قلة الأيدى العاملة اللازمة للصناعة فى ذلك الوقت اذ كانت الزراعة فى حاجة اليهـا كلهـا ، بالاضافة الى هذا كان الجيش والاسطول والأعمال العامة قد القوا أعباء كثيرة على القوة الانسانية بحيث لم يكن من الميسور أن تتمكن مصر بسكانها القليلين من مواجهة هذه المطالب الكثيرة . ومن جهة أخرى لاحظ الكثيرون أن حالة العمال النفســية لم تكن لتدفعهم الى العناية ، وذلك راجــع الى الضغط ، والارهاق ، وســوء المعاملة وانحطاط مســتوى الاجور . وقد تعرضنا للتحدث عنهم فى مشاكل العمل والعمال عن هذه الأشياء .

وقد قال الرحالة الانجليزى سانت جون (٧٦) أن ثمن أكل العمال فى مصنع الخرنفش كان يخصم من أجورهم ، والمتبقى يدفع لهم نقدا أو قماشا وفى كثير من الأحوال كان يتأخر صرف ماهيــات الموظفين وأجور العمال ، وتعطى لهم بونات بها فتدفعهم حاجتهم الى المال الى بيعها للمرابين والتجار بخصم يتراوح بين ١٥٪ ، و ٢٠٪ ، ٢٥٪ من قيمتها الاسمية ، وفى هذا غبن كبــير . وكثير لهم وكثــيرا ما أظهر العمــل كراهيتهم للعمل بوسائل انتقامية مختلفة ، منها تعطيل الآلات وقد أحرقوا عمدا مصنع أسيوط ، وكان يعمل به نحو ستمائة عامل . هذا فضلا عن كثرة غيابهم عن العمل ولم تجد

---

(٧٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٧٣٤ .

76) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 4.

معهم وتسائل العقاب الشديدة الذى كان يوقعه عليهم رؤساءهم (٧٧) .

ولم يكن العمال متحمسين للعمل فى المصانع لاتباع سياسة الاجبار ، كما كان يجبرهم على الالتحاق بجيوشه ، لذلك لم يكن لهم حرية اختيار العمل الذى يريدون أن يزاولوه أو الحرفة التى يريدونها ، أو التى تتناسب مع كفاءتهم ، كما لم تكن لهم الحرية فى اختيار العمل الذى يختارونه ، بل كان يجندهم من الزراعة والمهن الحقيرة فى المصانع والترسانات ، بدلا من اغرائهم بالاجور العالية وغير ذلك من المشوقات ، ويقوم بجمعهم رجال الادارة ومشايخ الحارات . وقد جمعت الحكومة المتسولين للعمل فى المصانع ، كما زودت المصانع ببعض المجندين من الجيش واستخدمت فى المصانع النساء والأطفال (٧٨) .

ولكن يبدو أن هذا افتراء على محمد على من حيث استخدامه للنساء للعمل فى المصانع عن طريق الاجبار ، فقد ترك لهن الحرية فى اختيار العمل الذى يرضيهن كما ترك لهن الحرية أيضا فى غزل الكتان اما فى بيوتهن أو فى المصانع ويطلب من المشايخ معاملتهن معاملة حسنة وعدم الاعتداء على حقوقهن من حيث ارغامهن على العمل وخلاف ذلك (٧٩) . كما أن محمد على كان يوضع معدل أجر النساء فى غزل الكتان حتى يحسب على أساسها أجرهن وقد نفذت بالفعل (٨٠) . واذا كان محمد على استخدمهن فى الطبنلخانة ، فانه كان يستخدمهن فى الأعمال التى تتناسب مع ميولهن مثل

(77) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 1., P. 4.

(٧٨) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٢٢٨ .

(٧٩) محفظة ابحاث ١٠١ دفتر ٧٤٤ ديوان خديوى ، ترجمة الامر الصادر بتاريخ ٨ رمضان عام ١٢٤٣هـ : من الجناب العالى الى محمد أفندى مأمور تنظيم اشغال المحروسة .

(٨٠) دفتر ٧٣٢ معية تركى وثيقة رقم ٩ بتاريخ ٦ ربيع الاول عام ١٢٤٢هـ . من ديوان خديوى الى الكتخدا مأمور تنظيم اشغال المحروسة .

استخدامهن فى معامل النيلة ، وذلك لخلط النيلة (٨١) - كما سبق أن عرفنا - أو يوزع عليهن فى القرى مقدارا معينا من الكتان ويطالبهن بعودة هذا الكتان مغزولا فى وقت معين يحدد لهن ، ولكنهن يلجأن الى طريقة اتلاف أحد أعضائهن حتى لا يقمن بعملية الغزل كما كان يفعل الرجال تفاديا من الخدمة العسكرية (٨٢) .

ويلاحظ أن بعض النساء العاملات فى مصانع الغزل والنسيج كن يشتغلن محجبات الى جانب الرجال ، ويقول بوالكمت « أنهن كن يعملن بجانب الرجال لا تستر الثياب من أبدانهن غير القليل الا أن شدة المراقبة من رؤساء المصانع كانت حائلا دون احداث أضرار من وراء هذا الاختلاط (٨٣) . ولكن محمد على كان حريصا كل الحرص على عدم اختلاط النساء بالرجال فى المصانع ، ويصدر الاوامر بذلك مثل الأمر الذى أصدره الى ناظر فابريقة فوة عندما أوصى بالحاق ثلاثين شخصا من النساء والبنات للعمل فى الفابريقة المذكورة (٨٤) .

ومع أنه استقدم الخبراء الأجانب كما سبق ان رأينا - فى كافة المجالات الا أنه كان يلجأ الى أسلوب فصلهم من العمل بمجرد ان يتعلم المصريين الصنعة ، ومن ثم فقد كان الاوربيون يلجأون الى البطء فى تعليم المصريين وبالتالى يخفوا عنهم أسرار الصنعة كلها ، حتى يظلوا قليلو المعرفة

---

(٨١) دفتر ٧٦٤ معية تركى ص ١٢٤ وثيقة رقم ٣٨٥ بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٢٤٦هـ . من ديوان خديوى الى محمود افندى ناظر عموم المبيعات .

(٨٢) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٢٢٨ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٨٤) محفظة ابحاث ١٠١ دفتر ٧٤٤ ديوان خديوى تركى ترجمة الامر الصادر بتاريخ ٨ رمضان عام ١٢٤٣هـ . من الجناب العالى الى محمد افندى مامور اشغال المحروسة .

بالصنعة (٨٥) . وكان ذلك يؤدى الى التأثير على الآلات والصنعة نفسها .

كما أن عدم توافر الأيدى الفنية فى مصر ــ عندما بدأ محمد على حركة التصنيع ــ جعله يستقدم عددا كبيرا من الفنيين ــ كما سبق أن رأينا ــ من الخارج لتدريب المصريين على فنون الصناعات الحديثة ، ولكن ذلك لم يكن كافيا . لقد كان من الضرورى تكوين طبقة من المهندسين والفنيين المصريين حتى يستطيعوا مسايرة النهضة الجديدة ، وبخاصة بعد تلك العصور الطويلة التى عاش خلالها المصريين بمعزل عن النهضة الاوربية ، وعلى هذا فقد استقدم محمد على الخبراء الأجانب فى شتى مجالات الصناعة من فرنسا وانجلترا وايطاليا وغيرها . وقد ارسل له ابراهيم باشا بعض الأسرى الفنيين للعمل بالترسانة (٨٦) . كما أن استقدام المهندسين والعمال الاجانب كلفت محمد على نفقات باهظة التكاليف (٨٧) . ولكن كان لابد أن يفعل ذلك من أجل العمل على انجاح الصناعة المصرية الناشئة فى ذلك الوقت ، وقد عمل على احلال المصريين محلهم ، ولكن التجربة لم تكن موفقة الى الحد الذى كان يرجوه لا لعيب المصريين وذكائهم واستعدادهم الفطرى للتعليم ، فهذه حقائق حاول الأجانب ادخالها ضمن أسباب الفشل وأثبتت بطلانها تاريخ الصناعة فيما بعد (٨٨) .

٦ ــ الأسباب المالية :

ان مشروعا ضخما كالذى أقدم عليه محمد على كان يتطلب ملايين الجنيهات الأمر الذى لم تكن موارد البلاد لتستطيع ان تحتمله . وكما عرفنا

---

(٨٥) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٧٠٣ .
(٨٦) دفتر ٥٩ معية تركى ، وثيقة رقم ١٤٩ بتاريخ ٤ شعبان عام ١٢٥٠هـ .
(٨٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٧٣٤ .
(٨٨) راشد البراوى ، التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ، ص ٦٩ .

انه لم يكن فى البلاد رؤوس أموال اهلية يمكن استغلالها فى ميدان الصناعة، ولو فرض محمد على واباح لرؤوس الأموال الاجنبية تولى هذا العمل لانتقض الغرض الذى كان يرمى اليه من جعل كل شىء فى ايدى مصر نفسها (٨٩) .

وكانت النفقات التى تكبدها محمد على فى سبيل اقامة هذه المصانع باهظة للغاية ، اذ شرع فى تأسيس عدد كبير منها فى جميع أنحاء البلاد دفعة واحدة وخصص لها منذ البداية مساحات ، مستلهما فى ذلك عبقريته ، حتى لقد وجدت فى بعض هذه المصانع خمسة عشر الفا من العمال أو يزيد (٩٠) .

وليس من المستطاع احصـــاء جملة المبالغ التى انفقها محمد على فى الحصول على الآلات ، كما انه من غير المستطاع أن نعرف المدى الذى ذهب اليه الانجليز فى إستغلال حاجته اليهم ، حتى باعوه بأفدح الأثمان كثيرا من الآلات التى لم تكتمل اجزاؤها ، فضلا عن رداءتها وسبق استخدامها ، وعدم صلاحيتها ، ولولا أن الطمع الشخصى والرغبة فى إلكسب ، يكفيان لتفسير ذلك كله ، لظن أن المقصود هو قتل الصناعة المصرية الناشئة (٩١) .

ولم يكن العدد الوفير من الأوربيين الذين تتطلبهم تنظيم هذه المصانع أقل استدعاء للانفاق ، بل لقد عمل محمد على على زيادة النفقات بارساله فى كل يوم عددا معينا من المصريين ، لاتمام دراســتهم فى المدن الصناعية بفرنسا وانجلترا (٩٢) .

كما أن بعض المصانع لا يعمل بكامل معداته وماكيناته ، بل الكثير منها لا يعمل بنصف قوته ، وذلك لأن المعدات قد تآكلت فى بعض المصانع ، أو

---

(٨٩) المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٩٠) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٢٢٩ .
(٩١) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٢٢٩ .
(٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

لأن عدد العمال غير كاف فى البعض الآخر ، كما كان يتلف ٥٠٪ من المواد الخام بسبب جهل وإهمال المديرين والعمال وفى أغلب المصانع نجد أن قيمة الانتاج بعد الغزل أقل من قيمة القطن الخام ، فلو تأملنا هذه الظروف من جهة ، ورأينا أن محمد على يسخر الرعية فى العمل من جهة اخرى لظهر لنا بوضوح أن مصر لا تجنى من هذه المصانع أى فائدة رغم هذا فانه مستمر فى تشغليها ، اما انه لايريد ان يعترف بخطئه ، وأما لأنه مازالت عنده بعض الآمال بأنها ستدر عليه ربحا فيما بعد (٩٣) .

وهناك احتمال قوى بأن الأسباب نفســها التى اجتمعت لتقضى على مشروعاته فى صناعة الغزل والنسيج سيكون لها ذلك الاثر دائما ، ذلك لأن الحكومة الدكتاتورية ليس من طبيعتها أن تميل الى أن تجزى جزاء عادلا عن العمل وهو الأمر الذى يبعث السخط على الصناعة . ولهذا يرى المصريون من الدوافع ما يهيب بهم الى ترك البطالة وعادات الكسل ، وفى بداية الأمر وفى عنفوان التحمس للصناعة عندما لم يكن محمد على يفكر الا فى منافسة مانشستر وجلاسجو ، كان محمد على كريما مع المواطنين الأوربيين ، لكنه عندما اتيح له أن يستخدم مالا يقــل عن ١٢ الف عامل فى مصـــانع الغزل والنسيج وحدها ، رأى أن كل دخله لا يمكن أن يكفى للجزاء عن العمل أو الامتياز وهو بطبعه ميال الى الاسفاف والشطط ، لذلك انقلب كرمه ودماثته الى بخل واحتقار ، فلم يكن الاجر الذى يتقاضاه الفلاح التعس ليكفى لاقامة الأود (٩٤) .

ويقول البعض أن أى زائر عند دخوله مصنع النسيج لأول مرة سوف يشعر بالأسى فيرى الفلاحين البؤساء نصف عرايا وهم يؤدون عمليات لم يشهدها الا فى مانشستر ولكن بالنظرة الفاحصة يستطيع أن يكتشف جهلهم

93) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 414.
94) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 415.

واهمالهم — وعلى سبيل المثال — رغم ما تمليه البداهة ، هو أن أى كمية من القطن بعد مرورها من احدى الماكينات يجب أن تمرر فورا الى الماكينة التالية على حالتها كما هى ، لكن الاجراء الشائع فى جميع المصانع هو اتلاف الخامة الناتجة من احدى الماكينات المعينة قبل مرورها الى الماكينة التالية فى حدود نظام التشغيل .

وبالرغم من أن بعض الخبراء الانجليز الذين استعان بهم محمد على فى بعض مصانع القاهرة أدخلوا بعض التحسينات ، الا أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا آمال محمد على ، ولكن أوعزوا اليه بأن الطريق الوحيد الذى يمكن ان يجعل المصانع تدر فائدة كافية هو استخدام الآلة البخارية ، بدلا من الثيران ، ولكن ربما كان الغرض من هـذا الاقتراح هو الاسـتفادة الشخصية .

ويكفى أن نعرف أن أحد مصانع الصعيد الصغيرة قد تكلف بناؤه سبعة آلاف جنيه استرلينى هذا بخلاف ثمن الآلات وغير ذلك (٩٥) .

ومهما يكن الأمر ، فان النفقات اللازمة لبقاء الرجال والماشية على قيد الحياة لم تقـدر بأقل من مليون وخمسمائة الف قرش فى السـنة ، بينمـا الخسائر الناجمة عن هلاك المواشى واصلاح الماكينات واختلاسات النظار قد تجاوزت مليونى قرش غالبا — يسلم للمصانع ٧ آلاف قنطار من القطن الخام سنويا ، يتلف نصفها من الجهل والاهمال ويضيع النصف الآخر تصنيعا رديئا لا يتيح له اذا عرض فى أى سوق أوربية أن يعطى سعره الأصلى فى البالة (٩٦) .

وفيما يلى بيان خاص عن مقدار المواد الخام المستعملة وعن القطن المغزول فى مصانع الحكومة خلال شهر واحد ، وذلك من حيث ما انفق عليه

---

95) J. Augustus, Egypt and M. Ali, Vol. 2., P. 418.
96) J. Augustus, Op. Cit., Vol. 2., P. 418.

وما حصل منه لنرى كثرة التكاليف وكثرة العيوب (٩٧) .

غـــزل القطـــن (٩٨)

المصنع	ثمن القطن		النفقـــــات		اجرة العامل		مجموع الثمن والنفقات	
	بارة	قرش	باوة	قرش	بارة	قرش	بارة	قرش
مصانع الخرنفش	٤	١	١١	—	١٤	—	٢٩	١
	٤	٢	١١	—	٢٢	—	٣٧	١
	٤	١	١١	—	٣٠	—	٥	٢
	—	—	—	—	—	—	٢٩	١
	—	—	—	—	—	—	٢٧	١
	—	—	—	—	—	—	٥	٢

	مقدار البضائع	الطول بالذراع	الثمن فى فلسطين
بركال	١	٢٨	٤٠
بركال رفيـــــع	١	١٨	١٠
بفتـــة حمـــدية	١	١٨	١٥
محـــــلاوى	١	١٨	١٣
هنــــدى	١	٢٨	٣٦

(٩٧) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤٥٢ .
(٩٨) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٤٥٣ .

متوسط الانتاج الشهرى

المصنع	الــوزن الكـلى للقنطار ٢٥ ٪ أى الربـع	التالف مـن	الباقى بعـد التالف	التالف	الباقى بعـد التالف				مقـدار القطن المغزول
	السوزن								
	رطـلا	رطـلا	رطـلا	رطـلا	رطـلا	رطـلا	رطـلا	رطـلا	رطـلا
	٢٤١٩٦	٦٠٥٠	١٨١٤٦	١٢٠٠	١٦٩٤٦	٢٢٤٤	٤٧٠٢	١٢	٣٣٢٠
مصنع الخرنفش									
								١٨	١٠٩١
								٣٢	١٠٢٨١
	٤١٠٤	١٠٢٣	٣٠٧٩	—	٣٠٧٩	٦٨٢	٢٣٩٧	١٢	٧٦١
								١٨	٦٢٢
								١٢	١٩٤

وهذا بيان آخر يبين متوسط الانتاج الشهرى لمصنعين من مصانع محمد على هما مصنعا الخرنفش والحوض المرصود ، كما يبين عدد العمال ومقدار الأجور التى يتقاضونها على اختلاف طوائفهم (٩٩) .

٧ ـ احتكار الحكومة التصنيع :

كان من الضرورى لتصنيع مصر أن تأخذ الحكومة على عاتقها انشاء المصانع ، وتدريب العمال ، والبحث عن المواد الأولية ، وذلك لأن الصناعات كانت فى مصر بدائية ، ورؤوس الأموال الاجنبية غير مرغوب فيها ، ولقد قامت الحكومة لوحدها بالتصنيع ماعدا بعض حالات قليلة سمح لأرباب الأعمال الأجانب بانشاء مصانع فى مصر .

وبذلك تحملت الحكومة من النفقات على المصانع ما لا قبل لها به ، يقدر ما أنفقته فى اقامة المصانع وشراء ما لزمها من الآلات والمواد الأولية حتى عام ١٨٣٨م ، بما لا يقل عن إثنى عشر مليونا من الجنيهات الانجليزية ، بينما كان دخل الحكومة ١٣٥ر٥٠٤ر١ جنيها مصريا فى عام ١٨١٨م و ٧٠٠ر٩٩٦ر١ جنيها مصريا فى عام ١٨٢١م ، ٧٢٥ر٥٢٥ر٢ جنيها مصريا فى عام ١٨٣٣م ، ٣٠٠ر٠٦٤ر٣ جنيها مصريا فى عام ١٨٣٦م ، وفى ذلك ارهاق كبير لموارد الحكومة ولا يمكن الاستمرار على تلك الحالة (١٠٠) ، وفضلا عن ذلك كان مديرو المصانع موظفين حكوميين لا حافز لهم على الاجتهاد فى عملهم ، لأن مكسب المصانع عائد على الحكومة ، وكذلك الخسارة بعكس الحالة فى ظل النظام الراسمالى الفردى ، إذ يبذل صاحب العمل أقصى جهوده رغبة فى المكسب واجتنابا للخسارة (١٠١) .

---

(٩٩) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٤٩٢ .
(١٠٠) أحمد أحمد الحتة ، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ١٧٤ .
(١٠١) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

هذا رأى أحد الباحثين ولا يمكن قبوله ، فقد كان محمد على يصرف دائما حوافز بين العمال الفنيين الذين يعملون بمصانع النسيج وصلت الى ٥٠٪ حتى يتم التنافس بين العمال (١٠٢) .

وكان محمد على يصدر أوامره من حين لآخر لتشجيع عمال النسيج باعطائهم مكافأة نظير انتاج كل ثوب من القماش الجيد (١٠٣) ، وكان يوصى أيضا بزيادة فى مرتبات يوميات النشارين والحدادين والنجارين والبنائين والكيالين وعمال الطوب الذين يعملون بالانتاج (١٠٤) .. أى أنهم يأخذون على كل كمية ينتجونها أجرا معينا .

بل من أهم الأسباب التى أدت الى فشل حركة التصنيع فى مصر انه لم تراع أية قواعد اقتصادية ، ولم تنموا نموا طبيعيا ، بل كانت نهضة مفتعلة ليس لها هدفا الا سد مطالب الجيش . لقد كان الواجب اقامة بعض الصناعات فقط وبخاصة تلك التى تتوافر لها الامكانيات ، على أن تكون فى بداية الأمر صغيرة الحجم ، ثم تتطور بعد ذلك وتتوسع كلما زاد عدد السكان ، وكلما ارتفع مستوى دخولهم ومعيشتهم (١٠٥) .

كما أنه من المعروف أن اتساع حجم السوق يعتبر من الشروط الاساسية التى يجب توافرها لنجاح حركة التصنيع ، واذا كان الاستهلاك هو المحرك الأساسى للنشاط الاقتصادى ، فان الاستهلاك على نطاق كبير يمكن من التصريف الكبير ومن ثم الانتاج على نطاق واسع ، والتمتع بوفورات الانتاج الكبير .

---

(١٠٢) أمين سامى باشا ، تقويم النيل وعصر محمد على ، جـ٢ ، ص ٥١٥ .
(١٠٣) دفتر ٣ معية تركى ، وثيقة رقم ٤٣١ بتاريخ ١٧ ذو القعدة عام ١٢٣٤هـ . أمر الى الكتخدا بك .
(١٠٤) محفظة ١٠١ دفتر ٥ معية تركى ، وثيقة ١٨٣ بتاريخ ١٤ شعبان عام ١٢٣٥هـ . أمر الى يوسف أغا ناظر الوادى .
(١٠٥) على لطفى ، التطور الاقتصادى فى أوربا ومصر ، ص ٢٢٩ .

والواقع أن حجم السوق فى عهد محمد على كان ضيقا بسبب انخفاض مستوى الاستهلاك (١٠٦) ، ولعل أكبر دليل على ذلك أنه ما انتهى طلب الجيش بسبب انتهاء الحروب حتى بدأت الصناعة فى الانهيار .

ولاشك أن هذه التجربة الصناعية غير الموفقة التى قام بها محمد على قد كلفت مصر تضحيات كبيرة ، وكانت فى النهاية بالغة الضرر بالبلاد لأنها قضت على الصناعات اليدوية القديمة ، وأظهرت فشـــل الصناعات الآليه الحديثة ، مما جعـــل المواطنين فى مصر حتى عهـــد قريب جدا ينفرون من الاشتغال بالصناعة وكان كل النشاط الصناعى حتى الحرب العالمية الأولى فى أيدى الأجانب ، أما النفقات الطائلة التى تكبدتها فى مصر هذه التجـــربة الصناعية فكانت بالاضافة الى نفقات الحروب العديدة ، من أسباب فقـــر البلاد وارتباك شئونها المالية فى عهدى سعيد واسماعيل (١٠٧) .

بالاضافة الى ذلك ، فقد كان محمد على جريئا فظا لا يستقر ولا يتردد فى وسيلة تؤدى الى الغاية المنشودة ، وأما آراؤه فيمكن أن نصفها بأنهـــا الطابع الفرنسى ، وهى آراء عظيمة فى أغلب الأحيان مبشرة بالخير ، ولكنها غير عملية . وكان مغرما بمناقشة من يقابله فى أشد الأمور تعقيدا . ولم تكن آراؤه صائبة بل اعتمد على خياله المتوقد ، خاصة عند سماعه كلمات الثناء ؛ وقد أدى ذلك الى وقوعه فى أخطاء جسيمة ، وعلى رأسها تلك المحاولة التى قام بها من أجل تكوين جيش ضخم فقد جمع عددا كبيرا من أبناء الشعب ، مما أدى الى نقصان الأيدى العاملة فى الزراعة . كما أن خطته بتحويل مصر من بلد زراعى الى بلد صناعى قد قلل عدد العمال الزراعيين ؛ وقد طرأت لديه الفكرة الأولى لهذه الخطة الهوجاء عندما أدخلت زراعة القطن فى مصر .

---

(١٠٦) على لطفى ، التطور الاقتصادى فى أوربا ومصر ، ص ٢٢٧ .

(١٠٧) عبد المنعم فوزى ، مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، ص ٥٣ .

وهذا يتطلب سنوات من الخبرة وتكاليف باهظة وتعداد الشعب ضئيل والآلات تتلفها الرمال – ويحاول الرأى العام العالمى اقناع محمد على بعدم صلاحية المشروع من الناحية العملية ، لكنه على عكس معظم الرجال الذين يتسرعون فى التخطيط لا ينثنى عما يتمسك به من الأوهام ، فهو لا يعترف اطلاقا بالفشل وكأنما فى ذلك تعريض بشرفه (١٠٨) هذا رأى أحد الباحثين .

ومثل هذا الرأى لا يمكن قبوله شكلا وموضوعا ، لأن محمد على يريد أساسا عدم الاعتماد على الدول الاوربية فى سد حاجته وجيشه وشعبه ، لأنه اذا فعل ذلك ، فانه من المؤكد ، أن يقع تحت سيطرة الدولة الموردة له . وكان الرأى العام العالمى يهمه ، وقبل كل شىء أن تصبح مصر دولة زراعية من الدرجة الأولى وخاصة انجلترا لتكون سوقا رائجا لمنتجاتها الصناعية ، ومورداً للمواد الخام واتخذت كافة السبل لتحقيق ذلك ، وانتهى الامر باتفاقية بلطة ليمان عام ١٨٣٨م .

ومن المؤكد أن زراعة ذلك النوع الجيد من القطن يفيد دخل مصر كما تفيد زراعة النيلة والمحاصيل الكثيرة الأخرى التى أدخلها محمد على أو أكثر من زراعتها . ولو أنه اكتفى بانتاج المواد التى تفى بالاغراض العادية لكان ذلك أجدى وانفع ولو أنه صدر المحاصيل الخام لعاد عليه بالربح الوفير مما ينفع البلاد (١٠٩) .

ولقد دفعه القلق وعدم الاستقرار الى التجديد الأرعن ، فتدخل فى تحويل الملكية الزراعية عن جهل منه ، وكانت الضرائب التى فرضها على المزارعين باهظة ، فاضطر من لا يقدر على الدفع أن يترك الأرض كلية ، كما ألزم القرى أن توفر المثون له ، ولأصحاب النفوذ والسلطان بنصف

108) C. Murray, Memoire of M. Ali, P. 48.
109) C. Murray, Memoire of M. Ali, P. 48.

سعر السوق ، وهو تكليف قاس لانه يلزم القلة بأن تتحمل العبء الذى يجب أن يشترك فيه الجميع . كذلك اختلت التجارة وارتبكت بسبب كل تلك القيود السخيفة ، اذ وضع يده على احتكارات كثيرة واتبع سياسة صبيانية لاتليق بأى حكومة ولو أن هذه الاحتكارات وضعت تحت يد أى شخص لتضاعفت قيمتها عشرات المرات . وكان يبيع بضاعته لليونان والسوريين والأرمن والافرنج بالاجل مما عرض أمواله للضياع كذلك رفع أسعار الصادرات لدرجة قضت تقريبا على تلك التجارة تماما . وبهذا كان محمد على مثالا واضحا للحقيقة القائلة بأن المشتغلين بالتجارة هم أسوأ من يشرعون لها وكما أضر بمصالح الشعب ، فقد قل دخل البلاد بسبب خطته الحمقاء ، وكذلك كانت نزوات اكرامه للتجار غير معقولة ، اذ كان يبدى لهم النعمة والفضل كلما تراءى له ذلك كما كان مغرما بالاشتراك معهم فى عمليات تجارية مغامرة مما أدى الى ضياع مبالغ طائلة (١١٠) . وكانوا يربحون أما هو فقد خسر ، وكان يقرضهم المال والنصح فيأخذون الاموال ولكنهم يعتذرون عن ردها بحجة أنهم قد اتبعوا نصيحته ولو أن احد التجار المعروفين لدى محمد على أدعى بأنه خسر فى عملية تجارية كان هو طرفا فيها ، فانه — أى محمد على — لا يرى أقل من أن يعطيه اربعة آلاف أو خمسة آلاف جنيه لضبط الميزانية ، خاصة أنه هو المسيطر على الخزانة دون أى رقيب أو حسيب ، والدخل كان ثلاثة ملايين جنيه فى السنة ، فكان بمقدوره أن ينغمس فى أى اسراف من هذا القبيل ، لكنه أفلس فى النهاية ومات وهو غارق فى الديون (١١١) .

وهناك سبب آخر فالفلاحون المصريون لم يريدون أن يتحولوا الى بروليتاريا فكانوا يجمعون تقريبا بنفس الطريقة التى يجمع بها الجنود ،

---

110) C. Murray, Op. Cit., P. 49.
111) C. Murray, Memoire of M. Ali, P. 50.

ويرسلون الى المصنع حيث يبقون الى أن تسنح لهم فرصة الهرب (١١٢) . وقد أثرت سياسة محمد على الصناعية على الزراعة تأثيرا مضادا له مغزاه، ففى المحل الأول جذبت الصناعة من الزراعة رؤوس أموال كبيرة ، كان من شأنها أن تحقق عائدات أضخم ، فيما لو أعيد استثمارها فى الزراعة . كما أنهــا حرمت الزراعة من عــدد كبير من العمال الذين كانت تحتــاج اليهم الزراعة . كما أن عددا كبيرا من الثيران قد أخذ من الزراعة لتوفير القوى المحركة اللازمة لتشغيل الآلات فى المصانع (١١٣) .

تلك هى الأسباب الخارجية والداخلية التى أدت الى تدهور الصناعة فى عهــد محمد على ــ وأدت الى نهــاية امبراطورية محمد على وفشــلت مشروعاته لكبيرة فى كل من اليونان وسورية لأنها لم تتفق مع سياسات الدول الأوربية التى بدأت منذ عام ١٧٩٨م تهتم بشرق البحر المتوسط، وعلى الرغم من ذلك فقد حقق محمد على نجاحا محدودا ، ففى عام ١٨٠٥م حصل على لقب والى مصر ، وكان أول وال يمارس نفوذا حقيقيا منذ قرنين من الزمان ، فأنشأ قوة عسكرية اســتطاع بواســطتها أن يدعم مركزه لا أمام منافسيه المرتقبين فحسب ، بل أمام السلطان العثمانى نفسه . وعلى الرغم من ذلك بدأ نشاط محمد على يتلاشى بعد ضياع سوريا ، فعاش تسع سنوات أخرى لكنه أصبح غير قادر على الاضطلاع بأعباء الحكم قبيل وفاته لاصابته بضعف فى قواه العقليــة ، وظل كذلك الى أن توفى فى ٢ أغســطس عام ١٨٤٩م بالاسكندرية ونقل الى القاهرة ودفن بمسجده فى القلعة (١١٤) .

---

(١١٢) هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القــرن التاسع عشر ، ص ٢٨٨ .
(١١٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .
(١١٤) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ ــ ١٩١٤م ، ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

الخاتمـــــة

اثر التجربة الصناعية فى عهد محمد على
على المجتمع المصـــرى

اثر التجربة الصناعية فى عهد محمد على
على المجتمع المصــرى

بعد أن استعرضنا العوامل الخارجية والداخلية التى أدت الى انهيار الامبراطورية التى شيدها محمد على وانهيار الصــناعة ، نتحدث عن أثر التجربة الصناعية فى هذا المجتمع .

وفى بداية الأمر بدأ محمد على ، ذلك الضابط الألبانى المغمور ، أداة طيعة لتحقيق الأهداف الكبرى التى كان يسعى اليها السلطان العثمانى ، فخلص مصر من المماليك ، وساعد فى اخضـــاع الوهابيين فى شبه الجزيرة العربية وفى النهاية لعب دورا له اهمية نحو السلطان خلال حرب الاستقلال اليونانية ولقد أدرك محمد على فى ذلك الوقت أن الجيش العثمانى أصبح عاجزا أمام جيوش أوربا الحديثة التى استفادت من التقدم الفنى الذى أحرزه الغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وأن قدرة الامبراطورية العثمانية على تحـــدى الغرب تتوقف على قابلية الامبراطورية لاســـتيعاب الافكار الجديدة ، وعلى السرعة التى يتم بها طبع الجيش العثمانى بالطابع العصرى (١) ، ولذلك اقبل محمد على على الاصلاح وكان فى الواقع أول موظف عثمانى يدخل النظام الجديد فى ولايته بقدر معين من النجاح (٢) .

ولو كان محمد على مجرد ضابط عثمانى محب لبلده واكتفى بأن يؤدى دورا أكبر مؤيدى البرنامج الاصلاحى الذى وضعه عاهله ، لربما استعادت

---

(١) عمر عبد العزيز عمر : دراسات فى تاريخ مصر الحديثة ١٧٠٨ — ١٩١٤ ، ص ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الامبراطورية العثمانيــة مركزها الســابق باعتبــارها دولة كبرى . لكنه استغرقته أطماعه الخاصة ، فاستغل الشــعور الوطنى العثمانى باعتباره وسيلة لتحقيق اغراضه الخاصة ، فاســتغل برنامجه الاصــلاحى لتحقيق أهدافه . والواقع أن محمد على بدلا من أن يحمى الامبراطورية العثمانية ، نجده يجعل انهيارها أمرا مؤكدا . ومن المحتمل أن انهيار الامبراطورية كان أمرا حتميا ، وربما كانت العوامل المؤدية الى انهيارها قد امتــدت جذورها بالفعل بصلابة ، بحيث لم يعد ممكنا تغيير الاتجاه . وربما كان محمد على داعيا من دعاة الوطنية يميل الى وضع حد للامبراطورية العثمانية ، التى كانت تعلو على الشعور القومى ، والتى كان قد عفا عليها الزمن . ولكنه اذا كان داعيا من هذا النوع فلاشك ان تحوله الى المثل الوطنية كان عن غير وعى بالتاكيد ، لأن محمد على لم يكن وطنيا بالمعنى الحديث ، وقبل كل شىء لم يكن وطنيا مصريا ، فلقد اعتبر محمد على نفسه تركيا ، واعتقــد بأن مصر ليست الا ملكا خاصا يتصرف فيه ويستغله لصــالحه ولصــالح أسرته ، فصراعه من أجل الاستقلال ، لم يكن صراعا من أجل استقلال مصر بل كان من أجل ضمان ملك وراثى لابنائه من بعده ولقد نجح فى تحقيــق أهدافه ، وفتح آفاقا جديدة لمصر ، ولكن بغير قصد حقيقى منه (٣) .

ولقد تطلبت التطورات المختلفة التى مر بها حكم محمد على الكثير من الأموال والجنود ، ولذلك وضع الاســاس الفعلى لتكوين سياســة مالية وعسكرية تحقق له هذين الأمرين . وتركزت سياسة محمد على المالية فى مسألة موارده المالية لمواجهة مطالب جيشه التى لا تنتهى . ولكى يصل الى ذلك أحدث انقلابا فى ملكية الاراضى الزراعية فى مصر ، ووحد الضرائب ، وعدل طريقة جمعها ونظم الادارة المدنيــة ، لكى تنفــذ أوامره تنفيذا تاما

---

(٣) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ — ١٩١٤م ، ص ١٤٨ .

وبالاضافة الى ذلك أدخل بعض المحصولات الجديدة مثل القطن الطويل التيلة ، وعمم الأساليب الزراعية الصحيحة ، كما وسع زراعة بعض الحاصلات وبخاصة الصيفية منها ، كما اهتم بنظام الرى وعمل على تحسينه ، واهتم محمد على أيضا بتصنيع مصر فى عام ١٨١٧م ، لانتاج الأسلحة والعتاد لجيشه واسطوله الجديدين ، وتجهيز الحاصلات الزراعية للاستهلاك أو التصدير ، كما أراد أن يعتمد عليها باعتبارها مصدرا من مصادر ايرادات الحكومة . ولقد ادت سياسة محمد على فى النهاية الى حدوث نتائج ايجابية وأخرى سلبية (٤) .

ففى المجال الأول ساعدت هذه السياسة على دخول كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية المصرية الى الاسواق الاوربية المزدهرة وزود البلاد بمصدر كبير للثروة وجذب أعدادا كبيرة من التجار الاوربيين ، الذين حملوا معهم كثيرا من الاساليب الفنية الغربية . ولقد غيرت هذه التطورات الشكل الشكل العام لتجارة مصر كلية ، فارتبطت ارتباطا وثيقا باوروبا . وبادخال مصر فى فلك التجارة الاوربية ، لم يكن هناك مفر أمام محمد على من اتصال مصر بالحضارة الغربية . ولقد استطاع محمد على أن يؤسس فعلا الدولة الحديثة فى مصر ، وكان ذلك يرجع دون شك الى فتح مصر للمؤثرات الغربية ، وانعاش التجارة ، وتشجيع نمو المدن وايجاد طبقة بيروقراطية مصرية وانشاء جيش مصرى ، وتأكيد نظام الوراثة فى أسرته . وهذه فى الواقع بعض الانجازات المهمة التى كان لها أهمية كبرى فى تطور مصر الحديثة (٥) .

أما النتائج السلبية ، فقد أدى توجيهه للتجارة المصرية صوب المغرب الى اعتماد البلاد على الاسواق الأوربية الى جعل مصر أكثر تعرضا للتدخل

---

(٤) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ — ١٩١٤م ، ص ١٤٩ .

(٥) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ — ١٩١٤م ، ص ١٤٩ .

الاوربى فى شئون البــلاد الداخلية ، وذلك طبقـــا لمعـــاهدات الامتيازات الاجنبية (٦) .

وكان من نتيجة ذلك أن أنتهى الامر بالتدخل الاجنبى فى الشئون المصرية بالاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م . وحاول حـــكام مصر ادخال نظام حديث وكفء كما حاولوا الاستقلال عن الامبراطورية العثمانية . وكان لهذا الامر بعض النتائج الاجتماعية على المدى البعيد (٧) .

كما أن مصر لم تتحول من مجتمع زراعى الى مجتمع صناعى ، كمـــا انه بعد فشل تجربة محمد على الصناعية لم يحدث تطور صناعى خطير فى مصر لسنوات عديدة . وقام عباس وسعيد بتصفية بعض مصانع محمد على وحاول اسماعيل احياء المبادرة الصـــناعية بأن تولى شـــخصيا مشروعات الحكومة ، وأوفد بعثات للخارج للحصول على مصـــانع جديدة . ولكن تم تصفيتها بعد ذلك فى عام ١٨٧٥م وتحولت مبانى المصانع الى ثكنات . ولكن ازدهر فرعان فقط من الصناعى ، هو صناعة الســـكر التى كانت تديرها الحكومة ، ومحالج القطن التى أسسها الاجانب ، الذين اهتموا بصفة عامة بشركات النفع العام كالمياه ، والغاز والسكك الحديدية ، أكثر من اهتمامهم بالصـــناعة (٧) .

وفيما يتعلق بالرأســـماليين المصريين المحليين ، فانه بالاضـــافة الى الضرائب التى فرضت عليها ، فقد حالت عوامل هامة دون استغلال أموالهم فى الصناعة . وقد أدت منافسة المنتجات الصناعية الاوربية ، وصـــــغر حجم السوق الى الاستغلال الرأسمالى للاراضى الزراعية الذى كان بأرباح هائلة فى ذلك الوقت .

---

(٦) هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مستهل القرن التاسع عشر ، ص ٣٦١ .

7) G. Baer, Social change in Egypt, P. 138.

7) G. Baer, Social change in Egypt., P. 136.

ولم يغير الاحتلال البريطاني من هذا الموقف الا فى الغاء معظم الضرائب المجحفة وعارض كرومر التطور الصناعى ، بحجة أنه يدون ادخال رسوم الحماية الجمركية ــ يعمل ضد حرية التجارة ، فى حين يمكن أن تخسر مصر دخلها من الرسوم الجمركية على السلع الاوربية . ونتيجة لذلك لم تكن سياسته الاقتصادية موائمة تماما للتنمية الصناعية (٨) .

وأيا ما كان الامر ، فانه لم تحدث خلال القرن التاسع عشر تغييرات فى البناء الاجتماعى والاقتصادى ، فرغم أن الصناعة لم تتطور الا أن مصر مرت بتنمية اقتصادية لابأس بها ، نتيجة للاعمال الزراعية ، والاعمال الأخرى النفعية (٩) .

كما أن الحكومة توقفت عن تعيين مشايخ النقابات ، وكان يرأس أحياء المدن أحد المشايخ (شيخ الحارة) وكانت له بعض الوظائف المالية والادارية مثل التقارير حول المواليد والوفيات ، لكن وظائف المال والشرطة انتقلت من هؤلاء المشايخ الى المصالح الحكومية (١٠) .

كما انه نتيجة لاقامة محمد على « المصانع الكبيرة » وتزويدها بالآلات البخارية ، ثم تجميع أعداد ضخمة من القوة البشرية للعمل بها ، كان يمكن أن يخلق طبقة عاملة ولكن كان لنظامه الاحتكارى لم يكن يوفر الشروط الموضوعية لنشوء الطبقة العاملة وذلك يرجع الى أن محمد على كان يملك رأس المال كما كان يسيطر على مصائر العمال بسلطاته ، المطلقة الى الحد الذى يكاد أن يملك جهدهم وحياتهم ملكية تامة ، كما أنه يستخدم الرجال والنساء والأطفال من القرى والكفور وأحياء المدن ويجمعهم قسرا وكان يتبع نفس الأسلوب فى احضارهم أسلوب التجنيد وقد كان نوعا من « التجنيد

8) G. Baer, Op.-Cit., P. 137.
9) G; Baer, Op. Cit., P. 144.
10) G. Baer, Social change in Egypt, P. 146.

الصناعى » ولذلك كانوا يتحينون الفرصة للفرار من أعمالهم بالاضافة الى أن أجورهم كانت لا تدفع لهم بانتظام ساهم فى ذلك هروبهم (١١) .

وكان من نتيجة احتكار محمد على للصناعات أن أدى ذلك الى تقيد حرية الصناع وتعرضهم لاضطهاد المخبرين الذين استخدمتهم الحكومة ، وذلك للتأكد من أن الصناع لا يعملون لحسابهم ، كما تعرض الصناع لظلم رجال الادارة وتعسفهم ، بالاضافة الى حرمانهم من أرباحهم التى كانوا يحصلون عليها كاملة مما أدى الى فتور همتهم وعدم اقبالهم على العمل بل وترك بعضهم العمل ، فأضر ذلك بالصناعات الصغيرة ، بل ومهد السبيل الى اضمحلالها ، كما تعرض صغار الصناع الى تلاعب بعض رجال الادارة بالموازين والمقاييس والمكاييل بالتواطؤ مع الكتبة ، فأثرى هؤلاء على حساب أولئك الصناع كما لم يحدث أى ابتكار جديد فى طرق الانتاج البدائية فى الصناعات الصغيرة وأدى احتكار محمد على للصناعات الى عدم نمو الاستثمار الفردى ، وأدى نظام الاحتكار الى ارتفاع أسعار المنتجات الصناعية مما أدى الى زيادة نفقات المعيشة والاضرار بالمستهلك (١٢) .

كما أنه نتيجة لفشل الصناعة ارتد العمال الذين رجعوا الى القرى والكفور ، كما رجع الصناع الحرفيون الى مزاولة نشاطهم فى اطار ما بقى لهم من التنظيم الطائفى المضمحل (١٣) ، كما أن رجوع الصناع الى محالهم ودكاكينهم لم يترتب عليه انتعاش فى نظام الطوائف الا أنها قد جددت الآمال

---

(١١) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٩ ، ص ٣٥ ــ ٣٦ .

(١٢) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر : ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(١٣) أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة فى مصر منذ نشأتها حتى عام ١٩١٩م ، ص ٣٧ .

لدى شيوخ الطوائف فى ممارسة سلطانهم الا أن ذلك لم يتحقق لهم وخاصة على أيدى سعيد واسماعيل ، وذلك بأن الغى سعيد نظامهم .

يضاف الى هذا أن حرمان محمد على لطبقة رجال الدين من استقلالها قد أدى الى شل الطبقة الوحيدة القادرة على ممارسة نفوذ من شـأنه أن يخفف من غلواء الطبقة الحاكمة . وفى نفس الوقت حطـم النظم التى ظلت قرونا تحمى الشعب من الطغيان الذى لا يحده شيء . وقد أدى موقفـه من طبقة رجال الدين وقطعه الموارد المالية عن المؤسسـات الدينية الى الاضرار بالتعليم المصرى (١٤) .

كما أنه نتيجة لاستخدامه الأوربيين أن زاد عددهم وخاصة فى عهدى سعيد واسماعيل نتيجة للفرص المالية والتجارية الهائلة المتصلة بارتفـاع أسعار القطن ، والمشـاريع المزدوجة لهـذين الحاكمين وبالرغم من ازدياد عددهم لم يكن هناك احتكاك للمصريين بهؤلاء الأجانب وكان ذلك هو المجرى الوحيد للنفوذ الأوربى الغربى على المجتمع المصرى ، ففيما بين عامى ١٨١٣ و ١٩١٩ أوفد ما يقـرب من تسعمائة مصرى فى بعثات تعليمية الى أوربا ، وسـافر عددا آخرا على نفقتهم الخاصـة وتلقى الآلاف تعليمهم فى مدارس أجنبية فى مصر كما ترجمت مئات من المؤلفات من اللغات الاوربية الى العربية . وعمل الكثير من الأوربيين فى الوظائف القيادية فى الادارة المصرية وبخاصة بعد الاحتلال البريطانى (١٥) .

وعبر الاحتكاك بالأجانب وبأوربا عن نفسه فى مجالات كثيرة وبخاصة بعد عام ١٨٨٢م ، فقد تم اقامة شبكة مواصلات هائلة وتم بناء أجزاء من القاهرة والاسكندرية ، وزودت بالمياه والغاز والكهرباء كما سادت الادارة

---

(١٤) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ ـ ١٩١٤م ، ص ١٥٠ .

15) G. Baer, Social change in Egypt, P. 158.

بمصر على النمط الحديث ، وحدثت تغييرات هامة فى التشريع وادارة القانون، ومهما يكن الأمر ، فقد يبدو أن أهم تغيير اجتماعى حدث بسبب هذا الاحتكاك هو تطوير التعليم (١٦) .

ولذلك يمكن القول بأنه كان من نتيجة الاحتكاك بأوربا والتطور الاقتصادى والادارى فى القرن التاسع عشر فقد غير تغييرا جزئيا فحسب فى حياة وتنظيم المجتمع المصرى . وظلت العائلة التقليدية والمجتمع الدينى سليما ، كما لم يطرأ تغيير على مركز المراة فى المجتمع . ولم يكتسب المصريون الأثرياء ولا الطبقات الدنيا عقلية المجتمع الصناعى ، فالتغيير الذى طرأ كان يشتمل على القضاء على الاطار التقليدى الاجتماعى والاقتصادى كتصفية القبيلة ومجتمع القرية واختفاء النقابات والغاء الرق .

وحدثت معظم هذه التطورات ابان العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ولكن خلق الجماعات الحديثة مثل الأحزاب الحديثة واتحادات عمال التجارة لم يظهر الا فى القرن العشرين .

هكذا حطم محمد على طبقة التجار المحليين وطبقة الحرفيين المحليين ، فعرقل بذلك نمو طبقة مصرية وعوق النمو الصناعى المصرى اما تجاربه الصناعية فقد منيت بالفشل ، واغلقت المصانع واعيد العمال الى حقولهم وقراهم ، وتأجل ظهور بروليتاريا صناعية ماهرة الى اجل غير مسمى ، يضاف الى هذا أن محمد على خلق طبقة من ملاك الأرض كانت تتكون من أفراد أسرته وحاشيته وحصره التدخل الأوربى العسكرى على التخلى عن احتكاراته وقد زاد الدخل القومى ، ولكنه فشل فى تحسين أحوال الفلاحين، فبينما كان محمد على يرسى أسس الدولة الوطنية المصرية من ناحية ، كان من ناحية أخرى يرسى أساس كثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى مازالت مصر تصارعها .

---

16) G. Baer, Social change in Egypt, P. 159.

وخاتمة القول أن محمد على استطاع تحقيق مطامعه الخاصة الا وهى الوصول الى الحكم ، وجعل مصر وراثيا لأسرته من بعده ، ولكنه فى الوقت نفسه مهد للتدخل الأجنبى فى الامبراطورية العثمانية ولو أنه وقف بجـــانب السلطان العثمانى لأمكن ابعاد التدخل الاوربى ، بل ساعد أوربا فى ايجاد مبرر لهذا التدخل وانتهى ذلك بالاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م .

المصادر والمراجع

* وثائق غير منشورة .
* الكتب العربية ، دوريات ، رسائل علمية .
* الكتب الأجنبيــة .

اولا : الوثائق غير المنشورة :

(١) الوثائق العربية والتركية (دار الوثائق القومية بالقلعة)

١ ــ دفاتر اوامر :

وقيدت فيها الأوامر الصادرة من الوالى الى الدواوين والاقاليـــم وهى مجموعة أوامر باللغة العربية .

٢ ــ دفاتر معية تركى :

هى دفاتر قيودات قيدت فيها المكاتبات بالتركية بين المعية والدواوين ، والاقاليم ــ وهى مترجمة باللغة العربية .

٣ ــ دفتر مجلس ملكية :

وفيه بعض اللوائح والأوامر .

٤ ــ سجلات الترسانة عربى :

وهى عبـــارة عن ســـجلات صـــادرة وواردة ، وفيها وثائق تتعلق بالترســـانة .

٥ ــ سجلات مصلحة الاخشاب :

وهى عبارة عن وثائق تتعلق بالأخشاب الخاصة بصناعة السفن التى انشئت بترسانة الاسكندرية .

٦ ــ سجلات ديوان المدارس عربى :

وهى عبارة عن وثاق خاصة بانشاء المدارس بصفة عامة والمدارس الصناعية بصفة خاصة التى انشئت لسد حاجة البلاد من الحرفيين .

(٢) المحـــافظ :

١ ــ محفظة مالية (١) اوامر :

وبها بعض الوثائق الصادرة من الوالى الى نظار الفابريقات بحسن معاملة العمال معاملة حسنة .

٢ ــ محفظة مالية (٢) اوامر :

وبها بعض الوثائق التى تتعلق بتحديد مرتبات العمال بالفابريقات .

٣ ــ محفظة (٢) ملكية تركى :

وبها بعض الوثائق الخاصة بصناعة النسيج من حيث المواد الخـــام والعمال الذين أرسلوا الى الخارج وأسمائهم والجهة التى أرسلوا اليهـــا والمدة التى قضـــوها .

٤ ــ محفظة (٤) ملكية تركى :

وبها بعض الوثائق عن صناعة الجلود وبعض الصناعات الحربية .

٥ ــ محفظة (٦) ملكية تركى :

وبها بعض الوثائق عن الآلات المستخدمة فى الصناعات .

٦ ــ محفظة (١٠١) :

وبها بعض الوثائق عن الصـــناعات واحتياجاتهـــا من المواد الخـــام والحرفيين وغير ذلك .

٧ ــ محفظة (١١٤) :

وبهـــا بعض الوثائق عن البعثات التى كان محمد على يرســـلها الى الخـــارج .

٨ ــ محفظة رقم (١١٩) :

وبها بعض الوثائق عن البحرية المصرية بصفة عامة .

ثانيا : الكتب العربيـــة :

١ ــ أ. ب. كلوت بك :

لمحة عامة الى مصر ، الجزء الثانى ، القاهرة (بدون تاريخ) .

ولهذا المرجع أهمية كبيرة ، لأن مؤلفه عاصر فترة محمد على وتعرض لتاريخ مصر من جميع النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٢ ــ احمد احمد الحتة : (دكتور) :

تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، القاهرة عام ١٩٥١م .
وترجع أهمية هذا المرجع فيما يختص بالناحية الاقتصادية فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، ويعتمد على الوثائق الرسمية والدوريات ومراجع عربية واجنبية ولكن يلاحظ عليه انه لم يشر الى هذه المراجع فى الحاشية .

٣ ــ احمد عبد الرحيم مصطفى : (دكتور) :

مصر والمسألة المصرية (من ١٨٧٦ ــ ١٨٨٢م) ، القاهرة ١٩٦٥م .
وترجع اهمية هــذا المرجع الى انه يتناول فترة هامة من تاريخ مصر الحديث والتى شهدت البلاد التدخل الاجنبى بأشكاله المختلفة وقــد واجه الشعب المصرى هذه التحديات بالصحافة وغير ذلك ، وانتهى ذلك بالثورة العرابية ، والتى كان من نتائجها الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م ويعتمد على الوثائق العربية والانجليزية والفرنسية .

٤ ــ احمد عزت عبد الكريم : (دكتور) :

تاريخ التعليم فى عصر محمد على ــ القاهرة ١٩٣٨م .
لهذا المرجع اهمية كبرى ، وخاصــة فيمــا يختص بالناحية التعليمية والصناعية ، وانه يعتمد على الوثائق الرسمية بالاضــافة الى بعض المراجع العربية والأجنبية ، ويوضح السياسة التعليمية التى أتبعهــا محمد على وخاصــة المدارس الصناعية التى كانت تمــد صــناعاته بالحرفيين اللازمين لها .

٥ ــ اسماعيل سرهنك :

حقائق الاخبار عن دول البحار ، الجزء الثانى ، القاهرة عام ١٣١٢هـ .
ترجع أهمية هذا المرجع الى أن مؤلفه نفسه تثقف ثقافة عسكرية وخدم

فى سلاح المدفعية فى عصر الخديوى اسماعيل كما أن والده خدم فى البحرية منذ عصر محمد على الى عصر اسماعيل ، وكان قبودانا فى المدرعة دنقلة فى عام ١٨٨٠م فى أيام الخديوى توفيق ، ثم عين مأمورا للبطارية الملحقة بقرويت الصاعقة المخصص لتمرين التلاميذ للمدرسة البحرية ثم عين بعد ذلك ناظرا للمدرسة الحربية .

٦ — امين عز الدين :

تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى عام ١٩١٩ ، القاهرة عام ١٩٦٧م .

ويتعرض هذا المرجع لتاريخ الطبقة العاملة بصفة عامة ودورها فى المجتمع الحرفى ثم انتقالها الى المجتمع الصناعى ويبرز دور العمال المصريين فى تكوين النقابات .

٧ — امين سامى باشا :

تقويم النيل وعصر محمد على ، القاهرة ١٩٢٨ م .
وترجع أهمية هذا المرجع أن المؤلف يعتمد على المصادر الرسمية المعاصرة كجريدة الوقائع المصرية وهى الجريدة الرسمية التى تعبر عن وجهة نظر الحكومة بالاضافة الى اعتماده على الوثائق المختلفة التى استطاع الاطلاع عليها بدار المحفوظات بالقاهرة .

٨ — اندريه ريمون :

فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب، القاهرة ١٩٧٤م .

ترجع أهمية هذا المرجع الى انه يتعرض لتاريخ القاهرة الاجتماعى من حيث تكوين المجتمع القاهرى فى تلك الفترة وخاصة الطوائف الحرفية ودورها السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

٩ ـ ج. دى. شابرول :

دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ـ الدولة الحديثة من كتاب « وصف مصر » ـ ترجمة زهير الشهايب القاهرة ١٩٧٦م .

وهو عبارة عن ترجمة من كتاب وصف مصر وخاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية لمصر فى عهد الحملة الفرنسية .

١٠ ـ جميل خانكى :

تاريخ البحرية المصرية ، القاهرة ١٩٤٨م .

ويتعرض هذا المرجع للبحرية المصرية بصفة عامة والصناعات البحرية بصفة خاصة فى عهد محمد على ويبين الصناعات التى اقامها من أجل خدمة الاسطول المصرى والعقبات التى قابلته وكيف تغلب عليها .

١١ ـ جون مارلو :

تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢م ترجمة الدكتور عبد العظيم رمضان ، القاهرة ١٩٧٦م .

ويتعرض لتاريخ مصر الاقتصادى منذ مجىء الحملة الفرنسية حتى الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م والظروف التى مر بها الاقتصاد المصرى خلال تلك الفترة .

١٢ ـ حسن الرفاعى (دكتور) :

تطور الصناعات فى مصر ـ القاهرة ١٩٣٤م .

ويتعرض لتطور الصناعت فى مصر ، والخطوات التى اتخذها محمد على فى مجال الصناعات التى أقامها .

١٣ ـ حليم عبد الملك (دكتور) :

السياسة الاقتصادية فى عهد محمد على الكبير ، القاهرة ١٩٣٤م .

ويتعرض بالنقد والتحليل للسياسة الاقتصادية التى اتبعها محمد على

ويقارن بينها وبين السياسة الاقتصــادية للدول الاوربية التي كانت تتبعها في ذلك الوقت .

١٤ ــ دراسات عن عبد الرحمن الجبرتي ، باشراف الدكتور احمــد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٧٦م :

وترجع اهمية هذا المرجع الى انه عبارة عن ندوة علمية اقيمت بالقاهرة في الفترة من ١٦ ابريل الى ٢٣ ابريل ســنة ١٩٧٤م ، عن المــؤرخ عبد الرحمن الجبرتي وعصره (١٧٥٤ ــ ١٨٢٥م) بمناسبة انقضــاء مائة وخمسين عاما على وفاته . وقد اشترك في هذه الندوة عدد كبير من الباحثين ، ونشرت أبحاثهم في هذا المرجع ، وتضــم عدة بحوث كتبت عن الجبرتي كمؤرخ ، ومؤلفــات الجبرتي عن قضــايا عصره بالاضافة الى عدة بحوث باللغة الانجليزية والفرنسية .

وقد أفدت من هذا المرجع افادة كبيرة وخاصة البحث الذي قدمته الدكتورة حكمت أبو زيد عن « المجتمع القــاهرى على عهــد الحملة الفرنسية » كما صوره الجبرتي وقد تعرضت فيه الى البناء الهرمى لسكان مصر في تلك الفترة ودور كل فئة من فئات هذا الشــعب وخاصة الحرفيين ودورهم في المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

١٥ ــ راشد البراوى (دكتور) ، محمد حمزه عليش وآخرون :

التطور الاقتصادى في مصر في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨م .
ويعالج هذا المرجع الاقتصاد المصرى خلال القرنين الثامن والتاسع عشر والمجتمع المصرى خلال هذه الفترة وخاصة الحرفيين .

١٦ ــ رفاعة رافع الطهطاوى :

مناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ، القاهرة ١٢٣٠هـ/ ١٩١٢م .

واهمية هذا المرجع ترجع الى ان مؤلفه عاصر الأحداث فى عصر محمد على ، وانه تعرض لصناعة الحرير التى اقامها محمد على والوسائل التى اتخذها لتشجيع هذه الصناعة .

١٧ ــ رؤوف عباس حامد محمد :

الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢م ، القاهرة عام ١٩٦٧م .

وترجع أهمية هذا المرجع الى أنه يتعرض للحركة النقابية العمالية منذ نشأتها ويعتمد فى دراساته على المقابلات الشخصية لقدامى النقابيين وبعض الأوراق الخاصة بهم وباتحاد نقابات عمال القطر المصرى وحزب العمال المصرى كما أنه أطلع على دفاتر محاضر جلسات حزب العمال الاشتراكى بالاضافة الى الأبحاث والمقالات التى تعرضت لمشاكل العمال فى مصر .

١٨ ــ عبد الرحمن الجبرتى :

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، اربعة اجزاء ، بولاق ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩ ــ ١٨٨٠م .

وترجع اهمية هذا المصدر الى ان مؤلفه عاصر الأحداث الهامة فى تاريخ مصر فى تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر الحديث مثل الخصومات التى قامت بين البيوت المملوكية الكبيرة ومحاولة الدولة العثمانية استعادة سيطرتها على مصر حتى نزول الحملة الفرنسية (عام ١٧٩٨م) ، واحتلال فرنسا لمصر طوال سنوات ثلاث ، ثم خروجها بعد وصول حملة انجليزية وما تلا ذلك من أحداث حتى تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥م ، والعقبات التى قابلته فى سنوات حكمه الأولى مثل الحملة الانجليزية (عام ١٨٠٧م) ومذبحة المماليك والحروب الوهابية (عام ١٨١١م) والغاء سياسة الالتزام وبدء تطبيق سياسة الاحتكار

وغيرها وبدء السياسة الصناعية وانشاء الجيش والاسطول والصناعات التى اقامها من من اجل ذلك وكان يسجل هذه الاحداث اولا بأول فى كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والإخبار) .

١٩ — عبد الرحمن الرافعي :

تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر (عصر محمد على) ج ثالث ، القاهرة ١٩٣٠م .

وترجع أهمية هذا المرجع الى انه يعتمد على الوثائق الرسمية بالاضافة الى بعض المراجع الاوربية والعربية ، ويتعرض للناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والوسائل التى اتخذها محمد على لقيام الصناعة كما انه يتعرض للمسألة الشرقية .

٢٠ — عبد الرحمن زكى :

التاريخ الحربى لعصر محمد على ، القاهرة ١٩٥٨م .

ويتعرض للجهود التى بذلها محمد على لاقامة الجيش والاسطول والصناعات التى اقامها للجيش والاسطول والعقبات التى قابلته وكيف تغلب عليها ويعتمد على الوثائق الرسمية فى ذلك .

٢١ — عبد الرحمن زكى :

ملابس الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير ، القاهرة ١٩٤٩م .

ويبين هذا المرجع كيف استطاع محمد على أن يمد جيشه بالملابس والأغطية التى يحتاجها وجهوده فى ذلك ويدعم ذلك بالصور والوثائق وغير ذلك من الوسائل الاخرى .

٢٢ — عبد المنعم فوزى (دكتور) :

مذكرات فى تطور مصر الاقتصادي والمالى فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٥٦م .

٢٣ ــ على الجريتلى (دكتور) :

تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٢م .

ترجع اهمية هذا المرجع الى انه تاريخ اقتصادى وخاصة للصناعة المصرية التى اقامها محمد على ، والعقبات التى قابلته ، وكيف تغلب عليها ــ كما انه يعتمد على المصادر الهامة والتى تتعلق بتلك الفترة بالاضافة الى بعض المراجع الاوربية والعربية .

٢٤ ــ على لطفى (دكتور) :

التطور الاقتصادي فى أوربا ومصر ، القاهرة ١٩٦٦م .

ترجع اهمية هذا المرجع لعرضه للناحية الاقتصادية بصفة عامة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لمصر وأوربا فى تلك الفترة .

٢٥ ــ على مبارك (باشا) :

الخطط التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها القديمة الشهيرة عشرون جزءا فى خمسة مجلدات ، القاهرة ١٣٠٥ ــ ١٣٠٦هـ/١٨٨٧ ــ ١٨٨٩م .

٢٦ ــ عفيفى مصطفى عبد الله :

تاريخ مصر الإقتصادى والمالى فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٥٣م .

ويتعرض لتاريخ مصر الاقتصادى والمالى والإدارى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

٢٧ ــ عمر عبد العزيز عمر (دكتور) :

دراسات فى تاريخ مصر الحديث ، ١٧٩٨ ــ ١٩١٤م الإسكندرية عام ١٩٧٢م .

وترجع اهمية هذا المرجع انه يتعرض لتاريخ مصر فى فترة هامة تمتد منذ مجيء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ الى قيام الحرب العالمية

الاولى ويعتمد على المصادر الرسمية المصرية والانجليزية والفرنسية، وقد افدت منه عن تاثير محمد على فى المجتمع المصرى والمسالة الشرقية .

٢٨ ـ عمر طوسون :

صفحة من تاريخ مصر ـ الجيش المصرى البحرى والبرى ، الاسكندرية عام ١٩٤٠م .

ويعتمد هذا المرجع على المصادر الرسمية وتقارير الاجانب الذين زاروا مصر فى هذه الفترة وشاهدوا الجيش المصرى والاسطول والمصانع التى اقيمت من اجلهما والعمال الذين كانوا يعملون بها ومهارتهم وغير ذلك .

٢٩ ـ محمد فؤاد شكرى (دكتور) :

عبد الله جاك مينو : القاهرة ١٩٥٢م .

وترجع اهمية هذا المرجع انه يتعرض لتاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى ابان وجود الحملة الفرنسية ، كما انه يعتمد على المصادر الرسمية ، والمراجع الاوربية والعربية وقد افدت من هذا المرجع بالرجوع الى الانظمة الاقتصادية التى وضعها الفرنسيون وفشلهم فى تحقيق برنامجهم الاستعمارى .

٣٠ ـ محمد فؤاد شكرى وآخرون (دكتور) :

بناء دولة مصر محمد على ـ السياسة الداخلية ، القاهرة ١٩٥٠م .

وترجع أهمية هذا المرجع الى اعتماده على المصادر الرسمية بالاضافة الى تقارير الاجانب الرسميين الذين كانوا موجودين فى عهد محمد على مثل الكونت دوهاميل وجون بورنج ، وكامبل وغيرهم كما يلى :

(أ) تقرير الكونت ودهاميل قنصل روسيا العام :

ويشمل هذا التقرير تفصيلات المالية المصرية والاحتكار والترسانة بالاسكندرية والزراعة والوسائل التى اتخذها محمد على لتحسين وسائلها ، والمحصولات الزراعية الجديدة التى ادخلها والادارة والتجارة الداخلية ووسائل تدعيمها بالاضافة الى الشئون السياسية .

(ب) تقرير جون بورنج :

ويحتوى هذا التقرير على معلومات واحصاءات عن المصريين وعن منتجات مصر الزراعية والمحصولات النقدية التى ادخلها محمد على ومجهوداته فى ذلك وتحدث ايضا عن الايرادات والمصروفات وقدم بيانات احصائية بذلك وعرضا التجارى وحالة التشريع المصرى فيما يختص بالاشخاص والممتلكات كما انه تحدث عن ناحية التعليم ومدى تقدم المصريين فى ذلك .

وقد اعتمد «بورنج» فى ذلك على السلطات المحلية فاتصل بكثير من موظفى الحكومة : وطنيين واجانب واستطاع أن يحصل منهم على تقارير اضافية واحصاءات وافية وبيانات وافية وبالاضافة الى انه حصل على بيانات من القنصلين الانجليزين كامبل وثوربون قنصل الاسكندرية العام كما انه قابل السائح الانجليزى آرثر هولرويد .

(جـ) تقرير باتريك كامبل :

ويشتمل هذا التقرير على السياسة الزراعية التى كان يتبعها فى مصر والغاء نظام الالتزام والصناعات التى اقامها محمد على وايرادات مصر ومصروفاتها . والحكومة وعدد السكان والجيش والبحرية ومجهودات محمد على فى ذلك والجمارك والسياسة الاحتكارية التى اتبعها محمد على والتعليم والمدارس التى انشاها محمد على بالاضافة الى البريد والشرطة وغير ذلك .

٣١ ــ محمد فهمى لهيطه (دكتور) :

تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، القاهرة عام ١٩٤٢م .

ويتعرض لتاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى وخاصـــة الحرفيين والصناعات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر .

٣٢ ــ محمد محمود السروجى (دكتور) :

الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ، الاسكندرية ١٩٦٧م .

ولهذا المرجع قيمته التاريخية ، لأنه يتعرض للجيش المصرى طوال القرن التاسع عشر ، وانشائه ومجهودات محمد على فى ذلك كما انه يتحدث عن الصناعات الحربية وغير الحربية ، ويعتمد على المصادر الرئيسية العربية والتركية والانجليزية والفرنسية بالاضافة الى بعض المراجع العربية والانجليزية والفرنسية .

٣٣ ــ هاملتون جب ، هارولد بوون :

المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصطفى الحسينى ، القاهرة ١٩٧١م .

يعتبر هذا المرجع حصيلة دراسات طويلة قام بهـــا المؤلفان لتتبع المؤثرات الغربية فى المشرق العربى والقاعدة الرئيسية التى يرتكـــز عليها أسس الحكم الاســـلامى ونظم الحكم العثمانى وأحوال المشرق العربى الاجتماعية من حيث الاسرة والاقتصـــادية من حيث الزراعة والصناعة والتجارة والحرفيين ومكانتهم الاجتماعية وأثرهم فى الحياة العامة والثقافية من حيث الدين والتعليم .

٣٤ ــ هيلين آن ريفلين :

الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصطفى الحسينى القاهرة ١٩٦٨م .

ترجع اهمية هذا المرجع الى انه يتعرض لتاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ولذلك يتعرض الى الزراعة من حيث انكماش مساحتها فى العصر العثمانى وما ينتج عن ذلك من تعطيل القنوات والترع واختل نظام الرى والصرف ومجهودات محمد على من حيث استرداد الأراضى التى جارت عليها الصحراء ، اثر فيها انهيار نظام الرى والصرف ، بالاضافة الى أنه ادخل محاصيل جديدة ، واعاد حفر كثير من الترع القديمة ، وحفر ترعا جديدة أهمها ترعة المحمودية .

كما أنه يتعرض للإجراءات الادارية الجديدة التى ادخلها محمد على فى مصر نتيجة للتوسع الزراعى كما أنها اثرت فى نظام الجندية وتاثرت به كذلك الحال بالنسبة للتجارة والصناعة . .

ثالثا : الدوريات :

١ ـ الوقائع المصرية :

وهى الجريدة الرسمية للدولة المصرية وقد صدر العدد الاول منها ٢٥ جمادى الاولى عام ١٢٤٤هـ ويستطيع الباحث اخراج المعلومات الكثيرة منها وقد اعتمد عليها امين سامى (باشا) فى مؤلفه تقويم النيل .

٢ ـ **مجلة كلية الآداب** : جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ـ القاهرة عام ١٩٣٦م ـ مقالة للاستاذ محمد شفيق غربال ، بعنوان « مصر عند مفترق الطرق » .

تحقيق المناقشات التى جرت بين حسين افندى احد موظفى الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية وبين استيف احد رجال الادارة المالية للحملة الفرنسية كما ان هذه الاجابة ترجمتها : **S.J. Shaw** فى كتابه :

Ottoman Egypt in Age of the French Revolution

رابعا : رسائل علمية :

١ ــ محمود السيد عبد العال :

اسطول مصر الحربى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ــ رسالة ماجستير غير منشورة ، الاسكندرية ١٩٦٧ .

وتتعرض الرسالة لاسطول مصر الحربى طوال هذه الفترة والمراحل التى مر بها والصناعات البحرية وانشاء ترسانة الاسكندرية والعوامل التى أدت الى تدهور الاسطول وخاصة دار الصناعة باسكندرية وقد أفدت من هذه الرسالة فى طريقة تنظيم أبوابها وفهارسها بالاضافة الى أننى رجعت الى بعض الوثائق المشار اليها بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

خامسا: : الكتب الأجنبية :

1. Augustus, St., J.J. Egypt and Mohamod Ali or Travels in the Vally of the Nile, 2 Vols, London 1843.

ويعتبر هذا المرجع قصة رحالة زار مصر خلال حكم محمد على وتجول فى المصانع التى انشأها وابدى ملاحظاته عليها من حيث تكاليفها وادارتها وحالة العمل والعمال وأجورهم ومعاملاتهم .

2. Baer, Gabriel, Social change in Egypt, 1800-1914 in P. M. Holt, Political and social change in Modern Egypt, London 1968.

وتتناول هذه المقالة التغييرات الاجتماعية التى حدثت فى مصر خلال هذه الفترة من حيث استقرار البدو ومجهودات محمد على فى ذلك والعادات والتقاليد المصرية مثل الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ومكانة المرأة المصرية ودورها فى الحياة الاجتماعية والسياسية كما أنه يتحدث عن عملية الاحتكاك التى حدثت بين المصريين والاوربيين

الذين استقدمهم محمد على نتيجة للنهضة الصناعية التى أحدثها حتى كثر عددهم وموقف المصريين منهم ثم تحدث بعد ذلك للنقابات وتطورها منذ عهد محمد على حتى قيام الحرب العالمية الاولى ويتعرض أيضا للحياة المدنية واحيائها وتطورها .

3. Crouchley A., E., The economic Development of Modern Egypt, London, 1938.

ويعتبر عرضا تاريخيا ممتازا للتطور الاقتصادى فى مصر ولكنه بحاجة الى المراجعة لكى يضم الاضافات الجديدة التى جاءت بها الدراسات الأخيرة التى أفادت من دور الوثائق الأوربية والمصرية .

4. Clegret, M., Le Caire, Etude de geographie Urbaine et historie economique, T. 3., Le Caire, 1934.

وهو يتحدث عن الناحية الجغرافية لمصر بصفة عامة والناحية الاقتصادية بصفة خاصة .

5. Dodwell, H., The founder of modern Egypt, Astudy of Muhammed Ali; Cambridge, England, 1931.

ويتحدث عن السنوات الاولى لحكم محمد على ومجهوداته التى بذلها فى اقامة الصناعات ولكنه يتعاطف كثيرا معه .

6. Douine, G., La Mission du Baron de Doiscomte le Caire 1927.

مجموعة من الرسائل والتقارير الرسمية الفرنسية التى أرسلها ممثلو فرنسا الى حكوماتهم .

7. Douine, G., Les Premier fregates de Modammed Ali, 1824-1827, Sociétes Royale de le Caire 1826 Geigraphie d'Egypte puplication specials.

مجموعة من الرسائل والتقارير الرسمية الفرنسية التى أرسلها ممثلو فرنسا الى حكوماتهم .

8. Douine, G., Une mission millitaire Française aupres de M. Ali. Correspondance des Generaux Billiand et Beyer, Société Royal de Geographie de Egypté puplication speciales, Le Caire, 1929.

9. Hamont, Pierre, Micolas, L'Egypte Sous Mahemet Ali, 2 Vols. Paris 1843.

ويحتوى هذا المرجع على المادة القيمة عن الحكومة والاقتصاد المصرى والمجتمع ، ولكن يلاحظ أنه يوجه دائما الاتهامات لحكومة محمد على .

10. Heyworth, Dunn, J. An introduction to the history of education in Modern Egypt, London (N.D.) 1938.

ويحتوى هذا المرجع على المجهودات الخاصة التى مر بها محمد على وخلفاؤه تجاه السياسة التعليمية فى مصر فى القرن التاسع عشر .

11. Girard P.S. Memoire sur l'agriculture, l'industrie et commerce de l'Egypté; in description de l'Egypté, Atat modern, ed., Vols 11., Paris 1813.

وترجع أهمية هذا المرجع الى انه يتعرض لدراسة النظم الاقتصادية فى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر ، ويعتبر هاما لانه يعتمد على ملاحظات المؤلف الشخصية والمادة التى جمعها خلال اقامته بمصر .

12. Lane, Edward, William, The Manners and customs of the modern Egyptian, Every mans, Ed., London; 1944.

وهو يتعرض للحياة الاجتماعية فقط لمصر فى عهد محمد على كما

أن هذا الكتاب ترجمـــة عدلى طاهر نور بعنوان « عادات وتقـــالبد المصريين المحدثين » .

13. Mazuel, J. Le surce en Agypté, le Caire, 1937.

يتحدث عن صناعة السكر فى مصر وتطورها والتحســـينات التى ادخلها محمد على .

14. Martin, Germaine, Les Bazars du Caire et les petits metiers Arabes, le Caire, 191-.

15. Mengin, Felix., Histoire de l'Egypte sous le government du Mohammed Ali ou récit de evenemrnts politiques et militaires qui ont eu lieu depuis le départ de Français, jusque, en 1823, 2 Vols, Paris, 1823.

وهو عبارة عن دراسة لحكم محمد على لسنواته الاولى والصناعات التى اقامها ، ولكن يلاحظ عليه انه يتعاطف كثيرا مع محمد على .

16. Mengin, Felix., Histoire sommaire de l'Egypté sous le government de M. Ali, 1823-1838, Paris, 1838.

وهو يكمل الكتاب السابق .

17. C. Murray, Memoire of Mohammed Ali, London, 1898.

18. Mouriez, Paul, Histoire de Mohammed Ali., Vice Role d'Egypté.

يتحدث عن حكم محمد على ويتعاطف معه كثيرا .

19. Puckler — Muskau, Herman Prince Von., Egypt and Mehemet Ali, Trans. H. Evans Lolyd; London, 1845.

انه نزل ضيفا على محمد على وتأثر كثيرا بهذه المضيفة ولذلك فهو يعرض دائما وجهات نظر محمد على ويبدو انه لم يحاول أن يدرس الأحوال بنفسه أو يعرض رأيه المستقل .

20. Raymond, André, Artisans et commercants au Caire au xille siecle, 2 Vols, Damas, 1973.

ترجع أهمية هذا المرجع الى أنه يتعرض لمجتمع الحرفيين وتطورهم وتنظيماتهم المختلفة ودورهم فى حياة المدينة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل وتأثيرهم فى الحياة العامة وخاصة الاحداث السياسية. ويعتمد على دراسته على الوثائق الخاصة بذلك من سجلات المحكمة وغير ذلك .

21. Sabry, Modammed, L'Empire Egyptien sous Mohammed Ali et la question d'Orient, 1811-1849.

وهو يتناول المسألة الشرقية كما انه يعتبر تاريخا دبلوماسيا ويعتمد فى ذلك على الوثائق الفرنسية والانجليزية ويتناول حكم محمد على لمصر والبلاد التابعة له .

22. Sayed, A.L. el., The role of the ulema in Egypt during the early nineteonth Century in P.M. Holt, Political and social change in modern Egypt, London, 1968.

وتبرز دور العلماء فى الاحداث السياسية فى مصر فى القرن التاسع عشر وخاصة فى تولية محمد على حكم مصر كما انها تبرز دورهم الاجتماعى وخاصة فى العلاقة بينهم وبين الحرفيين خلال هذه الفترة .

23. Shaw, Stanford, J., The financial and administrative organization and development of Ottoman Egypt (1518-1798) ; Prinecton, 1958.

وهو يتعرض للنظام المالى والادارى فى مصر العثمانية حتى وصول الحملة الفرنسية .

24. Shaw, Stanford, J., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution.

وهو يتعرض للنظام المالى والاقتصادى لمصر العثمانية خلال الحملة الفرنسية ، وهو عبارة عن ترجمة لأجوبة حسين أفندى الروزنامجى .

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

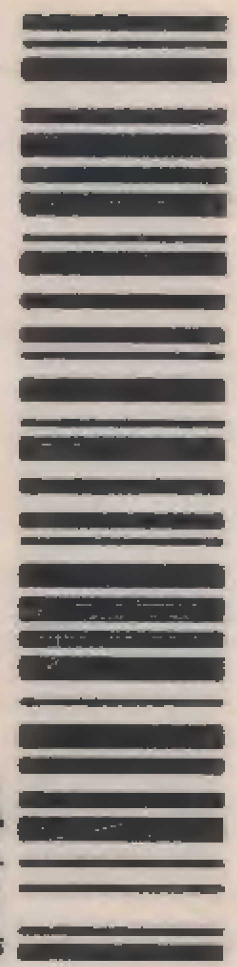
الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
٨ ــ صناعة السكر	٢١٤
٩ ــ صناعة الزجاج	٢١٩
١٠ــ صناعة الورق	٢٢٠
١١ــ صناعة الصابون	٢٢١
١٢ــ صناعة الشمع والعسل	٢٢١
١٣ــ معامل التفريخ	٢٢٢
١٤ــ صناعة الحصر	٢٢٤
١٥ــ صناعة الفخار	٢٢٥
١٦ــ صناعة البارود (نترات البوتاسيوم)	٢٢٥
١٧ــ صناعة ضرب النقود	٢٢٦
١٨ــ الصناعات الخشبية	٢٢٧
الفصل الخامس	
انهيار الامبراطورية المصرية وأثر ذلك فى الصناعة	٢٣٣
١ ــ الأسباب الخارجية	٢٣٦
٢ ــ الأسباب الداخلية	٢٤٥
٣ ــ العوامل الطبيعية والقوى المحركة	٢٤٥
٤ ــ سوء الادارة	٢٥٠
٥ ــ المواد الخام	٢٥٣
٦ ــ ارتفاع نفقة الانتاج	٢٥٦
٧ ــ العمال والكفاءة الفنية	٢٥٧
٨ ــ الأسباب المالية	٢٦٠

الموضوع	الصفحة

دار نشر الثقافة بالاسكندرية
١٣ شارع حسبو منشا ـــ محرم بك
ت : ٣٢١٩٨/٢٠٦٢٥

دار نشر الثقافة بالاسكندرية
١٣ شارع حسبو منشا ـــ محرم بك
ت : ٣٢١٩٨/٢٠٦٢٥



٤٠٠

دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة
الناشر منطقة الاسكندرية ٤٢ ش سعد زغلول - ٢ ميدان التحرير (المنشية)